المسلمون والمسيحيون في المجتمع المعاصر :
صور الآخر ومعنى المواطنة

وثائق اللقاء الإسلامي - المسيحي الذي عقد بالتعاون ما بين :

المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)

والمركز الأرثوذكسي للبطريركية المسكونية في شامبيزي - سويسرا

٢١ - ٢٣ رجب ١٤١٩هـ

١٠ - ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٨م

عمّان - الأردن

المحتويات

- **الفصل الثالث**

- **الجلسة الختامية**

مقدمـــــة

يسر المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) أن يقدم للقراء الكرام هذا الكتاب ، الذي يضم بحوث اللقاء الإسلامي - المسيحي التاسع الذي عقده المجمع بالتعاون مع المركز الأرثوذكسي للبطريركية المسكونية في شامبيزي (سويسرا) ، والمناقشات التي دارت حولها.

وقد عقد هذا اللقاء في عمّـان بالمملكة الأردنية الهاشمية في المدة ٢١ - ٢٣ رجب ١٤١٩هـ الموافق ١٠ - ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٨م، وكان عنوانه: «المسلمون والمسيحيون في المجتمع المعاصر ، صور الآخر ومعنى المواطنة»، وهو اللقاء التاسع عشر في نطاق الحوار الإسلامي المسيحي ، الذي بدأه المجمع في عام ١٩٨٤م مع الكنيسة الإنجيلية الإنجليزية ممثلة في «اللجنة المستقلة للعلاقات الإسلامية المسيحية» في وندسور بإنجلترا ، ثم أخذ يتسع بالتدريج فنظم دورات مع الكنيسة الأرثوذكسية ممثلة في المركز الأرثوذكسي للبطريركية المسكونية في شامبيزي بسويسرا ، ثمَّ مع الكنيسة الكاثوليكية ممثلة في المجلس البابوي للحوار بين الأديان بالفاتيكان ، ثم مع الكنيسة الإنجيلية الألمانية ممثلة في اتحاد الكنائس الإنجيلية في هانوفر بألمانيا.

وقدكان اللقاء خطوة على طريق التفهّم والتفاهم بين المسلمين والمسيحيين على أبواب القرن الحادي والعشرين ، من خلال ستة أبحاث دارت حول : نظرة المسلم إلى المسيحي ونظرة المسيحي إلى المسلم (الأسس والواقع المعاصر) ، والمواطنة في المجتمع المعاصر من وجهتي النظر الإسلامية والمسيحية ، والتحديات الحاضرة وما يترتب عليها على أرض الواقع من وجهتي النظر الإسلامية والمسيحية . وشارك في اللقاء مجموعة من العلماء والمفكرين من المسلمين والمسيحيين ، وفّر لهم اللقاء منبراً موضوعياً أكاديمياً لمناقشة قضية معاصرة ذات أهمية خاصة في جو منفتح لإبراز القيم المشتركة بين الدينين ، وتعزيزهـا . كمـا شارك في اللقاء مجموعة من الشباب ، من المسلمين والمسيحيين ، من الذكور

والإناث ، قدموا تصوراتهم حول موضوع اللقاء وما يرونه من سبل للتصدي للقضية التي دار حولها النقاش في اللقاء.

ونسأل الله جلت قدرته أن يكون في هذا الكتاب النفع المرجو ، إنه نعم المولى ونعم النصير.

رئيس المجمع

عمّـان في :

شوّال : ١٤٢٠هـ

كانون الثاني (يناير) : ٢٠٠٠م

كلمة

معالي الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد

في حفل الافتتاح

٢١ رجب ١٤١٩ هـ

الموافق ١٠/١١/١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب النيافة المتروبوليت داماسكينوس ،

أصحاب السماحة والمعالي والسيادة ،

إن صاحب السمو الملكي الأمير الحسن نائب جلالة الملك وولي العهد ، الرئيس الأعلى للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) ، الـذي أكرمنا بأن جعل هـذا اللقاء برعايتـه الكريمـة ، قد كلفني أن أنقل إليكم جميعاً تحياته الطيبة التي أنتم أهل لها وترحيبه لمقدمكم للمشاركة في هذا اللقاء بين المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) والمركز الأرثوذكسي في شامبيزي بسويسرا . وأنتم تعلمون جميعاً أن صاحب السمو الملكي في هذه الأيام يحمل من المسؤولية والأعباء والتبعات الشيء الكثير ، وقد كان حريصاً على أن يأتي قبيل افتتاح هذه الندوة ولكن سموه اتصل قبل قليل وقال إنه في الطريق إلينا وقد يأتي في أي لحظة إلا إذا حالت أعباء أخرى غير مقدرة حينما تحدث.

هذا هو اللقاء التاسع بين المجمع الملكي وبين المركز الأرثوذكسي في شامبيزي بسويسرا ، وقد كان يعقد دائماً، كما لا شك أن كثيراً منكم يعلمون ، مرة في الخارج إما في شامبيزي وإما في استانبول وإما في أثينا ومرة أخرى في عمّـان بالتناوب ، وأنتم أيضاً تعلمون ، وهذا لمجرد التذكير لمن لم يحضر الاجتماعات السابقة ، أننا عالجنا موضوعات متعددة كلها تمس القضايا الاجتماعية والمفاهيم العامة وما يمكن أن يسمى بمنظـومة المثل ، يبحثها باحث من الجانب الإسلامي ، ويبحثهـا باحث من الجانب المسيحي . الباحث الإسلامي يبين رأي المسلمين في الموضوع ، والباحث المسيحي يبين رأي المسيحيين في الموضوع ، ثم يعقب على الباحث المسلم معقب مسيحي ، ويعقب على الباحث المسيحي معقب مسلم . هذا هو الذي اتبعناه حتى الآن.

وهذا اللقاء بيننا وبين المركز الأرثوذكسي في سويسرا هو اللقاء التاسع عشر الذي نظمه المجمع الملكي مع ثلاث كنائس أخرى في أوروبا ، غير المركز الأرثوذكسي . الكنيسة الأولى هي الكنيسة الإنجليزية ، وقد عقدنا معها ندوتين ثم بعد ذلك تعاونا مع المجلس البابوي للحوار بين الأديان في الفاتيكان ، وأخيراً نظمنا ندوتين مع اتحاد الكنائس الإنجيلية في ألمانيا . فأنتم ترون أن تسع عشرة ندوة

عقدت حتى الآن مع أربع كنائس أوروبية، وهذا عمل كبير ، وقد نكمل العشرين إن شاء الله. ونقف قليلاً لننظر إلى الوراء ، ونقوم هذه الأعمال ، لأن القضية الأساسية التي تعترضنا دائماً من داخل أنفسنا ، من أعضائنا ، هي أن المقصود من الحوار ليس أن نجلس في غرفة مغلقة وأن نتحدث في هذا الجمع الكريم فحسب ، بل أن نستطيع أن نوسع نطاق هذا الحوار بحيث يصل إلى أكبر وأوسع قطاع ممكن من الناس ، وخاصة من الفئات المختلفة ، من الشيوخ والكبار ، من العلماء وأساتذة الجامعات ، ومن النساء ومن الشباب أيضاً ، الشباب الذين نريدهم أن يستمعوا إلينا لأنهم هم الذين سيواصلون رسالتنا في المستقبل . وأنتم تلاحظون أن هذا اللقاء قد ضم هذه الفئات المختلفة كلها . عندنا من العلماء الأجلاء ممن هم أصبحوا ركيزة لنا بحكم تجربتهم وخبرتهم وتقدمهم في السن ، وعندنا أيضاً العنصر النسائي المتميز من الجانبين ، وعندنا أيضاً نفر من الشباب . هذا هو المقصود من الحوار ، لكن الموجودين لا يزيدون على سبعين أو ثمانين ، كيف نوصل صوتنا إلى الخارج ، كيف يمكن أن نفعّل هذا الحوار بحيث يمكن أن نشرك معنا أكبر عدد ممكن من الناس حتى يحقق الحوار غايته . هذا السؤال سألناه مراراً ، كيف نطور الحوار وكيف نوسّع قاعدة الحوار . ولعلكم تتعرضون للإجابة ولو عرضاً في مثل هذا اللقاء.

النقطة الثانية أيها الزملاء الكرام التي أريد أن أقدمها إليكم هي أن الذين قدموا بحوثاً من الجانب الإسلامي على الأقل ، ولا أعرف موقف الجانب المسيحي في هذا الأمر ، والذين يعقبون ويناقشون إنما يمثلون أشخاصهم ويعبرون عن آرائهم . ليست لنا جهة موحدة ، حتى ولا المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، لتراقب البحوث او لتوجه المناقشات . فما ستستمعون إليه هي آراء شخصية ، وقد نختلف كثيراً والاختلاف من سنن الله في هذه الحياة ،خلقنا الله مختلفين في ألواننا ، في أعراقنا ، في أنسابنا ، في أحسابنا ، في مناصبنا ، في لغاتنا ، وفي أدياننا ، ولو شاء سبحانه وتعالى لجعلنا أمة واحدة دون اختلاف ، الآيات الكريمة كثيرة في هذا الموضوع ، تعرفونها أو يعرفها بعضكم على الأقل . ولولا الاختلاف ما كان ما يدعو إلى هذا اللقاء ، ولولا الاختلاف ما كان ما يدعو إلى التعقيب على البحوث ، ولا إلى المناقشات ، ولولا الاختلاف عندنا نحن المسلمين ما كان من داع لوجود الأئمة الذين يختلفون فيما بينهم في قضايا معينة ، نحن نسميها اختلافات في الفروع ولا تمس جواهر الأصول ، وقد يختلف التلميذ مع شيخه أيضاً في المذهب الواحد . هذا الذي نحن نسميه الاجتهاد ونعتز به غاية الاعتزاز ، وهو مظهر من مظاهر حرية الرأي وحرية التعبير أيضاً . هذا التحرر هو الذي

يجعلنا ننطلق في الحياة بآراء جديدة وأفكار جديدة . هذا الاختلاف هو الحوار ، ونحن نلتقي في ظل الحوار ، حوار الثقافات ، والحوار له تقاليده ، وأنا أعلم أنكم جميعاً حريصون على هذه التقاليد ، ولكنني لا أكتمكم أنه خُرج - لا أقول على هذه التقاليد دائماً - لكن خُرج عن هذه التقاليد في مناسبة أو مناسبتين سابقتين . وحدث أن احتوينا هذا الخروج عن هذه التقاليد . مثل هذه النخبة المنتقاة من أصحاب المكانة الفكرية والثقافية والاجتماعية والدينية لا بد أنهم أدرى مني بمعرفة تقاليد الحوار . لأننا اجتمعنا هنا لكي يفهم بعضنا بعضاً لا لكي يعادي بعضنا بعضاً ، واجتمعنا لكي نقول كلمة الخير ، الكلمة الطيبة ، نوصل آراءنا بالتي هي أحسن ، وليس بالاستثارة ولا بالاستفزاز .

الموضوع كما ترون هنا يشمل أمرين ، الأمر الأول صورة الآخر والأمر الثاني معنى المواطنة ، وكلاهما ينضمان تحت عنوان أوسع هو المسيحي والمسلم في المجتمع الحديث أو في المجتمع المعاصر . كثيرون يستغربون أن نبحث مثل هذا الموضوع ، ولا أكتمكم أننا في الأردن لا نحس بحاجة واضحة إلى بحث هذا الموضوع إلا حينما تنشأ مناسبة ، لكن بلاداً أخرى بحاجة إلى هذا . من أجل هذا نحن نعقد هذه الندوات تحت شعار حوار الثقافات ، وفي بلادنا المسلم والمسيحي هم من ثقافة واحدة ، من أجل هذا نحن نتحاور مع المسيحي الذي هو من ثقافة أخرى من أجل أن نعرض عليه الصورة التي نعتقد نحن أنها الصورة الصحيحة للإسلام ، ومن أجل أن نستمع إليه ليعرض علينا الصورة التي يعتقد هو أنها الصورة الصحيحة للمسيحية . وسيادة المطران جورج خضر بيننا هنا ، كدت أن أقول النصراني يعرض علينا أيضاً صورة النصرانية ، ولكن هذا التعبير لا يعجبه وإن كان يعجبني كثيراً ولعلي أجتمع معه ونتحدث بصراحة عن معنى النصراني الذي هو أنصار الله ، النصارى أنصار الله ﴿ **من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله** ﴾.

ما هي صورة المسيحي عندنا نحن المسلمين ، اسمحوا لي أن أقول إن القرآن الكريم تضمن حكمين ، حكم الله تعالى على المسلم وعلى المسيحي وعلى غيرهما من أصحاب الديانات الأخرى ، وجعل حسابهم يوم الفصل ولم يسمح لأحد أن يحكم عليهم في الدنيا حتى ولا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترك له الحكم عز وجل يوم الفصل . أما الحكم الثاني فهو لنا نحن البشر وكيف نتعامل مع الآخر . أنا أحب أن أقرأ عليكم بعض الآيات الكريمة في صورة الآخر وأظن أنها تمثل تمثيلاً واضحاً صريحاً هذه الصورة وتغنينا عن الشرح ، يقول الله تعالى : ﴿ **ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن**

المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين . وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين﴾ ، هذه هي صورة الآخر من أهل الكتاب . أيضاً صورة الآخر من أهل الكتاب : **﴿ وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب ﴾** . هذه صورة لمن يتذوق اللغة العربية يدرك أنها صورة في الغاية من الإشراق . أيضاً من آيات الله عز وجل قوله **﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾** ، إنما العدوان شيء آخر : **﴿ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾** . فإذا كان الأمر على هذه الصورة مع أهل الكتاب وفي مقدمتهم النصارى بطبيعة الحال أو المسيحيون ، لكن في الدنيا غير المسلمين وغير اليهود وغير المسيحيين ، فماذا قال الله تعالى عنهم ، قال ذلك في آيات متعددة ، قال : **﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾** ، وأضاف إليهم أيضاً بعد الصابئين المجوس والذين أشركوا، قال تعالى: **﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ﴾** .

لا أحب أن أطيل عليكم أيها السادة ، فحكم الله لنا نحن البشر واضح ، وحكمه تعالى في حسابه لنا ولغيرنا يوم القيامة ، يوم الفصل ، واضح . ولست أنا ولا غيري إلاّ من البشر. وأنا لا أريد أن أتحدث عن آداب الحوار وتقاليده الواردة في القرآن الكريم عن مجادلة أهل الكتاب ، فأنتم جميعاً تعرفونها.

أما الشق الثاني من الموضوع وهو المواطنة فأيضاً قضية مقررة واضحة كوضوح هذا الذي قلته عن صورة الآخر . هذا التقرير جاء إلينا من صحيفة المدينة حينما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين واليهود أمة واحدة ، هذا هو التعبير «أمة واحدة» ، ومن باب أولى بعد ذلك أن يكون أيضاً المسيحيون ، فنحن أمة واحدة. فإذن المسيحي عندنا هو مواطن شأنه شأن المسلم والقاعدة الذهبية في ذلك ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا . أنا أحب أن أذكر الأمور في مطلع الحديث لكي أوضح أن هذه القضايا عند العقلاء والعلماء والمفكرين والذين يتصلون بكتاب الله والذين هم من ذوي النيات الصافية واضحة ، ولكن لا بد من الاستدراك أن هذا حكم الإسلام ولا بد من وجود أخطاء كثيرة في التطبيق

عند المسلمين من حيث هم أفراد ، فنحن إما أن نحاكم الأخطاء عند المسلمين وإما أن نحكم على الإسلام ، فالحكم على الإسلام بيناه أما الأخطاء في الواقع العملي من المسلمين فهي أخطاء قائمة ولكني لا أحسب أنها تزيد على الأخطاء في الواقع العملي عند المسيحيين أنفسهم في العصور المتعاقبة.

أيها الإخوة ، مرة أخرى أنقل إليكم تحيات سمو الأمير الذي ننتظر تشريفه من دقيقة إلى أخرى ، وما أظن أن كلمة الافتتاح تحتمل أكثر من هذا الذي قلته لكم ، أتمنى لكم النجاح والتوفيق في البحوث التي تقدم وفي التعقيبات وفي المناقشات ، وأسأل الله تعالى أن يهدينا إلى صراط مستقيم وأن نصل إلى خلاصة تطمئن لها نفوسنا ثم بعد ذلك نواصل الاجتماعات القادمة لبحث موضوع جديد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة

نيافة المتروبوليت داماسكينوس باباندريو

في حفل الافتتاح

٢١ رجب ١٤١٩ هـ

الموافق ١٠/١١/١٩٩٨م

معالي الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد ،

أصحاب المعالي والسعادة ،

سيداتي وسادتي ،

قبل كل شيء أود أن أعبّر عن خالص شكري لصاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال ولي عهد الأردن صاحب الرؤية الملهم في إيجاد الحوار بين أتباع الدينين الإسلامي والمسيحي ، ليس لكرم ضيافته فحسب ، بل أيضاً لدعمه الدؤوب لاستمرار هذا الحوار في أوقات صعبة وحرجة حقاً . كما نود أن نتقدم بالشكر العميق إلى الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ولجميع الإخوة من مسلمين ومسيحيين الذين يقدّمون من خلال مشاركتهم الفاعلة في حوارتنا مثالاً ساطعاً على التعاون الصادق .

وقبل البدء في الحديث عن موضوع لقاء اليوم تتحول أفكاري إلى موضوع لقائنا السابق في استانبول (حزيران / يونيو ١٩٩٧م) الذي ناقشنا فيه موضوع « آفاق التعاون والمشاركة بين المسلمين والمسيحيين على أبواب القرن القادم » ، فقد زادت الأبحاث والمناقشات في لقاء استانبول من وضوح التزامنا بتناول المشكلات النظرية أو العملية الحديثة التي ينطوي عليها التعايش السلمي والتعاون الخلاق بين المؤمنين بالدينين ضمن إطار دولة حديثة .

وأستذكر مقتطفات من خطابَيْ قداسة البطريرك بارثولوميوس الأول وصاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال ولي عهد الأردن ، اللذين يشكلان مصدر إلهام لأعمال اللقاء الحالي أيضاً . فقد اختتم قداسة البطريرك تحيته للقاء الماضي بالعبارة التالية :

«تلخيصاً لما سبق من تأملات ، نؤكد أن المبدأ الأساس للتعاون بين المسيحيين والمسلمين هو المبدأ الذي يضع مختلف العوائق في سياق المجال السياسي الذي تعود إليه . فمعظم الأسباب المطروحة كعقبات في طريق التعاون ليست أسباباً دينية ، حتى ولو جرى طرحها على أنها كذلك .

أما المبدأ الثاني المنبثق عن الأول ، فهو أنه مطلوب منا أن ندرس بعمق تعاليم ديننا والنأي بأنفسنا عن هذه التشعبات السياسية التي تسربت إلى التعاليم الدينية المحضة » .

أما كلمة صاحب السمو الملكي ولي عهد الأردن التي تلتها نيابة عنه سمو الأميرة رحمة بنت الحسن فقد أولت اهتماماً خاصاً بصياغة اقتراحاتنا حول الحلول اللازمة للقضايا العلمية الحديثة ،

حيث يقول سموه :

« لا بد من فعل الكثير قبل أن ندرك على الصعد كافة أن لدينا أساليبَ مختلفة ، وإن كانت متكافئة ، من أجل إقامة سلام دائم يعم البشرية جمعاء . لذا فإننا ندعو بشيء من الإلحاح إلى وضع مجموعة مبادئ للتعايش تحظى بموافقة الجميع عليها ، واضعين نصب أعيننا دائماً أن كلاً من التراثين المسيحي والإسلامي يثيران اعتراضات لا يستهان بها ضد أي برنامج توفيقي . إذ بينما يصح القول بوجود توتّر في كل من المسيحية والإسلام بين موروث تعدّدي من ناحية ، وجوهر أخلاقي محدد المعالم من ناحية أخرى ، فإن بإمكان الجميع اتباع النواحي الغالبة المشتركة في التراث الإبراهيمي . أما المهمة التي تنتظرنا فهي إقامة الوسائل العلمية الضرورية من أجل أن تتجاوز بنا منافسات الماضي ومشاحنات الحاضر» .

ويقدم الحوار الديني بين المسلمين والمسيحيين استمرارية واطراداً لافتين للنظر حقاً وذلك بالرغم من نوازل الزمان التي تشوه الرؤية الشمولية للتعايش السلمي بين المؤمنين من جميع الأديان سواء عن طريق استثارة ظواهر التعصب الديني في بعض أصقاع هذا الكوكب أو عن طريق الآثار الجانبية الأكثر عمومية لهذا الظواهر المحلية على نطاق عالمي . وبالنسبة لُمشاهِد التلفاز أو القارىء المعاصر ، فإن المدى العالمي والحجم الهائل للمعلومات المتوفرة إلكترونياً أو عن طريق وسائل الإعلام الأخرى قد جعلت من الحاجة إلى التمييز بين ما هو كبير وما هو صغير ، وبين ما هو جزئي وما هو كلي ، وما هو قريب وما هو بعيد ، واحداً من الأمور النسبية ، مما يثير في الكثير من الأحوال ردود فعل نفسية أو اجتماعية مكبوتة، وذلك حسب مدى شيوع وكثافة الدعاية الممنوحة أو المطلوبة ، حتى في مناطق لا تتأثر مباشرة بظواهر التعصب الديني .

نحن نعرف جميعاً أن الحوار الديني بين المسيحيين والمسلمين يرزخ باستمرار تحت أعباء التركيز الانتقائي الذي تمارسه وسائل الإعلام الإلكترونية والمطبوعة ليس فقط في حالات وصف أية أحداث مأساوية ، بل أيضاً في إبراز الصور المفزعة لضيق الأفق الديني التي تفسر إما ببراءة أو عن قصد على أنها عقبة كبرى أمام الحوار الصادق بين المسيحيين والمسلمين . بيد أن كل إنسان على استعداد للاعتراف في عصرنا الحاضر بأن الحوار بين الأديان ليس مجرد حاجة ملحة للإنسان المعاصر ، بل هو أيضاً أفضل طرح موثوق به من أجل التعايش السلمي بين الشعوب ، ومن أجل تنفيذ العدالة الاجتماعية وحماية حقوق الإنسان دون تمييز عنصري أو ديني أو غيره من ضروب التمييز . هناك

أعداد متزايدة من الناس أصبحت تدرك ذلك ، وهذا لا يقتصر على الهيئات الدولية التي تسعى نحو إسهام الأديان في منح القوة الاجتماعية اللازمة عن طريق مجاهرتها بآرائها حول هذه الموضوعات ، بل يشمل أيضـاً حكومات الدول المسيحية والإسلامية التي تتعاون بدرجة متزايدة مع ممثلي الأديان بغية حماية التماسك الاجتماعي الداخلي لشعوبها .

وفي هذه الحالة يشكّل الحوار بين الأديان ردًا بليغًا مقنعـًا على الشكوك والتوقعات في زمننا هذا لأننا وصلنا بالفعل إلى لقائنا التاسع هذا الذي سنناقش فيه القضايا التي قد تكون أكثر أهمية بالنسبة للإنسان المعاصر : « المسلمون والمسيحيون في المجتمع المعاصر: صور الآخر ومعنى المواطنة » . إنه لموضوع صعب حقـاً ، لأنه ينطوي ، بالإضافة إلى منظوره الديني المحض ، على قضايا عديدة أخرى مصاحبة مثل صورة الآخر الديني في المجتمع الإسلامي أو المسيحي الحديث ، والمواطنة المشتركة بين المسيحيين والمسلمين في ذات الدولة حيث تؤدي إرادة الدولة دورًا هامـًا . ويعقد الحوار الديني من أجل التصدي لهذه المشكلات المرافقة الموازية أيضـاً وهي مشكلات متشابكة مع هويتنا الدينية .

بهذه الروح كرّسنا وقتـًا طويلاً في لقاءاتنا السابقة لنبرز الحاجة الملحة إلى تطهير التعليم المسيحي والإسلامي من أدران التحامل أو المرارة التي وصمت الماضي التاريخي ، وللرد على التحدي المتمثل فيما إذا كنا نريد حقـاً أن نبني جيلاً جديـدًا على أسس السلام والعدالـة الاجتماعية وحقوق الإنسان . أجل ، بهذه الروح يجب أن نتناول ملامح موضوع اللقاء الحالي البالغ الصعوبة إن كنا نريد فعلاً أن نعترف أو نغطي القصور الموجود عند الطرفين حول الآخر الدينـي وحول معنى المواطنة المشتركة لأتباع الديانات الأخرى في مجتمعاتنا المسيحية أو الإسلامية . وهذا النقص ملحوظ بصورة خاصة في الأمور العملية للحياة اليومية التي يعيشها المؤمنون مـنا ، لكنه يتلقى التغذية المتواصلة من مواقف الماضي النظرية أوالتشريعية المتسمة بالجمود .

إن صعوبة موضوع لقاء اليوم تكمن في كون القصور الذي يعتور الجانبين قد تأكد بطرق متعددة ، كما تكمن في الحقيقة القائلة إن تغطية هذا القصور لا يمكن أن تكون أحادية الجانب أو مسألة مستقلة خاصة بالدين فقط ، ذلك لأن هذه المشاركة في صلاحيات سلطات الدولة أمر موضع نزاع وخلاف ، كما أن الحساسية الاجتماعية التي تولّدت بالفعل بسبب هذه القضايا أمر لا يمكن إغفاله . وهكذا يتضح أن رسالتنا كممثلين لأدياننا ليست في الواقع أن نتجاهل سلطة الدولة أو الحساسية الاجتماعية ، بل أن نتقدم إليهما بموقف أدياننا من خلال مقترحات محددة المعالم إزاء هذه

الأمور بالذات ، أي الاعتراف بشخص مواطننا الذي ينتمي إلى الدين الآخر على أنه مواطن مساوٍ لنا في الدولة كما يمكن استنتاجه من بحوث ومناقشات سمعناها في لقاءاتنا الماضية .

إننا نعرف جميعاً أنه ليس بالإمكان تبني اقتراحاتنا ، إذا ووفق عليها في النهاية أثناء أعمال اللقاء الحالي ، فوراً من طرف الحكومات أو من قبل الرأي العام في أي من الجانبين ؛ بيد أننا نعلم أيضاً أن حكوماتنا ومعها شعوبنا تنتظر هذه الاقتراحات كل من دينها حتى وإن كانت لم تشعر حتى الآن باستعدادها لوضعها موضع التنفيذ عبر إصلاحات دستورية أو إجراءات اجتماعية محددة المعالم. إننا نعرف كما يعرف الجميع دون استثناء أن كلمة الدين هي كلمة السلام والعدالة والأخوة بين الأفراد والشعوب ؛ وأن هذه الكلمة في حوارنا لا يمكن إلا أن تقترن بالحاجات المعاصرة والملحة للمؤمنين منا .

أما اقتراحاتنا فتقتضي أن نستمد إلهاماً من الأمل بإن الأخوة بين الشعوب أمر لا يمكن التضحية به من أجل المواقف غير السليمة للماضي التاريخي ، أو لتردد هذا الماضي الذي يمكن وصمه بالنفاق والذي نتحمل نحن أيضاً قسطاً من أوزار المسؤولية عنه . وأما الثمن الذي دفعته الشعوب فكان باهظاً جداً لا سيما في حقبة انتقالية كهذه . وإذا عجزنا عن صياغة اقتراحات مسؤولة الآن ، فما علينا إلا الإقرار بأمانة بأن أدياننا ما زالت أسيرة التحاملات التاريخية ، وبأنها عاجزة عن الإسهام البنّاء في حل المشكلات الملحة التي تواجه الإنسان المعاصر . ولكن إذا تمكنا من صياغة مقترحات مسؤولة ، فإن لنا الحق فقط عندئذ ، أن نشجب أي تعصب أقرته قوانين الحكومات والمجتمعات في أي من الجانبين. لذا لنرتفع إلى مستوى المناسبة ونتقدم مجمعين باقتراح إجراءات معينة بسيطة عملية فورية من قبيل الآتي :

أولاً : ضمانة دستورية وتشريعية كاملة غير مشروطة لحرية الضمير الديني التامة وغيرها من الحريات الدينية لجميع المواطنين في الدول المسيحية والإسلامية .

ثانياً: حماية قانونية للمساواة أمام القانون وجميع الحقوق المدنية المعترف بها دولياً للأشخاص الذين ينتمون إلى ديانات أخرى في ظل الطابع التعددي الآخذ أبداً في التوسع للمجتمعات في جميع الدول المعاصرة تقريباً .

إن العولمة الحديثة للحياة العامة والخاصة لجميع الشعوب ، وحمّى ما يسمى بالمهاجرين الاقتصاديين في مواجهة التفاوت الاجتماعي الآخذ أبداً في الاتساع من حيث تقسيم الخيرات التي

خلقها الله بين الشعوب ، والتغلب المتواصل للظواهر غير الصحية مثل كُرْه الأجانب والعنصرية على القبول أو حتى التسامح مع الأشخاص المنتمين إلى جماعات عرقية أو دينية أخرى ضمن بُنى المجتمعات المحلية ، والمشكلات اليومية الملحة التي تمسك بخناق بني جلدتنا ، ومن يعتنقون ديننا في المجتمعات غير المضيافة في البلدان الغنية ، وغير ذلك الكثير مما سيشار إليه في أبحاث هذا اللقاء الديني ومناقشاته ، سترغمنا جميعاً على التغلب على أية تحفظات غير موضوعية ، وستجبرنا على تأييد الحد الأدنى من المقترحات التي سلف ذكرها . وسوف تسّهل هذه المقترحات على الحكومات أن تنهض بمسؤولياتها التي حددتها القوانين بغية ضمان حماية أكثر فاعليه لحقوق الإنسان ، كما ستسّهل على المجتمعات المحلية احترام الحقوق الثابتة لأتباع الديانات الأخرى .

غير أن التزامنا أعظم من ذلك لأن هذا الاجتماع يعقد الآن في دولة تمكنت قيادتها المستنيرة من تحقيق ما كان ليس إلاّ حلماً من أحلام المستقبل . إن الأردن مثال نادر لأية دولة من حيث دعمه الرائد لواقعية مقترحاتنا ، ذلك لأن رغبة الدولة في الدفاع عن المساواة التي يتمتع بها جميع رعاياها أمام القانون ، بغض النظر عن معتقداتهم الدينية تعمل بصورة مجدية نافعة لصالح التلاحم والتقدم الاجتماعيين . ففي هذا البلد يتمتع كل إنسان بحرّية الرؤية لجاره الذي ينتمي إلى دين آخر ذكراً كان أم أنثى على أنه أخوه أو أخته . وهنا لا يستطيع أي إنسان الاعتراض على ذلك لأن هذا النجاح هو الثمرة الناضجة للتعاون المتناسق بين الدولة وقيادة البلد الدينية . وهنا يعرف كل إنسان أن فكرة «الآخر» فيما يتصل بالمعتقدات الدينية ليست تهديداً بل على العكس من ذلك ، إنها حافز على تطوير المجتمع .

لا مندوحة عن نشر هذا النموذج الناجح على الصعيد الدولي لأنه يؤكد أن رسالة الأديان تتمثل دائماً في تعزيز أخوة الشعوب وأن التزام الحكومات يتمثل دائماً في دعم الإلغاء القانوني لأية ضروب من التمييز ، دينية كانت أم غيرها ، التي تشجع على الإضرار بالتماسك الاجتماعي للمواطنين، كما يتمثل هذا الالتزام في مزيد من التحقيق لإمكانيات كل مواطن وذلك لمصلحة الدولة والمجتمع على حد سواء .

رسالة

قداسة البطريرك بارثولوميوس الأول

في حفل الافتتاح

٢١ رجب ١٤١٩ هـ

الموافق ١٠/١١/١٩٩٨م

إلى نيافة متروبوليت سويسرا داماسكينوس المبجل ، كبير أساقفة أوروبا ، الأخ العزيز في الروح القدس والشريك الكهنوتي لشخصي المتواضع ، النعمة والسلام على نيافتكم الموقرة ،

انطلاقاً من إيماني المتواصل بإمكانية التعايش السلمي والتعاون بين جميع المواطنين من ذوي النوايا الطيبة ، أبعث بتحياتي القلبية المخلصة إلى اللقاء المقرر عقده بين العاشر والثاني عشر من الشهر الجاري كجزء من الحوار الديني المشترك الذي يعقد بين كنيستنا الأرثوذكسية والإسلام لدراسة جانب معين من هذا الحوار تحت عنوان «المسلمون والمسيحيون في المجتمع المعاصر : صور الآخر ومعنى المواطنة» .

وفي هذا الصدد نودّ أن نبعث بتحياتنا الخالصة للزمرة المتميزة من المشاركين الأفاضل في هذا اللقاء وبأخلص تمنياتنا بكل الخير لهم . ورغبةً من جانبنا في وضع لبنة في صرح التفاهم المتبادل والسلام نقول إنه من خلال رصد التاريخ وكذلك من مشاهدة التجارب الحديثة ، اتضح أن التنوع الديني لا ينطوي بالضرورة على العداوة بين أتباع العقائد المختلفة . أما ما يؤدي إلى المفاقمة فهي روح التعصب التي لا يقتصر فعلها على تحريض أتباع دين ضد أتباع دين آخر فحسب ، بل تحريض هؤلاء ضد من يدينون برأي مخالف ولو بقدر ضئيل حتى وإن كانوا من أتباع الدين نفسه . إن روح التعصب هذه منافية لجميع الأديان كما تثبت الحقيقة القائلة إن أبرز المفكرين وأسمى الشخصيات في جميع الأديان يمقتون هذا التعصب . وعلى العكس من ذلك فإن أولئك الذين ينشرون بذور التعصب هم الذين يريدون فرض الهيمنة العلمانية في لحظات الاضطراب والصراع ، الأمر الذي لا شك في أنه يغضب الله أرحم الراحمين الذي يريد من جميع مخلوقاته أن تعبده بسلام . ذلك لأن السلام في كل من المأثورات المدونة المسيحية والإسلامية هو الخير الأعظم والعنف الجسدي هو الشر الأعظم . وقد جاء في إنجيل متى ٥/٩ : «طوبى لصانعي السلام » . كما جاء في إنجيل يوحنا ١٤/٢٧ : «سلاماً أترك لكم » ، كما ورد ذلك في مواقع أخرى كثيرة في الكتاب المقدس ؛ وورد في القرآن الكريم في الآية ٣٣ من سورة الأعراف : **﴿ قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق﴾**، وجاء في الآية ٣٢ من سورة المائدة : **﴿ أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ﴾** .

وبناء على ذلك فإنه عندما تظهرالوحشية فإنها تنجم عن قساوة قلوب البشر وتمثّل خروجاً عن مشيئة الله السامية والأولى ، وذلك بأسلوب يفرض علينا كقادة دينيين إرشاد المؤمنين منا نحو المستوى الأرفع من النضوج والحياة الروحيين ، متسامين عن نواحي الضعف البشري وما يصحبه من زلات تقود

إلى سبل في الحياة تنحطّ عن مرتبة المشيئة الإلهية ٠

وإذ يراودني الأمل بأن فكرة السلام والتعاون بين المؤمنين من مختلف الأديان قد نضجت بالفعل في قلوب أعمق الناس تفكيراً وأكثرهم مراعاة لمشاعر الآخرين ، لأرجو أن تتجذر هذه الأفكار في قلوب آخرين غيرهم ممن لم يقدروا كرم الله وإحسانه الأصيل حق قدره ، كما أضرع إليه سبحانه في أن يبسط على الجميع نوره ورحمته التي لا تعرف الحدود ٠

الفصل الأول

نظرة المسلم إلى المسيحي (الأسس والواقع المعاصر)

نظرة المسيحي إلى المسلم (الأسس والواقع المعاصر)

نظرة المسلم إلى المسيحي : الأسس والواقع المعاصر

الأستاذ محمد السماك *

بعض الاعتقادات تدوم ولكن ذلك لا يعني أنها صحيحة.

وبعض القواعد تتجذّر ولكن ذلك لا يعني أنها عادلة.

وبعض التقاليد تتأصل ولكن ذلك لا يعني أنها ضرورية.

ثمة اعتقادات وقواعد وتقاليد تستمد ديمومتها من قدرتها على الاستمرار وليس من صحتها أو من عدالتها أو من ضروريتها.

إن الأفكار أشبه ما تكون بالفيروسات ، فهي تعيش وتنتشر عندما تجد استعداداً لتقبلها ، وهي تموت وتندثر عندما تواجه مناعة ترفضها وتقطع تواصلها.

وما ينطبق على الأفراد ينطبق على المجتمعات . فالأفكار ـ بصرف النظر عن مضمونها ـ تتسرّب إلى العقول وتتغلغل في النفوس عندما تطرح في مجتمع ضعيف المناعة أو فاقد لها وغير محصن ذاتياً ضد ما تحمله من قيم ومبادئ حسنة أو سيئة ، صحيحة أو خاطئة.

من هنا ، فإن نظرة المسلم إلى المسيحية هي حصيلة مجموعة كبيرة من التقاليد والاعتقادات والقواعد التي يحتاج تفكيكها والغوص في غمارها عمل فريق من رجال الاختصاص في علوم الاجتماع والدين والتربية والتاريخ ، وربما في مقدمة ذلك في علم النفس.

إن المعرفة الإسلامية بالمسيحية تتأثر إلى درجة كبيرة بكمٍ هائل من التراكمات الثقافية ، وهي تراكمات ترسي فيها سطحية المعرفة ثوابت اجتماعية يصبح التعرض لها بمثابة التعرض للمقدس من الشعائر.

ومنذ أن تخلى المؤرخون العرب عن استخدام مصطلح «حروب الفرنجة» ، وتبنوا المصطلح الغربي لها وهو الحروب الصليبية ، بدأت تتكون ثقافة إسلامية متحفظة وسلبية تجاه المسيحية ، من دون

---

* الأمين العام للجنة الوطنية الإسلامية للحوار / مستشار مفتي الجمهورية ، بيروت ـ لبنان.

أن تميز بين المسيحية والغرب ، وبين المسيحية العربية والمسيحية الغربية ؛ أدى ذلك إلى إهمال بعض أبرز مظاهر تلك الحروب وهي أن المسيحية الشرقية كانت ضحيتها الأولى . ففي ثقافة تقوم على أساس الاعتقاد بأن المسيحية شنت تلك الحروب على الإسلام ، لا تحاول الذاكرة التاريخية أن تحتفظ بموقع للمعاناة المسيحية الشرقية من حروب الفرنجة . وبالتالي لم تسمح تلك الثقافة بتوظيف المعاناة المسيحية - الإسلامية المشتركة من تلك الحروب في بلورة هوية قومية على قاعدة المصير المشترك . كان علينا أن ننتظر عدة قرون لنتعرف على محاولة من هذا النوع جرت مع انحلال الإمبراطورية العثمانية عندما قام المثقفون المسيحيون العرب بدور رائد في بلورة معالم القومية العربية في إطار الحركة الاستقلالية ، خاصة بعد عودة إيران إلى فارسيتها في وقت ما ، وعودة تركيا إلى طورانيتها . ولكن هذه المساهمة المسيحية العربية جرى تشويهها بشكل متعمد عندما صُوِّر دور المسيحية العربية وكأنه مقصود لتوجيه الطعنات إلى الخلافة الإسلامية من الخلف بتحريض من القوى الاستعمارية وريثة الإمبراطورية العثمانية المنهارة.

شكّل دخول الاستعمار الغربي إلى العالم العربي فصلاً جديداً في الثقافة الإسلامية السلبية تجاه المسيحية . فالجنرال ألنبي عندما دخل القدس ردد عبارته المشهورة : «الآن انتهت الحروب الصليبية» . ولقد اعتبرت أوروبا كلها دخوله المدينة المقدسة انتصاراً لها بالرغم من أن دولها كانت في ذلك الوقت في حالة حرب . وتعبيراً عن ذلك دقت أجراس الكنائس في عواصم ومدن الدول الأوروبية المتحاربة فرحاً وابتهاجاً . ثم عندما دخل الجنرال غورو بعد ذلك دمشق ورفس بجزمته قبر صلاح الدين مردداً عبارته المشهورة «ها قد عدنا يا صلاح الدين» ، أعطى للاستعمار الغربي طابعاً تجديدياً للحروب الصليبية. ولكن المسيحية العربية رفضت أن تلعب دور حصان طروادة في حروب الفرنجة الأولى والثانية . فكان من بين رجالات الاستقلال عن الاستعمار في لبنان وسورية ومصر والعراق وفلسطين أعلام من المسيحيين المناضلين.

حاولت الدول الاستعمارية منذ أواسط القرن الماضي استخدام ورقة المسيحيين العرب على اختلاف كنائسهم كأقليات للتغلغل إلى المنطقة العربية ولتبرير تدخلها في شؤونها الداخلية. وبالرغم من أن المسيحيين العرب لم يطلبوا حماية الغرب ، بل وقاوموها في بعض المناطق ، إلا أن ثقافة الاستخدام الغربي للأقليات المسيحية وجدت من يعتني بها ويردفها بأدبيات تفتقر إلى الأمانة التاريخية وإلى الصدقية العلمية ، حتى تكونت شعارات خطرة وخطيرة مثل شعار «أمة الكفر واحدة» ، وهو

شعار يستهدف تعميمه قطع الطريق أمام أي محاولة لفك الارتباط في الثقافة الإسلامية بين المسيحية العربية والغرب.

أدت هذه التراكمات الثقافية المسطحة إلى تكوّن الظاهرة الأسوأ في نظرة المسلمين إلى المسيحية، وهي ظاهرة رد الفعل بتوجيه الاتهام إلى المسيحية العربية في كل مرة تواجه فيها حالة إسلامية مأزقاً ما، أو مشكلة ما ، سواء مع سلطة داخلية أو مع سلطة خارجية . فعندما تضطرب علاقات جماعة إسلامية ما بالسلطة في بلدها، لأي سبب من الأسباب ، فإن استمرار تعاون شخصيات وطنية مسيحية مع هذه السلطة ، سرعان ما يفسر على أنه تحدٍّ لهذه الجماعة ومن ثم تحدٍ للإسلام.

وعندما تبادر دولة أجنبية ما بتوجيه الاتهام إلى سلطة عربية بأنها لا تحترم حق المسيحيين في ممارسة شعائرهم الدينية يوجه الاتهام إلى هؤلاء المسيحيين بأنهم هم الذين شكوا إلى تلك الدولة وحرضوها على اتخاذ هذه المبادرة الاتهامية.

هناك مشروع قرار في الكونغرس الأمريكي ينص على فرض عقوبات اقتصادية وسياسية على الدولة - أو الدول - التي تمارس الاضطهاد الديني وخاصة ضد المسيحيين . وهو مشروع من شأن تنفيذه أن يفرض معطيات تتسبب في تشوهات خطيرة في نظرة المسلم إلى المسيحية.

في الأساس ولد المشروع في مؤسسة تدعى بيت الحرية. وهي مؤسسة صهيونية أمريكية يترأسها مايكل هوروفيتز وهو محام يهودي عمل في إدارة الرئيس الأسبق رونالد ريغان . يدّعي هوروفيتز أن المسيحيين في الدول الإسلامية ممنوعون من بناء الكنائس وحتى من ممارسة شعائرهم الدينية، وأن إخوانهم المسيحيين في الغرب يقصرون في الدفاع عن حقوق «إخوة الإيمان» . واستناداً إلى تقرير نشرته مجلة جيروسالم ريبورت في عدد كانون الثاني / يناير ١٩٩٧م ، فإن بيت الحرية نظم مؤتمراً تحت عنوان «اليوم العالمي للتضامن مع الكنيسة المضطهدة» حضره ممثلون من ٤٠ ألف كنيسة في الولايات المتحدة تضامناً مع مسيحيي العالم الإسلامي . واتهم المؤتمر كلاً من الكنيسة الأمريكية والإدارة الأمريكية بالتقصير ودعاهما إلى العمل على إنقاذ مسيحيي الشرق من بين براثن الإسلام.

وقد ترافق هذا الأمر مع حملة إعلامية منظمة كان من أبرز نجومها مايكل روزنتال وهو كاتب مقال في صحيفة نيويورك تايمز ، وبات يؤول مؤلف كتاب «انقراض المسيحيين الشرقيين في ظل الحكم الإسلامي»، ونيناتشا مؤلفة كتاب «في عرين الأسد» (In the Lion's Den) ، وستيفن إمرسون مؤلف

كتاب «الأسلمة وأثرها على العلاقات الدولية وحقوق الإنسان» ، وجورج مارشال مؤلف كتاب «دمهم يصرخ» (Their Blood Cries Out) ، وهؤلاء جميعاً هم من اليهود الأمريكيين المعروفين بصهيونيتهم المتطرفة.

وتلقف كرة هذا التحرك أعضاء يهود في الكونغرس ومن أبرزهم آرلن سبكتر وهو يهودي يمثل ولاية بنسلفانيا ، وفرانك وولف وهو من الكنيسة المشيخية (Presbyterian) عن ولاية فرجينيا ، وقدموا مشروع القرار الذي أقر في مجلس الشيوخ بأكثرية كبيرة . وعندما يصبح قراراً رسمياً بعد إقراره في مجلس النواب ، فإنه يشرّع لتدخل أمريكي مباشر بحجة حماية المسيحيين في الدول الإسلامية (علماً بأن المشروع ينص على حماية الأقليات المسيحية المضطهدة في أي مكان من العالم).

إن أي مبادرة أمريكية للدفاع عن المسيحيين في الدول العربية والإسلامية ، تنطلق من هذه المعطيات ومن هذه الخلفية ، تؤسس لحالة صدامية إسلامية - مسيحية. ذلك أن هذه المبادرة تعني :

أ - أن هناك اضطهاداً دينياً موجهاً ضد المسيحيين ، وهذا ليس بصحيح ، وإن كانت الأوضاع ليست على أحسن ما يرام.

ب - اتهام الإسلام بأنه مصدر هذا الاضطهاد وسببه . وهذا اتهام باطل في الشكل والأساس لأن علاقة الإسلام بالمسيحية ليست علاقة عدائية ولا هي علاقة تسامحية ، لكنها علاقة إيمانية . أي أنها تقع في أساس العقيدة الإسلامية.

ج - طرح الولايات المتحدة - أو الغرب - حامياً للمسيحيين في الشرق.

وهذا الأمر حدث في السابق ودفعنا جميعاً ، مسلمين ومسيحيين ، ثمنه غالياً جداً، وتعلمنا من هذا الأمر ما يكفي من الدروس والعبر.

والمهم الآن هو توظيف ذلك في فهم إسلامي - مسيحي أعمق يؤدي إلى تفاهم أمتن يجنبنا معاً الوقوع في التجربة المرة مرة أخرى.

وسبق ذلك تحرك كنسي أوروبي قام به مؤتمر الكنائس الأوروبية KEK ومجلس الأساقفة الأوروبيين CCEE ورفع شعار المعاملة بالمثل Reciprocity . وتعني ترجمة هذا الشعار دعوة الدول العربية والإسلامية إلى معاملة الأقليات المسيحية كما تعامل الدول الأوروبية الأقليات الإسلامية المهاجرة إليها. إن أخطر ما في هذا التحرك هو اعتبار المسيحيين العرب أقليات ، بينما هم في الواقع جزء من

الأكثرية العربية، والتعامل معهم وكأنهم مهاجرون أو طارئون ، بينما هم في الواقع أصيلون متجذرون أصحاب أرض ووطن . وهو ما يحتاج إلى حوار إسلامي ـ مسيحي لتكريسه وتثبيته في بنية الدولة والمجتمع.

وهناك التطور الذي طرأ على طبيعة نظرة الفاتيكان إلى اليهود وانعكاسات هذا التطور على العلاقات الفاتيكانية ـ الإسرائيلية ، وبالتالي على نظرة المسلمين إلى الفاتيكان وتعاملهم معه وبالتالي على نظرة المسلم إلى المسيحي الذي يعتبر الفاتيكان مرجعاً له ومرشداً . إن التداخل بين ما هو يهودي وما هو إسرائيلي يجعل من غير اليسير الفصل بين ما هو ديني وما هو سياسي في الموقف الفاتيكاني، الأمر الذي يحتاج إلى جهد حواري كبير لفك الارتباط بين العلاقات الإسلامية ـ المسيحية والملابسات المترتبة على هذا التطور . ولا يتحقق ذلك إلا بالحوار.

ثم هناك هجرة المسيحيين العرب إلى بلدان شتى في الغرب خاصة ، والتي بلغت مستويات أقلقت القيادات الروحية المسيحية ، فكان لقاء نيقوسيا في قبرص في ٢٣ ـ ٢٤ كانون الثاني / يناير ١٩٩٨م الذي خصص لبحث هذه القضية ، وهو أول لقاء على مستوى القمة الروحية لكنائس الشرق كلها منذ أكثر من ١٤٠٠ عام.

فالهجرة المسيحية ترسم علامة استفهام حول مستقبل المسيحي في الشرق ، وبالتالي حول طبيعة علاقات المسيحي مع مسلمي الشرق.

إن ظاهرة الانحسار التدريجي للحضور المسيحي تشمل معظم دول المنطقة : مصر وسورية والأردن والعراق والسودان . ولبنان ليس استثناء . إلا أن أكثر ما يؤلم أن هذا الانحسار وصل في مهد المسيح القدس وبيت لحم إلى مستوى لا سابق له في التاريخ حتى بعد انتهاء حروب الفرنجة . فقد انخفض عدد المسيحيين في القدس من ٣٠ ألفاً في عام ١٩٤٨م إلى ١٥ ألفاً في عام ١٩٦٧م (سقوط القدس بيد إسرائيل) فإلى ٨ آلاف فقط في الوقت الحاضر.

إن القلق المسيحي على المستقبل يعني قلقاً على صيغة العيش المشترك مع المسلمين . وهو قلق يحدد زوايا جديدة لنظرة المسلم إلى المسيحي ولنظرة المسيحي إلى المسلم.

وقد ترافق ذلك مع تزايد الشعور الإسلامي بالمحاصرة والاستعداء خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة وبروز حاجة الغرب إلى اصطناع عدو بديل عن الشيوعية يشكل حافزاً للتضامن الغربي . وجرت عدة

محاولات لفلسفة هذا الأمر لعل أشهرها دراسة صموئيل هانتنغتون عن صراع الحضارات (Conflict of Civilizations) ، وكتاب الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون عن «انتزاع اللحظة» (Seize the Moment) وغيرها.

فالإسلام متهم بعدم احترام حقوق الإنسان وخاصة حقوق المرأة . وهو متهم باللاديمقراطية وبرفض الليبرالية . كما أنه متهم بأنه السبب الكامن وراء التخلف الذي يعصف بالعالم الإسلامي من أندونيسيا حتى المغرب.

كما ترافق مع صعود حركات العنف السياسي في العديد من الدول الإسلامية، كرد فعل على هذا الشعور الاستعدائي من جهة ، وكرد فعل على خيبات الأمل من فشل حكومات هذه الدول في مواكبة مسيرة التحديث والعصرنة، وحتى في الاستجابة إلى الحد الأدنى من مستلزمات الحياة الكريمة للناس.

لا شك في أن السؤال الذي يتحتم طرحه هنا بكل موضوعية هو : لماذا تلقى هذه الثقافة أرضاً خصبة في الذهن المسلم؟

إن محاولة الإجابة على هذا السؤال تتطلب الإقرار بأمور ثلاثة على درجة كبيرة من الأهمية:

الأمر الأول : هو أن معرفة المسلم بالمسيحية هي بصورة عامة «معرفة مهزوزة»، ولا أعرف بحثاً فقهياً إسلامياً أو لاهوتياً مسيحياً يشرح الركن الإيماني المسيحي الأساسي بشكل يساعد على تصحيح هذه المعرفة أو تصويبها بما يحقق وحدة الإيمان بالإله الواحد.

إن نظرة المسلم إلى المسيحية تتسم بالارتباك الشديد نتيجة ما يبدو اضطراباً بين النص القرآني الذي يمنح أهل الكتاب مكانة خاصة في الإيمان الإسلامي من جهة ، والصورة المعرفية لمفهوم التوحيد عند المسيحية . وإن الحذر المتبادل من الدخول في حوار لاهوتي - فقهي له ما يبرره عند المسلمين وعند المسيحيين معاً ، ولكن لا بد من جهد ما لتقريب المسافة بحيث تتمكن عين المعرفة عند المسلم من تركيز عدستها على حقيقة المفهوم المسيحي لفكرة التوحيد المسيحي.

الأمر الثاني : هو أن معرفة المسيحي بالإسلام هي بصورة عامة أيضاً «معرفة مشوهة» . بمعنى أن المسلم يشعر بأن ثمة تواصلاً ثقافياً بين المسيحي العربي والغرب المسيحي ، وهو (أي المسلم) إذ يشكو تحديداً من النظرية الغربية التي تتهم الإسلام كدين بأنه السبب الأساسي وربما الوحيد وراء تخلف العالم

الإسلامي كله بما فيه العالم العربي ، يعتقد أن هذه النظرية تعطي المسيحي العربي الانطباع بأنه محكوم بالعيش في مجتمع متخلف لمجرد أنه يعيش في مجتمع غالبيته من المسلمين.

الأمر الثالث : غياب أو تغييب الجسر المعرفي بين المسلم والمسيحي ، وبين المسيحية والإسلام . فمع استثناءات محدودة لا تشكل على كل حال نمطاً اجتماعياً ، أو قاعدة سلوكية عامة ، فإن العلاقات الإسلامية ـ المسيحية في غالبيتها هي علاقات مجاملة وتأدب ولياقات ومراعاة للآخر . وتكاد المعرفة بالآخر تنحصر في أقلية صغيرة من الجانبين . وهذه الأقلية ليست جسورة بما فيه الكفاية لتكوّن هذا الجسر . أي لتقول للمسلم ، لا ليست المسيحية العربية طابوراً خامساً للغرب ، ولكنها أصيلة في عروبتها وسابقة في وجودها وفي قوميتها حتى للإسلام نفسه ، وهي ليست معطِلة لتطبيق الشريعة الإسلامية ولكن لها شريعتها ومنهاجها . وإنها ليست جزءاً من ثقافة الغرب الإلغائية للآخر ولكنها جزء من ثقافة إسلامية كان ولم يزل لها دورها في صناعتها وفي إحيائها . وإن معادلة التفاهم الإسلامي ـ المسيحي ليست معطِلة ولا معرقلة لشعارات التفاهم الإسلامي ـ الإسلامي ، ولا هي تعتبر بديلاً عنها ولكنها متكاملة معها ، وإنها تشكل ركناً أساسياً من أركانها.

جرت وتجري محاولات عديدة لترقيع صورة الأنا في نظر الآخر . صورة المسيحي في نظر المسلم ، وصورة المسلم في نظر المسيحي . أحياناً ، استهدفت عمليات الترقيع طمس بعض المعالم غير المستحبة في وجه هذا ، أو ذاك ، واستهدفت أحياناً أخرى إجراء عمليات تجميلية (Cosmetic) لهذا الموقف أو ذاك . غير أن المطلوب أمر آخر مختلف تماماً. المطلوب هو وضع أسس تربوية تقوم على أساس قبول الآخر واحترامه كما هو ، لأننا به نكتشف ذواتنا وبمعرفته تتكامل معرفتنا . ولأننا جميعاً نسعى إلى معرفة الحقيقة ، ضالة كل مؤمن.

تعليـــق

الدكتورة ماريا برون *

« هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معًا . مثل الدهن الطيب على الرأس النازل على اللحية ، لحية هارون النازل إلى طرف ثيابه مثل ندى حرمون النازل على جبل صهيون لأنه هناك أمر الرب بالبركة حياة إلى الأبد » المزمور ١٣٣ .

بهذه الترنيمة « ترنيمة المصاعد » للملك داود أود أن أشارك بتأملاتي وأفكاري حول القواعد والحقائق المعاصرة لمعنى المواطنة المشتركة بين المسيحيين والمسلمين على مشارف حلول ألفيّة ثالثة . وبما أنني أدرك أن التقويم (الروزنامة) الإسلامي تقويم مختلف ، أرجو أن ألفت انتباهكم إلى الحقيقة القائلة إن المجتمعات الغربية تنتظر مُنْقَلَبَ القرن بمشاعر مختلفة تمامًا . إذ تحاول مجموعة كبيرة من الحركات الغامضة الخفية والطوائف وجماعات العصر الجديد وغيرها من الفئات التي يغلفها الغموض والشك جمع المال عن طريق نشر بذور القلق بين الناس باستغلال أزمة للهوية وإشاعة جو رؤيوي في مجتمعنا. فقد يكون قرن جديد نقطة تحول في حياة البشرية كما قد يكون أيضًا عملية انتقال نحو فرص مجهولة. وحتى عندما نعود إلى العصور الماضية بغية التماس النصح من أقوال النبوءات ، فإننا نجد العديد من الاحتمالات والتوقعات الإيجابية . بيد أنه لن تكون هناك أية نتائج مجدية مؤاتية دون جهود مشتركة يبذلها البشر ، ولكن لن يكون ثمة سلام على الأرض ما دام هناك افتقار إلى الرضى والامتنان في قلب كل إنسان . ولا يعتمد الشعور بالسعادة وبالحرية ، وهي الغاية الوحيدة التي يبتغيها معظم الناس ، اعتمادًا حصريًا مشروطًا بتوافر المرافق والتسهيلات الاجتماعية والإنجازات السياسية . فالسعادة والحرية نتيجة ، قبل كل شيء ، لما نمارسه نحن بالذات من عدالة واستقامة خاصة نحو جيراننا في المقام الأول . وبعبارات أكثر تحديدًا سيكون جواب الإنسان ورده على الله الرحمن الرحيم سبحانه، في نهاية المطاف هو ما قدمه الإنسان للعالم بوصفه خليقة الله ، كهدية أو هبة من صميم قلبه مدفوعة بالمحبة وقائمة على الإيمان بالله .

يبدو أن ورقة السيد محمد السماك تتركز بصورة خاصة على تجربة المواطنة المشتركة بين

---

* باحثة في اللاهوت ، لوسيرن – سويسرا .

المسلمين والمسيحيين في المنطقة الجغرافية التي تقع فيها البلدان العربية الشمالية أي مصر وسوريا والأردن ولبنان وفلسطين ، غير أنه يذكر أيضًا العراق والسودان . ويؤكد مرارًا على الحقيقة التي مؤداها أن للعرب المسيحيين والمسلمين الخلفية الثقافية نفسها . كما أنه يبرز بصفة خاصة حقيقة أن المسيحيين العرب سكان أصليون متجذرون بعمق في وطنهم . ذلك لأن أي اتجاه يأتي من خارج العالم العربي أو من داخله يعتبر المسيحيين الشرقيين أنهم مجرد أقلية أو يعطيهم مجرد صفة المهاجرين أو زوار طارئين ، هو اتجاه خاطىء تمامًا . ولا سبيل إلى نكران هذا الطابع الأصيل للمسيحية العربية وكذلك للقومية العربية ، لأنها كما يلاحظ الأستاذ السماك نفسه ، كانت موجودة بوضوح « حتى قبل الإسلام ذاته » . ولهذا السبب نجد الأستاذ السماك يطالب بحوار إسلامي مسيحي حول الحقائق التاريخية آخذاً في الحسبان أن المسيحيين العرب جزء لا يتجزأ بالفعل من العالم العربي .

ولذا فإن على حوار كهذا أن يثبت أنه يجب النظر إلى العرب المسيحيين منهم والمسلمين على أنهم « جزء أساسي من الدولة والمجتمع » .

ومن أهم النقاط التي ركّز عليها الأستاذ السماك والمأخوذة من وجهة نظر تاريخية ، ضرورة تكوين هوية قومية مشتركة بناء على تجربة المعاناة الإسلامية المسيحية المشتركة من ناحية وعلى مصير واحد من ناحية أخرى . أما فيما يتصل بالأحداث التاريخية المختلفة بما فيها أيضًا من لحظات محزنة مؤلمة خلال العقود الأخيرة ، بل القرون في الواقع ، فإنه لا بد من أن يكون بالإمكان التوصل « إلى تفاهم أعمق يقود إلى وفاق أقوى متبادل مشترك » . وبعبارة أكثر تحديداً فإن من شأن هذا الطرح توعية العرب – المسلمين منهم والمسيحيين على حد سواء ، وربما اليهود كذلك في المستقبل – بأنه في مواجهتهم للمستقبل معًا وما ينطوي عليه ذلك من موقف موحد إزاء أهم النواحي المتصلة بالأبعاد الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية للحياة اليومية ، سوف يعززون الجهود المشتركة ضد الإساءات والأخطاء التي يقترفها طرف ثالث . لأنه إذا ما تشارك العرب المسيحيون والمسلمون في تجارب خيبات الأمل والمشاعر العدائية والاتهامات والتجارب المريرة ، فإن ذلك سيفتح طريقًا جديداً أمام الطرفين من أجل العثور على الحقيقة .

ويوضح السيد السماك في ورقته أن اليوم هناك حاجة لأمر مختلف تمامًا . وباجتماعنا معًا انطلاقًا من إطار ثقافي مختلف ، لا بد وأن تتغير أفكار المشاركين من ناحية السلوك الخارجي ، ويعني ذلك في الغالب سلوكًا سطحيًا ، لتتحول إلى تلاقٍ أصيل حقًا . ولا بد للشعوب من مختلف الأمم

والثقافات والأديان من أخذ « الآخر » في الحسبان . ويجب أن لا يشكل هذا بعد الآن أي عقبة أمام الحوار الثنائي بل على العكس ، فهو ينطوي على إثراء متبادل . وفي هذا السياق يطالب السيد السماك بالتغلب على الاجتماعات التي تقتصر فقط على المجاملات والحرص على مراعاة المشاعر . وهو محق فعلاً في السعي وراء حوار حقيقي . فعن طريق مناقشة نواحي سوء التفاهم والتحامل والافتقار إلى التفهم بسبب الجهل – عندما يذكر على سبيل المثال قضية الثالوث الأقدس – ستكون النتيجة المثمرة هي التفاهم الأفضل والاحترام المتبادل والتقبّل الكامل لوجهة نظر الآخر . وإذا أراد أي إنسان نشدان الصدق والحقيقة ، فعليه أن يكون منفتح العقل من أجل أن يحسّن معلوماته ومعرفته عن طريق الآخر ، لأنه سيتمكن بهذه الطريقة من فهم هويته بالذات من خلال هذا الحوار الحقيقي .

واسمحوا لي في الختام أن ألفت انتباهكم إلى الحقيقة القائلة إنه حتى الحوار الأكثر تفاؤلاً ، قد يؤدي أحيانًا إلى الوصول إلى طريق مسدود . وفي حالة كهذه يجب أن لا ننسى أبدًا أن لا نفاجأ من أن بعض نواحي إشكالياتنا قد لا تلقى إجابة عن طريق ردود معرفية أو قانونية فقهية . فما السبب إذن؟ لن تكون هناك تفسيرات نابعة من براهين علمية . فقد يحدث أن الجواب الذي نبحث عنه لا يمكن التوصل إليه إلا عن طريق الاعتقاد أو الإيمان . ويصف السيد السماك في مقدمته الترابط بين المعتقدات والمبادئ والتقاليد . وفيما يتعلق بأكثر الأوضاع تعقيدًا في العوامل التاريخية والأعراف المحلية والعادات المرعية ، والتقاليد المفضلة ، يوضح لنا أن هناك تفاصيل مختلفة عديدة لا بد من أخذها بعين الاعتبار قبل الدخول في حوار . ومن هنا فإنه يلاحظ الظروف الأدق التي كثيرًا ما تصبح فيها التراكمات الثقافية والثوابت الاجتماعية أكثر أهمية من الرسالة الحقيقية للصدق والمحتوى الجوهري للعقيدة . ولذلك فهو يوجه السؤال التالي : كيف يمكن التغلب على « المعرفة السطحية » التي نسيء بها إلى بعضنا بعضًا وكيف يمكن أن نخفف من حدة « الطقوس المقدسة » المتعصبة ؟ يبدو أن هناك سبيلاً واحدًا علينا اتّباعه وهو أن المحاولة المخلصة النابعة من جهد إسلامي مسيحي مشترك ستكون الضمانة الوحيدة لسلامة وعدالة وضرورة كل ما نعتبره مقدسًا لأنها تبين الجذور التي لا شك فيها لهويتنا . إن البحث عن الحقيقة ليس إلا الاعتراف بالحقيقة وهذا يعني مرة أخرى إدراك الإنسان لواجبه بوصفه مخلوقًا من مخلوقات الله سبحانه وتعالى .

نظرة المسيحي إلى المسلم (الأسس والواقع المعاصر)

الأستاذ جريجوريوس زياكاس*

١ ـ لمحة عامة عن الوضع الديني للعالم المعاصر :

يقطن كوكبنا في الوقت الحاضر زهاء خمسة مليارات ونصف مليار نسمة . منهم ما لا يقل عن مليار ونصف المليار مسيحيون ، بالاسم فقط على الأقل ، (أو حوالي ثلث سكان العالم) . وهناك قرابة المليار نسمة من المسلمين وحوالي ستمائة وخمسين مليوناً من الهندوس وأكثر من ثلاثمائة وخمسين مليونـاً من البوذيين . بينما يتألـف بقية أتباع الديانات الرئيسية من الكونفوشيين والطاويين في الصين ، وهي ملل ونحل لا توجد عنها بيانات إحصائية ذات شأن . وهناك طوائف دينية صغيرة ، لكنها ذات أهمية ، وهي طائفة الجاينيّـة في الهند ويبلغ تعدادها ما بين ثلاثة وأربعة ملايين من المؤمنين ، والسيخ في مناطق البنجاب وكشمير وعددهم لا يقل عن عشرين مليوناً ، ثم اليهودية ومن أتباعها حوالي أربعة ملايين في دولة إسرائيل الحديثة المولد وستة ملايين آخرون في الولايات المتحدة إضافة إلى ما يوجد في بقية أقطار العالم .

ويجب أن نضيف أيضاً علاوة على هذه الأرقام بضعة ملايين من الناس البسطاء الذين يعيشون قريبين من الطبيعة في مناطق نائية من كرتنا الأرضية ويعتنقون عقائد دينية بدائية . وفي غابر الأزمان خلعت عليهم غطرسة «العالم المتحضر» أسماء – وهي الآن غير مقبولة أبداً في جـو بلغنا فيه من العلم والمعرفة ما بلغنا – وأوصافاً مثل «المتوحشون» أو« غير المتمدنين » أو «البدائيون». ولكن حتى هؤلاء الأقوام البسطاء الذين ينتمون إلى مجتمعات قريبة من الفطرة يمتلكون مواهب روحية ويعانون من قلق نفسي ، كما أنهم يؤدون صلوات وعبادات يعبرون بواسطتها عن التّوق الإنساني إلى ما هو مقدس ولا نهائي ، ولهذا السبب بالذات هم جديرون بالاهتمام والمحبة والتكريم .

٢ . المسألـة الـدينيــة :

هذا هو وضع البشرية اليوم من وجهة النظر الدينية . أما السؤال الذي يطرح على أي شخص

---

* كلية اللاهوت – جامعة أرسطو ، سالونيك – اليونان .

متديّن ولا سيما على المسيحيين فهو : ما هو موقفنا وما الذي يجب أن يكون عليه موقفنا – حسب تعاليم عيسى المسيح – تجاه إخواننا في الإنسانيــة من أتباع الديانات الأخرى ؟ وهذا السؤال يُطْرَح بلهجة أكثر جزماً في الوقت الحاضر ، إذ أصبح فيه العالم أصغر من ذي قبل بفضل وسائل التكنولوجيا الحديثة ووسائط الاتصال والإعلام الجديدة . علاوة على ذلك ، فقد تغير العالم الآخذ في التطور اليوم وما زال مستمراً في تغيّره . أما هيكلياته السابقة فآخذة في التحوّل وكذلك الأمر بالنسبة للحدود الدينية القديمة الآخذة في التبدّل ، بينما انتقل عدد كبير من أتباع الأديان الأخرى أو هم آخذون في الانتقال يومياً إلى الأقطارالأقوى من ناحية مالية وذلك كقوة عاملة أو كشبان يدرسون أو غير ذلك . وهكذا فإن جماعات من شتى المعتقدات الدينية (من عمال وطلبة ومعلمين وأشخاص لا وطن لهم) يعيشون في كل مكان من هذا العالم اليوم ، ولا سيما في البلدان الأوروبية وبلدان أمريكا الشمالية ، وبناء عليه فما هو الواجب الديني للمسيحيين تجاه إخوانهم في الإنسانية من أبناء الديانات الأخرى ؟

أ – تكريم الإنسان وقيمته حسب التعاليم المسيحية

١ . الإنسان ككائن منطقي من مخلوقات الله :

إذا درس المرء تعاليم الكتاب المقدس كما عاشها وفسّرها على مر العصور ، كل من الكنيسة وفكر آباء الكنيسة ، سيتأكد أن الاهتمام الرئيسي للعقيدة المسيحية يتمحور حول الكائن البشري. فمعنى الشخصية الإنسانية يحتل موقعاً مركزياً وأساسياً في تعاليم الدين المسيحي . فالعالم هامّ بسبب وجود الإنسان الذي يمنح قيمة منطقية لهذا العالم . والإنسان هو أسمى مخلوقات الله ، وقمّة الخليقة لأنه مصنوع على «صورة الله» «وكشبه الله» . «وقال الله : نعمل الإنسان على صورتنا وكشبهنا » (سفر التكوين : ١/٢٦) .وعلى ذلك يتركز كل نضال التعاليم المسيحية وكل مخطط التاريخ الرباني للخلاص على خلاص الإنسان الذي صنعه الخالق «على صورته» و «كشبهه» كما قُدِّر له أن يستمر إلى الأبد .

وطبقاً لتفسير آباء الكنيسة فإن عبارة «على صورته» تشير إلى المهمة الفكرية والوظيفـة المستقلة للوجـود الإنساني أي إلى تلك المؤهلات المنطقيــة والروحيـة القائمـة على حرية الإرادة التي تمكن الإنسان من السير قدماً نحو كماله الأخلاقي والروحي ، والحصول على معرفة الله . كما أن كلمة «كشبهه» هي تحقيق لهذه الإمكانية . ومعنى ذلك أن الإنسان كائن ذو شخصية ، كائن يتمتع بالسير في طريق دينامي نحو كماله . لكن هذا الطريق الدينامي نحو الكمال ، يتحقق داخل المجتمع الإنساني

حيث يتم توكيد علاقات الإنسان مع الله ، وعلاقاته مع إخوته الآخرين من البشر .

٢. قداسة الحياة والشخص البشري :

نفهم الآن أنه وفقاً لحقيقة التعاليم المسيحية فإن الشخص البشري مقدس وغير متكرر في تاريخ العالم . وهذه التعاليم المسيحية المتعلقة بالجنس البشري هي منبع الكفاح النبيل من أجل الحفاظ على قيمة الكائن البشري وكذلك الحفاظ على حريته وعلى العدالة في العالم . لذلك ندرك أن قداسة الإنسان وشرفه وكرامته مبادىء أساسية في العقيدة المسيحية ، وقد يقودنا العامل المشترك مع الأديان الأخرى - لا سيما مع الإسلام - وهو الاعتراف بقيمة الإنسان العظيمة ، إلى تعاون خلاق . وهذا التعاون ضرورة ملحة جداً في هذه الأيام عندما تصبح الحضارة مستقلّة وتنجرف بعيداً عن الحياة الدينية وعن حمايتها والوصاية عليها . وظاهرة العلمانية هذه تشكّل حسب وجهة نظر معيّنة تطوراً وارتقاء «عادياً سويّاً» للحضارة . لكن الخطر الذي يكمن هنا يتمثل في أن هذا الاتجاه يُسقط من الدنيا ومن الحياة المعنى العميق للقداسة ، ولهذا فهو لايستطيع تجاهل تفاقم الشر إن لم يكن الإسهام في الشر. ويؤدي هذا الإسقاط للقداسة من العالم ومن الحياة ومن الكائن الإنساني إلى إدخال نظام أخلاقي مختلف وهو نظام يعمل بدوره على الابتعاد عن الله وعن الحياة وعما يفعله الله تعالى . ودون الإحساس بقداسة الحياة ، يقع الكائن البشري في خطر عظيم يهدد بفقدانه العلاقة الشخصية والاتصال مع الله ومع إخوانه من بني الإنسان . ويؤكد لاهوت الكنيسة الشرقية برمته على أهمية العلاقات الشخصية والاجتماعية التي تتحقق تماماً عندما تبدأ من الله وتتسع لتشمل الإنسانية بأسرها . ويشكل الحرمان من العلاقات الشخصية والصداقة وانعدام الاتصال أعظم أنواع المعاناة للإنسان .

أما أولئك الذين يظنون أن العلاقات الشخصية والاجتماعية محصورة ضمن حدود المجتمع المسيحي فقط ، فيغفلون عن شمولية الوحي الإلهي . وبالتالي فإن أهم الواجبات التي على المسيحية القيام بها اليوم هو الإسهام في تحقيق الوحدة ، ليس وحدة الكنيسة فحسب بل وحدة الإنسانية أيضاً . وعندما تصبح العلاقات الشخصية التي تملأ قلوبنا موجودة سيتحقق نصر متصاعد مطرد ضد جذور الشر وأمل بإشاعة مزيد من السلام والعدالة في هذا العالم .

٣. المجتمع الإنساني والمحبة :

يتضح من جميع ما أتينا على ذكره سابقاً أن الاتصال الشخصي للإنسان مع أقرانه من بني البشر

يولّد الحياة الاجتماعية . والمحبة هي عنصرجوهري للطبيعة الإنسانية ، وحيثما تغيب المحبة تخبو هناك الحياة وتموت . وفيما يتعلق بالمسيحية ، فإن الكنيسة مجتمع محبة تشارك فيه المخلوقات كافة . والمحبة التي تشكل مجتمع الكنيسة ليست محبة تجريدية بل على العكس من ذلك ، إنها محبة فعليّة ، ويكمن أصلها في محبة الله ثم يمتد ليطال جميع الناس وكل المخلوقات .

ولأن تنفيذ الأمر الرباني يعني أن نحب إخوتنا في الإنسانية ، فإن المحبة التي نشعر بها نحو إخوتنا البشر هي محبة الله . يقول يوحنا الإنجيلي «أيها الأحباء ، لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هي من الله وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله . ومن لا يحب لا يعرف الله لأن الله محبة » (رسالة يوحنا الرسول الأولى ٤/٧-٨) . ولذلك : « إن قال أحد إني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب» (رسالة يوحنا الرسول الأولى ٤/ ٢٠) . وإذا ضاع المؤشر الصحيح نحو الله ونحو إخوتنا في الإنسانية للمحبة ، فإن مسار الإنسان نحو الكمال يضيع هو الآخر كما أن روابط المجتمع سوف تتفكك . إن الحرمان من المحبة الإلهية يؤدي إلى تآكل أساس الوجود ويأتي بالكراهية والتعصب والحرب ضد إخواننا من بني الإنسان .

٤. الإنسان والسلام :

من الأمور الوثيقة الصلة بمعنى المحبة معنى السلام أيضاً ، وهو سلام يعني ويهم جميع الأديان وجميع الفلسفات في العالم . والحاجة إلى التعاون والتعايش السلمي بين المسيحيين والناس الذين ينتمون إلى طوائف دينية أخرى ، إضافة إلى احترام حرية كل شخص ، هي المبادىء الأساسية للكنيسة. فالسلام هو الميراث المقدس الذي تركه عيسى المسيح لتلاميذه ومن خلالهم للكنيسة . فقد قال : «سلاماً أترك لكم ، سلامي أعطيكم» (إنجيل يوحنا ١٤/ ٢٧) . وهذا هو السبب في أن السلام للعالم بأسره هو التضرع الأهمّ في عبادة الكنيسة الأرثوذكسية . فالكنيسة تصلي لله الرحيم من أجل السلام في العالم ومن أجل رفاه الأفراد والمجتمع ، وتسعى الكنيسة جاهدة من أجل أن تسود روح السلام والمحبة والعدالة الاجتماعية في كل مكان . وفي ظلّ هذه الروح تُدْعَى الكنائس من أجل أن تسهم إسهاماً ملموساً في التفاهم والتعاون المتبادلين بين أتباع جميع الأديان في العالم . وبهذا الأسلوب نستطيع خدمة الإنسانية .

٥. الأمر الإنجيلي حول الإنسان وكرامته :

يتضح من كل ما أسهبنا في ذكره سابقاً أنه لا يوجد مجال في التعاليم المسيحية للتمييز بين

الإنسان « الذي يخصّنا » والإنسان الغريب عنا . ففي وجه كل إنسان - بغضّ النظر عن الدين أو الأصل - يدعى المسيحي ليرى وجه عيسى المسيح ويتعرف على صورة الأخ في أخيه الإنسان .

وفي الإنجيل المقدس لعيسى المسيح وهو مصدر الوحي المسيحي بلغت روح الصداقة تجاه البشر ذروتها وأصبحت محبة ، المحبة الموجهة نحو كل البشر الأصدقاء منهم والأعداء . والمسيحي مدعو للسير على نهج المسيح والإحساس بإحساسه أي أن يكون أخاً للإخوان وفقيراً تجاه الفقراء وغنياً مع الأغنياء وغريباً تلقاء الغرباء وكادحاً مع الكادحين وحاملاً للأعباء كحاملي الأعباء « تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم » (إنجيل متّى ١١/٢٨) .

وبناء عليه فالمسيحي مدعو لأن يحب جاره ولكن لا يمكن لمحبته أن تكون محصورة ضمن هذه الحدود ، بل يجب أن تتوزع بدلاً من ذلك لتشمل العالم بأسره بل حتى أعداء الشخص أنفسهم .

أما إلى أي حد يراعي جميع المسيحيين هذه المبادىء السامية للدين المسيحي فمسألة تحتاج إلى مزيد من البحث والنقاش . ولكن حسب تعاليم عيسى المسيح وضمن نطاق المجتمع المسيحي ، يجب أن تسود مشاعر المحبة تجاه كل إنسان وتسيطر الدوافع النبيلة والأعمال الخلاّقة . إن أية إهانة توجّه ضد الإنسان هي دلالة على الافتقار إلى النعمة وعلى ابتعادنا عن الله . وتنعدم الحرية بوجود العداوة ضد البشر. وعندما يتم تجاهل الإنسان ، كائناً من كان ذلك الإنسان ، فإن الناس يتجاهلون ذواتهم . وتعتبر الكنيسة مجتمعاً نابضاً بالحيوية يشكّل فيه الأفراد طبقة متناسقة متجانسة من الإخوة في المحبة ، بحيث لا يستطيع أحد أن يشعر بالعداوة تجاه الآخر ، ولا يمكن لأحد أن يزدري الآخر ، وأن يتسبب في خسارة الآخر، فجميع الناس متكاملون ويعملون على إثراء بعضهم بعضاً ضمن نطاق المجتمع . وعلى المسيحي أن لا ينسى أن لكل إنسان كيانه وشخصيته الخاصة المستقلة ، ولكل امرىء مكانه الخاص به على الأرض إلى جانب ما يتعرض له من ابتلاءات وأفراح وأتراح . فلقطرة الدمع الصغيرة مغزاها في مصير الإنسان المكروب ، وفي مصير الطفل الحزين . إن تجاهل قطرة الدمع هذه - وهي ثمن ضروب المعاناة التي تمر بها الحقيقة التاريخية الشاملة - أشبه ما يكون بإنكار أي معنى سامٍ في الحياة ، وأشبه ما يكون بإنكار حضور الله وتدبيره لأمور هذا العالم . ولا يُحسب ميزان أعمالنا تجاه أخينا المُعاني إلا في أوقات الحزن وأوقات المحن ، وعندئذ يتم فقط اختبار المسيحي حول المدى الذي يصل إليه في قدرته على تقليد عيسى المسيح الذي كدّ وضحى بنفسه من أجل البشر أجمعين .

وفي سفر الرؤيا الذي كتبه يوحنا اللاهوتي الإنجيلي ، يصوّر المسيح على أنه غريب يتنقل من

باب إلى باب يقف أمامه ويقرعه قائلاً : «ها أنذا واقف على الباب أقرع . إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي» . وهذا النص بليغ بالنسبة إلى الأهداف التي انعقد من أجلها حوارنا هذا . في كل يوم يدق إخواننا من بني الإنسان ، الذين يعيشون منهم على مقربة منا والذين يعيشون بعيداً عنا ، أبواب قلوبنا ويتوسلون طالبين التفاهم والاتصال والمحبة . فهل نتجاهلهم ؟

ومن الفضائل التي تحث المؤمنين المسيحيين على تحقيق الخير الشعور بالغربة في هذه الدنيا وهو شعور خبره كثيرون من كبار شخصيات العقيدة المسيحية . إنه منظور أخروي من أجل أمل يخبر المؤمنين أننا جميعاً «غرباء ونزلاء على الأرض» (الرسالة إلى العبرانيين ١١/١٤) . لأنه « ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة » (الرسالة إلى العبرانيين ١٣/١٤) . وهذا الشعور الذي يخالج المرء بأنه غريب والأمل بحياة أبدية يمد المسيحي بقوة للنضال في هذا العالم إلى جانب أي أخ من إخوانه «الغرباء أو النزلاء» ، وذلك في سبيل كمالهم وفي سبيل السلام على الأرض .

ب – أعمال الكنيسة تجاه الآخر المتدين ومعنى مواطنة المشاركة

إن ما تطرقنا إليه بالبحث الموجز حتى الآن يلخص ، حسب اعتقادي ، المبادىء الأساسية للمسيحية حول الإنسان وقيمته في العالم . وجميع الناس دون استثناء أو تمييز ، وبالرغم من جراحهم التي يعانون منها جراء مسيرتهم التي سلكوها في تاريخ عالم لا يستقر على حال ، هم – بالنسبة للتعاليم المسيحية – مخلوقات الله المحسن المحب للبشر، فهم بذلك إخوة وشركاء في المواطنة في الأرض.

وبهذه الروح تجاه الإنسان الذي يحمل صورة الله ، مارست الكنيسة وعلى وجه الخصوص الكنيسة الشرقية التي توسعت في الشرق وتعلمت كيف تعيش جنباً إلى جنب مع المؤمنين من الأديان الأخرى ، عمل شهادة الإنجيل المقدس ونقلت إلى جانب الشعوب الرسالة السارّة لحضور الله ووحيه الذي أنزله على الدنيا . وفي معرض خدمتها المجردة عن الهوى تجاه جميع الناس وبتضامن قوي ، اتبعت الكنيسة بصورة عامة مسلكاً مسكونياً وعالمياً . وهكذا فإنها حيثما نقلت الإيمان بعيسى المسيح ، كانت تحترم أيضاً الهوية الثقافية للشعوب ولغة تلك الشعوب ، فقد ابتكرت الحروف الهجائية وترجمت النصوص المقدسة ، ونقلت الفنون وساهمت في تطوير الحياة الروحية وثقافة الشعوب .

ومن سوء الحظ فإن هذه الروح الخيرية لم يتم الحفاظ عليها دائماً ضمن مبادىء الضمير

المسكوني والعالمي للكنيسة الأولى . إن النموذج العالمي للعهود القديمة ، والنزاعات والمآسي في العالم ، وادعاءات أمة ضد أمة أخرى ، والحروب ، لم تعمل دائماً على النهوض بالمسيحية – غير متأثرة بروح كل حقبة مرت بها – إلى مستوى رسالتها . إن نوازل الماضي من قبيل مصائب الحروب الصليبية ضد الشرق ، ومثل الأحزان والآلام التي سببتها حقبة الاستعمار ، قد ألحقت الضرر بصورة المسيحية في الشرق ، ومن الخير أن الشطر الأكبر من الكنيسة الشرقية ، لم يحجم فقط عن التدخل في تلك الأحداث التاريخية التي أعطت للصراع بين الشرق والغرب سماته ، بل على العكس من ذلك ، عانت حتى هذه الكنيسة نفسها ، شأنها في ذلك شأن بقية أهل الشرق ، من العواقب الوخيمة لهذا الصراع .

واليوم تعود الكنائس إلى الأعمال الخيرية التي قامت بها الكنيسة الأولى . وتعمل المنظمات الكنسية الكبرى - مثل مجلس الكنائس العالمي الذي تضرب فيه الكنيسة الأرثوذكسية بسهم وافر تحت رعاية البطريركية المسكونية في القسطنطينية – على تعزيز الحوار مع مؤسسات الأديان الكبرى في العالم . كما اعترفت الكنيسة الكاثوليكية في مجلس الفاتيكان الثاني ، الذي دعت إليه (١٩٦٢–١٩٦٥م) بأهمية القيم الروحية للأديان الأخرى وها هي اليوم تناصر الحوار بين الأديان . أما الروح العامة المسيطرة على هذا الحوار بين الأديان فهي روح المصالحة والاعتراف بالحرية الدينية وبندّية الأديان الأخرى .

إن أحد المبادىء المسيحية الأساسية قد جرى التركيز عليه هنا ، وهو المبدأ القائل إن لكل إنسان – بغض النظر عن دينه – الحق في الحصول على معاملة متساوية مع الآخرين داخل المجتمع المسيحي وأن يكون أخاً مواطناً مساوياً في المنزلة للآخرين . وبالطبع فإن الأمور لا تبلغ هذه الدرجة من المثالية دائماً، إذ كثيراً ما تسهم الأديان والعقائديات في تفكيك عرى المجتمعات . زد على ذلك أن المواجهات العقائدية ، وتعزيز التعصب الديني ، وتغذية التنافس النابع عن وعي تعكر صفو التعايش المتجانس للجماعات الدينية .

ثمة ظاهرة محزنة في أيامنا هذه وهي أن الحوار بين الأديان مضطر لمواجهة التعصب وضيق الأفق الديني . وتنقلب هذه الظاهرة على الحرية الدينية وتعيق تحقيق الرؤية لتعايش سلمي بين جميع الفئات الدينية والشعوب الموجودة على هذه الأرض . وهناك ظاهرة مؤلمة أخرى متضافرة أحياناً مع التعصب الديني ، ألا وهي الاستغلال السياسي أو القومي للدين . وفي اللحظة التي تقع فيها الأديان بين أيدي المتعصبين أو تصبح أدوات للأهداف السياسية والقومية النزعة ، تفقد الحياة الدينية توجهها

وقيمها . وليست الأمثلة التي تبرهن على صحة ذلك بقليلة العدد ، إذ تستغل السياسات الدولية والمصالح الكبرى القيم الأخلاقية والدينية للإنسانية وتضحياتها في تحقيق أغراضها الخاصة . وعن طريق الاستغلال المتقن للتعصب الديني أو القومي فإنها تعمل على فصم عرى التآلف بين الشعوب وتتسبب في آلام لا حدود لها وفي مآسي كثيرة تحيق بالجنس البشري . وفيما يتعلق بهذه النقطة ، فإنه لا داعي لنا أن نلتفت إلى أمثلة الماضي المحزنة . بل يكفي أن نلتفت إلى ما يجري حولنا في المنطقة الهشة الضعيفة في الشرق الأدنى والبلقان لكي ندرك المدى الذي ذهبت إليه مصالح القوى التي تقسم العالم وتحكمه في استغلالها للمعتقدات الدينية .

ولكن في مقابل العواطف والانفعالات القديمة والحالية وفي مقابل الخصومات والحروب المريرة هناك أمر واحد ينطوي على بعض العزاء وهو الحقيقة القائلة إن الأديان أو قادتها المستنيرين أخذت على ما يبدو تدرك الآن أن من واجبها عدم المشاركة في النزاعات بين الأديان والمنافسات بين المصالح الكبرى . إنها تدرك أن العالم قد تغير وأن الحياة تصبح بوتيرة متزايدة أكثر عالمية وأكثر مسكونية .

وعلى ذلك ، هناك علاقة قوية بين الدين والسلام العالمي ، وكل من يشعر بثقل أعباء واجباته تجاه العالم ، وكل من يحمل على محمل الجد هشاشة التآلف والنظام البشريين ، وكل من يرى نواحي الضعف الإنسانية والأخطار الكامنة في الاختلال التكنولوجي ، لا يمكنه أن يقف مكتوف الأيدي لا سيما إذا كان من رجال الدين . ويعرف كل إنسان أن التهديدات القائمة ضد السلام موجودة دائماً . ولكن ماذا بوسع الدين أن يقدم لتهدئة عالمنا المضطرب وجعل السلام يخيّم عليه؟ مما لا مراء فيه أنه لا يستطيع تقديم حلول مباشرة لجميع المشكلات المعقدة ذات الطابع العسكري والحزبي . مع ذلك فإن باستطاعته تثقيف الإنسان وتحويله إلى عامل تنوير وسلام لمقاومة الشر . فإذا تعاونت جميع الأديان معاً بهذه الروح النابعة من كلمة الله ، هناك أمل في مزيد من الاحترام للإنسان ومزيد من السلام والتعايش في العالم .

جـ – اللقاء مع الإسلام

إذا كان من الضروري اليوم لتحقيق صالح الإنسانية الاتصال بجميع الأديان في العالم ، فإن من الأكثر ضرورة تقوية روابطنا مع الإسلام ، جارنا الأدنى المباشر . وأنا استخدم كلمة «تقوية» لأن الإسلام تحديداً ليس بالدين الغريب أو المجهول بالنسبة للتراث التوراتي والشعوب المسيحية . وفي عالم الشرق عاش المسيحيون مع المسلمين دائماً جنباً الى جنب ، وقد خلّف وجود العالم الإسلامي في

إسبانيا من القرن الثامن وحتى نهاية القرن الخامس عشر كثيراً من الأواصر الثقافية المتينة ، التي لا يزال الناس في أوروبا الغربية يشعرون بتأثيرها حتى في يومنا هذا . وفي عصرنا الحاضر أدت الظروف التاريخية الجديدة وفرص العمل إلى تقريب الشقة بين المسيحيين والمسلمين ، في أوروبا كما في العديد من بلدان العالم أيضاً .

لذلك إذا استعرضنا الماضي نجد أن المسيحية الشرقية والإسلام دينان موجودان بالفعل في الشرق ويعيشان على علاقة وثيقة ببعضهما . وبالرغم من المواجهات المتقطعة وحالات سوء الفهم التي حدثت مع مرور الزمن ، إلا أن العلاقات التي تربط بينهما لم تنقطع أبداً . فابتداء من القرن السابع وحتى القرن الخامس عشر الميلاديين أخذت تتطور اتصالات وخلافات أيضاً بين العالم المسيحي في الشرق من ناحية والإسلام من ناحية أخرى ، لم تكن ذات طبيعة عسكرية فقط بل ذات طبيعة ثقافية وعلمية أيضاً . وفي ذلك الوقت بالذات شرع المؤلفون البيزنطيون يدوّنون العديد من الأبحاث باللغة اليونانية عن الإسلام . وبالطبع فقد كانت أكثرية ما كتب تتّسم بطابع اعتذاري أو هادف إلى الدحض والردّ . ومع ذلك فإنه يمكن اعتبار كتّاب هذه المؤلفات روّاداً للحوار المسيحي الإسلامي . ويمدّنا الكثير من هذه المؤلفات القيمة بوصف للإسلام إلى درجة لا يستهان بها من الاتساع .

ثمة حوار هام وجوهري آخر مع الإسلام بدأ في أواسط القرن الثامن الميلادي وما بعده وذلك عندما بدأت حركة الترجمة الأدبية والعلمية العظيمة في داخل العالم الإسلامي التي نقلت فيها إلى اللغة العربية أعداد كبيرة من روائع ما خطته أقلام قدامى الفلاسفة والعلماء اليونانيين في العصر الهليني ، ويشكل هذا النقل للفكر اليوناني إلى العالم الإسلامي أحد أكثر الفصول إشراقاً في تاريخ الفكر العلمي والفلسفي . وقام على هذا الانتقال أبرز العلماء الذين جاد بهم العقل الإسلامي كما تمخض عن العديد من المنجزات العلمية والروحية الكبرى . وقد أسهمت مساعدة المسيحية الشرقية - التي كان الطابع اليوناني متجذراً فيها بعمق - إسهاماً كبيراً في هذا الازدهار الروحي . وكان العديد من هؤلاء المترجمين من مسيحيي الشرق ومن الأطباء ورجال الدين في الغالب . ويمثل هذا الاتصال الروحي الثري بين الحضارتين المسيحية والإسلامية حواراً دام قروناً وعاد بالتنوير والفائدة الجزيلة على شعوب الشرق والغرب معاً . وفي القرن الثالث عشر الميلادي انتقلت الشعلة المضيئة - التي رعتها وتعهدتها الفلسفة الإسلامية - إلى الغرب المسيحي وذلك من خلال روائع المؤلفات والترجمات من اليونانية إلى العربية ، ومهدت بذلك الطريق لنشوء روح النهضة والتنوير في أوروبا .

ومما لا جدال فيه أن التاريخ يقدم نوعاً من العلاقة البالغة التعقيد بين التراثين الدينيين موضوع البحث . ومع ظهور الإسلام في البلدان المسيحية الشرقية في القرن الميلادي السابع ، لوحظت أحياناً بعض الخصومات الحادة الدينية والسياسية بين المسلمين والمسيحيين ومع ذلك ومنذئذ والبطريركيات الأرثوذكسية القديمة تعيش داخل أرض الإسلام ، كما تعلم المسيحيون التعايش بوفاق ومودة مع المسلمين إخوانهم في المواطنة . ومعظم هؤلاء المسيحيين من السكان الأصليين الذين عاشوا باستمرار في مواطنهم كجزء من أهل الشرق .

لذلك فإن التمييز والتفرقة بين العرب والمسيحيين أمر لا مكان له هنا على الإطلاق . وفوق هذا كله هناك أعمال لا حصر لها تنطوي على الشهامة والنبل والكرم أغفل التاريخ عن ذكرها لنا . فعلى سبيل المثال لا يوجد أي نص تاريخي يعلمنا عن الليالي التي كان يقضيها الجار المسلم دون أن يغمض له جفن وهو يسهر إلى جانب جاره المسيحي الراقد على فراش المرض أو العكس ، ولا يذكر لنا التاريخ عن المشاركة اليومية في الأفراح والأتراح بين الطرفين وغير ذلك من النواحي الإنسانية المشرقة . ومن المؤكد أن هذا التعايش الطويل للمسيحية الشرقية مع الإسلام والذي يمكن أن نطلق عليه « حوار العمر» قد قرّب المسيحية ولا سيما الشرق المسيحي من العالم الإسلامي كثيراً – على الرغم من الخلافات الدينية العميقة والصراعات التي كانت تندلع بين حين وآخر – كما أوجد الكثير من مظاهر الأرضية الثقافية المشتركة التي نتحرك عليها . ويتيح لنا هذا التعايش مجالاً رحباً في الوقت الحاضرلتعارف وتقارب فيما بيننا أوسع نطاقاً وأكثر دقة .

إن من أبرز العوامل التي تساعد كلاً من المسيحيين والمسلمين على التعاون من أجل السلام وصون كرامة الإنسان في العالم هي النقاط المشتركة بيننا في العقيدة . والحق ، أن الإيمان بإله واحد ، وبخلقه ، وبالإنسان بوصفه أسمى مخلوقات الله والأمل بالقيامة والتطلع إليها تشكّل كلها إيماناً قوياً من شأنه أن يذكي في نفوسنا مشاعر الصداقة والتعاون السلمي والمشاركة في المواطنة .

أيها الأصدقاء الأعزاء ،

كما سبق أن أكدت في بداية هذا البحث ، فقد تغيرت الظروف اليوم . إذ يبدو أن الإنسانية ، وقد مرّت بفترات زمنية طويلة من العزلة والصراعات المريرة ، أخذت تدرك الحاجة إلى خلق كيان عالمي موحّد تتعايش فيه جميع الشعوب . ولم يعد بالإمكان أن يقتصر هذا الكيان على مجتمع الكنائس المسيحية وحدها . إنه كيان مسكوني يجب أن تشارك فيه مجتمعات الشعوب والأديان

كافة. وفي الوقت الحاضر لم يعد ممكناً على الإطلاق لأي دين أن يعيش في عزلة تامة . ولهذا السبب فإن من الأهمية بمكان اليوم أن تجتمع كل الكنائس المسيحية معاً وتقيم اتصالات عامة شاملة بينها وبين بقية شعوب العالم وأن تتبادل الآراء ويناقش الجميع معاً تعاليمهم الدينية . وسوف يمدّنا هذا النوع من الاتصال بقدر كبير من المعرفة والتفاهم ويفتح قلوبنا تجاه بعضنا بعضاً .

ومما لا ريب فيه أنه بالنظر لتنوع أشكال التفكير الديني والحياة في العالم فإنه لا يمكن وصف كل شيء بأنه هام وسبيل مؤد إلى الخلاص . إذ إن الأديان بأنواعها قد احتفظت أثناء مسيرتها التاريخية بعناصر ليست بذات أهمية أو قيمة . ولكن من ناحية أخرى ، هناك قيم تتصف بالقوة والمتانة وتبرهن على قدرتها المدهشة على الصمود خلال قرون طويلة وما واكبها من تقلبات الزمن . واليوم ونحن نشهد تقويضاً للكرامة وللحضارة الإنسانية ، فإنه لا مندوحة لنا عن إنقاذ كثير من قيم التجربة الدينية في العالم وهي التي تعطي معنى للإنسان وللحياة ، كما تشكل روابط روحية تشدّنا إلى بعضنا بعضاً. إن لدى حضارتنا التكنولوجية المعاصرة الكثير من الإنجازات الخارقة والهامة لتعرضها ، إلا أنها تفتقر إلى القيم الدائمة والثابتة التي تكسب الحياة معنى وتملأ قلوبنا بالأمل ، دون أن ننسى بالطبع أن بذور تدمير الذات موجودة أيضاً بوضوح داخل هذه الحضارة .

تعليـــق

الأستاذ محمود الشريف *

لا بد لي من البدء بتهنئة الأستاذ زياكاس على ورقته المتميزة والثناء على ما بذله من جهد في إعدادها . والذي أراه أن أهم عنصر في هذه الورقة هو موقف المسيحية الإنساني الرحيم – كما مثلها الأستاذ مرارًا بوصفه لها على أنها «الكنيسة الأولى » – تجاه الأديان الأخرى ، وهو موقف يتصف بالتسامح والتقبل والانفتاح العقلي . إنه يؤكد أن موقفه نابع من نظرة الكتاب المقدس للإنسان بوصفه أسمى مخلوقات الله المتحلية بالعقل والخلق وهو سبحانه الذي خلق الإنسان «على صورته وشبهه» . ويتطابق وصف الأستاذ زياكاس لوضع الإنسان في العقيدة المسيحية مع نظرة الإسلام إلى الإنسان ومكانه ودوره في الكون . ونستشهد بالآية القرآنية التالية في هذا المقام : **﴿ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾**(١) .

ثم يواصل الأستاذ زياكاس كلامه فيتحدث عن «المحبة» كأحد الملامح البارزة في العقيدة المسيحية ، إنها محبة جميع البشر بغض النظر عن معتقدهم أو لونهم أو عرقهم ، بل إنه يطالبنا بمحبة وتكريم الناس الذي يعيشون قريبين من الطبيعة ولا يدينون بدين سماوي لأن لديهم هم أيضـًا صلواتهم ومذاهبهم وطقوسهم التي يعبرون من خلالها عن التوق الإنساني لما هو ربّاني وغير محدود .

ويستطرد في حديثه ليصف حالة عالم اليوم حيث تقلّص كوكبنا وتلاشت تقريبـًا أبعاد الزمان والمكان التي تفصل الناس عن بعضهم بعضاً نتيجة لثورة المواصلات والاتصالات ، وأصبح العالم «قرية كونية» حيث تقوم الثقافة والأديان إلى جوار بعضها . وفي وضع كهذا لا بديل عن الصراع والتوتر بين الأمم والثقافات والأديان سوى التسامح والتصالح والتعايش والتقبل الطوعي المقصود «للآخر» كأخ وكجار .

ويفترض في المحبة أن توجد السلام في القلب الإنساني وبين الأفراد والأمم . ولا يستطيع أحد

---

* رئيس التحرير المسؤول لصحيفة «الدستور» ، عمّان – الأردن .

(١) الإسراء / ٧٠ .

المماراة في ذلك . غير أن التحدث عن المحبة والبحث عن السلام بين أتباع الديانات كافة أمر ، وإن كان مدعاة للإعجاب وجديراً بالثناء ، إلا أنه يبدو لسوء الطالع وكأنه لا علاقة له بحقائق العالم المعاصر البشعة حيث يكاد المؤلف نفسه يعترف بأن الدين لم يخفق فقط في اجتثاث الشر من العالم ، بل إنه استخدم أيضاً كوسيلة لارتكاب الأفعال الشريرة وأداة لتحقيق أهداف دنيوية . هناك كثير من الأمور القبيحة التي تذكرنا كيف أخفق الرفض في كبح الشر في الإنسان . ولنضرب مثلاً واحداً فقط من التاريخ الحديث للعالم المسيحي ، إذ أضرمت أوروبا نيران حربين عالميتين خلال نصف قرن هلك فيهما زهاء عشرين مليوناً من البشر وسويت بالأرض مدينتان يابانيتان (هيروشيما ونغازاكي) ، إذ قتل فيهما مئات الآلاف من المدنيين الأبرياء في عاصفة من النيران النووية . لذلك يبدو أن حديث الكاتب عن المحبة والسلام المسيحيين يأتي وكأنه متباين مع خلفية الحقائق المحزنة في عالم اليوم . يقول الأستاذ زياكاس إن الكنيسة تصلي من أجل السلام بالطبع ، غير أن ذلك لا يمنعنا من شن الحروب ضد بعضنا بعضاً ، وهذا هو السبب في أن صلواتنا من أجل السلام تظل بلا استجابة .

وعلى الأرجح فإن من واجب الكنيسة وجميع المؤمنين أن يردفوا صلواتهم بأفعال من أجل قضية السلام ، وذلك بمكافحة الشر والدفاع عن العدالة وحقوق الإنسان في كل مكان في العالم .

ويقول الأستاذ زياكاس في ورقته : «ففي وجه كل إنسان يدعى المسيحي ليرى وجه عيسى المسيح عليه السلام» . هـذا قـول جميل ومؤثـر . لكـن إلـى أي حدّ يمتثل المسيحيون اليوم لهذه النصيحة الرائعة ؟ ومع ذلك فمـن حسـن الحـظ أن صاحبـنا الكاتـب الفاضـل ، بعد أن يؤكد على أهمية التمسك بهذه التعاليم السامية للمسيحية ، يشجب على ما يبدو الحقيقة القائلة إنها لا تحظى باهتمام ذي بال في حياة الواقع ، وإن هذه التعاليم لا توجه سلوك الناس بالقدر الذي يجب أن تقوم فيه بذلك . ويميل الأستاذ إلى التمييز في ورقته بين الكنائس الغربية لا سيما عندما يشير إلى الحروب الصليبية ، وبين الغزوات الاستعمارية الأوروبية . كما يقرّ بأن هذه الحروب شوهت صورة المسيحية في عيون شعوب الشرق . إنني أؤيد هذا المنحى تأييداً تاماً . فالمسلمون في العالم العربي متآلفون إلى حد بعيد مع الكنيسة الشرقية ومع المسيحيين الشرقيين .

غير أنه يتم الحكم على المسيحية لسوء الحظ بسلوك المسيحيين لذلك فإن التمييز بين المسيحيين الشرقيين والغربيين بالنسبة للمسلم العادي غامض ومشوش أحياناً ويصعب إدراكه .

ولا مراء في أن صورة المسيحية عانت بسبب الأفعال الطائشة وأحياناً الوحشية التي يقترفها

بعض الزعماء أو الأفراد المسيحيين . فعندما يسمع المسلمون بالفظائع التي ارتكبها الصرب ضد المسلمين في البوسنة وكوسوفو ، وعندما يرون الدعم العسكري والمالي والدبلوماسي الأعمى من جانب الكونغرس والإدارة الأمريكية لإسرائيل ، ويقارنون ذلك بقساوة القلب التي لا تصدّق تجاه معاناة الفلسطينيين ، وعندما ينظرون إلى إصرار بريطانيا والولايات المتحدة على الاستمرار في العقوبات ضد العراق وليبيا وإيران والسودان (وهي كلها بلدان إسلامية) ، متسببتين في موت ومعاناة الملايين من الناس ، لا نعجب إذا وجدنا كثيراً من المسلمين ينظرون إلى هذه الأعمال على أنها نابعة من شعور معادٍ من جانب المسيحية للإسلام .

وينطبق المعيار نفسه على العالم الإسلامي ، إذ صورت وسائل الإعلام الأمريكية ملياراً من المسلمين على أنهم إرهابيون أو إرهابيون محتملون على إثر الهجوم على مركز التجارة العالمي في نيويورك قبل سنوات قليلة .

ثم يركز الأستاذ زياكاس على ظاهرة «التعصب الديني» في الشرق الأدنى ، ولعله على الأرجح يشير – في رأيي – إلى ما يسمى «الإرهاب الاسلامي» . هناك دون شك أعمال من العنف المدني في بلدان معينة ترتكبها مجموعات تسمي أنفسها «إسلامية» . لكن هذه الجماعات لا ينطبق عليها الوصف بأنها «إسلامية» إلا بمقدار ما ينطبق وصف «مسيحية» على الجماعات الإرهابية المسيحية التي تسمي نفسها «كتيبة الله» وتحارب حكومة أوغندا بمهاجمة سفن صيد الأسماك في بحيرة فكتوريا . من المسلّم به أن الدين كان يستغل عبر العصور من أجل مكاسب وأغراض دنيوية . لكن الأمر الجدير بالانتباه هو أنك لا تسمع أبداً «بإرهاب يهودي» أو «إرهاب مسيحي» وكأن «الإرهاب» علامة تجارية مميزة مقتصرة على الإسلام وحده . هذا هو على الأقل ما تريده منا وسائل الإعلام الغربية أن نصدقه . ويؤدي هذا الهجوم الوحشي على الإسلام في الغرب ومحاولة وصم الإسلام بأنه ينطوي في جوهره على العنف إلى غضب المسلمين ، ولا بد لي من الاعتراف بأنه عقبة كبرى في طريق تحسين العلاقات بين الإسلام والغرب . إن الوقت المحدود المخصص لتعقيبي لا يسمح بدحض مستفيض لهذه الاتهامات الحاقدة والظالمة للإسلام . لكنني أكتفي بالقول إن دراسة أدق للإسلام ستكشف عن القيمة الكبرى التي يعطيها الإسلام لقداسة الحياة الإنسانية . كذلك لا مندوحة عن الإشارة إلى أن أعمال العنف التي يرتكبها بعض غلاة المسلمين في بعض الأقطار يمكن أن نعزوها – إذا درسناها بصورة موضوعية دون تحيّز – إلى أسباب عديدة ، لا يكاد يمت معظمها بأية صلة إلى الإسلام كدين ، مثل الفقر والبطالة

والكبت السياسي ، والحرمان من حقوق الإنسان واحتلال قوى غربية لبلاد قوم آخرين كما تفعل إسرائيل .

وقد يحدث بمحض الصدفة أن تكون هذه المجموعات من «المسلمين» . وفي هذه الحالة يستعان بالإسلام كمجرد قوة دينية ، أو كبطاقة تعريف ، إن جاز القول ، تماماً كما يستخدم العرق أو اللون أو الجنسية ، ويستخدم أحياناً كدافع لحفز الناس على التضحية بأنفسهم في سبيل ما يرى أنه هدف نبيل. فعلى سبيل المثال ، إن حركتي حماس والجهاد الإسلامي في فلسطين لا تشنان الحرب ضد الإسرائيليين لأنهم يهود بل لأنهم يحتلون بلدهما ، فحربهما حرب ضد الظلم والإذلال . ولو كان محتلّو فلسطين من المسلمين لحاربناهم أيضاً .

ويخصص الأستاذ زياكاس جزءاً كبيراً من ورقته للحوار الجاري الآن بين المسيحيين والمسلمين ، وهو حوار يرى الأستاذ أنه حوار صحي وظاهرة موضع ترحيب لا سيما وأن الإسلام دينٌ جارٌ كما يقول .

ويشير بالطبع إلى الحقيقة القائلة إن الإسلام أفضل تمثيلاً في أوروبا بسبب العدد المتزايد من المهاجرين المسلمين الذين استقروا نهائياً هناك . فالإسلام بالفعل ثاني الأديان في فرنسا كما أن له حضوراً قوياً في بريطانيا ، ووجوداً ملحوظاً في ألمانيا وإيطاليا وهولندا والولايات المتحدة .

ولعل هذه على الأرجح هي المرة الأولى في التاريخ التي تبلغ فيها أعداد ضخمة من المسلمين والمسيحيين هذه الدرجة من الاتصال الوثيق ببعضها بعضاً . وقد تسبب هذا التقارب ببعض الاحتكاك في مناطق معينة . لكنه أتاح في الوقت عينه فرصة تاريخية للتفاعل الثقافي بين الحضارتين . ويؤمل في أن تنظر غالبية المجتمعات في أوروبا إلى المسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيها ، ليس كدخلاء غرباء بل كجسر ترحيب بالإسلام بوصفه ثقافة وكدين لا بد لهذه المجتمعات من معرفته وفهمه .

غير أن المشكلة مع أوروبا ومع العالم الغربي عموماً تتمثل في أنهم لا يشعرون بالحاجة إلى التقارب مع الثقافات الأخرى بروح من التواضع والاستعداد للتعلم بسهولة . إذ نمّى الغربيون أعراضاً لمرض «العنجهية الثقافية» التي لم تحل فقط بينهم وبين التعلّم من الحضارات الأخرى ، بل أقنعتهم بفرض عاداتهم وأنماط سلوكهم ونظام قيمهم على المسلمين وغيرهم من الأمم . وما على المرء إلا أن ينظر حوله في شوارع عمّان والقاهرة وكلكتا وكوالالمبور ليرى كيف أن «الثقافة العالمية» للنزعة

الاستهلاكية والسعي وراء لذات الغرب الحسية تفعل فعلها في حياة الناس اليومية ولا سيما أجيال الشباب في بلدان العالم النامي .

ولا جدال في أن للحوار الإسلامي المسيحي أهمية بالغة في إزالة التنميط السلبي وخلق جو من التفاهم والصداقة المتبادلة بين الجانبين . غير أن المرء يأمل في رؤية المشاعر الدافئة المتبادلة في الحوار ترشح وتترسب نزولاً إلى السواد الأعظم من الناس في أوروبا والشرق الأوسط وأماكن أخرى في العالم الإسلامي . وبذلك فقط يمكن أن نأمل في تضييق فجوة سوء التفاهم بين شعوبنا وتعبئة مواردها وجهودها من أجل مكافحة الشر وتضافر الجهود للنضال من أجل خلق مستقبل للإنسان يخيم عليه السلام والتآلف .

وختاماً أود أن أتقدم بالشكر مرة أخرى للأستاذ زياكاس على ورقته الجيدة ، كما أن من واجبي أن أعتذر له إذا بدت بعض تعليقاتي مشوبة بالتحفظ حول بعض ملاحظاته المغرقة في التعميم . لقد اقتصرت نيتي على مجرد توسيع وتعميق مناقشة أفكارها ، بيد أنه يجب أن لا ينظر إلى ذلك على أنه انتقاص من عمله القيم .

الفصل الثاني

المواطنة في المجتمع المعاصر

المواطنة في المجتمع المعاصر

الدكتور أحمد صدقي الدجاني *

مدخـــل :

تتتابع اللقاءات الإسلامية ـ المسيحية في رحاب المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن والمركز الأرثوذكسي بسويسرا ، لتعمق التفاهم بين المؤمنين بالله من المسلمين والمسيحيين ، ولتحقق تعاونهم على مواجهة تحديات ومعالجة مشكلات تبرز في مجتمعاتهم المعاصرة . ويأتي هذا اللقاء ليبحث في موضوع «المسلمون والمسيحيون في المجتمع المعاصر : صور الآخر ومعنى المواطنة»، مركزاً على نظرة كل من المسلم والمسيحي إلى الآخر (أسساً وواقعاً معاصراً) ، وعلى المواطنة في المجتمع المعاصر ، وعلى التحديات الحاضرة وما يترتب عليها وكيف نواجهها.

حديثنا هذا هو عن عنصر المواطنة في المجتمع المعاصر . وقضية المواطنة مطروحة اليوم بقوة في عالمنا على صعيدي الفكر والممارسة ، سواءٌ في دائرة الدولة الواحدة ، أو في الدائرة الحضارية التي تضم داخلها عدداً من الدول المنتمية إليها ، أو في الدائرة العالمية التي يجري الحديث عنها في عصر ثورة الاتصال على أنها «القرية الواحدة» . وتتداعى إلى الخاطر أمثلة كثيرة نورد نماذج منها.

شهدت دائرة الحضارة الغربية في أوروبا في تسعينيات هذا القرن تفكك كل من الاتحاد السوفييتي ويوغوسلافيا إلى دول ، ونجم عن هذا التفكك بروز قضية المواطنة ومعها مسألة الجنسية وموضوع الهوية ودوائر الانتماء فيها . وثارت تساؤلات حول الأساس المعتمد في تحديد المواطنة ، أهو حق الدم أو حق الأرض أو الانتماء الديني أو المذهبي أو التوافق في عقد اجتماعي؟ ويروي باحث سياسي روسي مرموق ، ابن لزعيم روسي سوفييتي مشهور ، كيف أن مسألة مواطنته الروسية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي أصبحت محل تساؤل لأنه ولد خارج الأرض الروسية في إحدى جمهوريات الاتحاد أثناء عمل والده فيها ، وكان عليه أن يدخل في سلسلة إجراءات ليثبت «روسيته» شأن بضع مئات آلاف من الروس الآخرين . وما أكثر الأمثلة المشابهة في دول يوغوسلافيا السابقة التي برز فيها

---

* عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) ، القاهرة ـ جمهورية مصر العربية.

بحدة عنصر الانتماء الديني أو المذهبي إلى جوار عنصر الانتماء القومي ، بين صرب أرثوذكس وكروات كاثوليك وبوشناق (بوسنيين) مسلمين . كما شهدت دائرة الحضارة الغربية نفسها في أوروبا في الفترة نفسها تقدم دول الاتحاد الأوروبي نحو كيان أوروبي (ما بعد قومي) ، وهي الدول التي قامت على فكرة (الأمة ـ الدولة) (Nation - State) واعتمدت «القومية» أساساً لوجودها . ونجم عن هذا الحدث تطورٌ في مفهوم المواطنة القطرية ، وتوجهٌ نحو تقنين «المواطنة الحضارية الأوروبية» ، يتجلى عملياً في قوانين التنقل والإقامة والعمل المتعلقة بمواطني هذه الدول . ونلاحظ في الوقت نفسه أن لمفهوم المواطنة على الصعيد الرسمي في بعض هذه الدول قداسة تصل إلى حد إعطاء ما يترتب عليها أولوية على اعتبارات أخرى إنسانية . وقد رأى العالم أمثلة كثيرة على ذلك مثل السلوك البريطاني الرسمي في قضية الممرضتين البريطانيتين اللتين أدينتا بقتل زميلة أسترالية لهما في المملكة العربية السعودية ، وفي قضية جليسة الأطفال البريطانية التي تسبب إهمالها وعنفها في موت الطفل الذي ترعاه في الولايات المتحدة الأمريكية . وقد لفت السلوك الأمريكي في عملية إنقاذ ضحايا حادث نسف السفارة الأمريكية في كل من نيروبي ودار السلام الأنظار وأثار الاستغراب والاستهجان حين ركز على المواطنين الأمريكيين دون غيرهم.

أمثلة أخرى في الدوائر الحضارية الأخرى في عالمنا على إلحاح قضية المواطنة وما يتصل بها من مشكلات ، نراها يومياً ، وذلك بفعل ما تعرضت له أقطارها إبّان الاستعمار الغربي لها ، وبفعل الحدود السياسية التي رسمتها القوى الدولية للدول في الجنوب حين فرضت ثورة التحرير على هذه القوى إنهاء عصر الاستعمار المباشر (القديم) . ولا نكاد نجد دولة واحدة من هذه الدول قد نجت من مشكلات قضية المواطنة الناجمة عن رسم الحدود السياسية . ويكفي أن نستحضر مناطق التخوم في هذه الدول لنرى حدة هذه المشكلات ؛ وما أكثر بؤر التوتر الناجمة عنها . وها نحن نشهد استمرار أزمة كشمير في القارة الهندية وأزمة جنوب السودان وأزمات أخرى مماثلة في دائرتنا العربية التي يعاني مواطنو دولها من أمور تتصل بقضية المواطنة ، فيما يتعلق بالتنقل والإقامة والعمل.

متوقع ، وهذا هو واقع قضية المواطنة في مجتمعات عالمنا المعاصرة ، أن يعنى بها المؤمنون بالله مسلمون ومسيحيون في لقاءاتهم وحواراتهم ويتعاونون على حل مشكلاتها . وذلك لأن في هذه القضية بعداً دينياً يتعلق بدائرة الانتماء الديني أولاً ، ولأن إيمانهم بالله سبحانه يوجههم إلى قيم روحية تحكم تعاملهم معها . وواضح أن هناك نقاطاً كثيرة تقع في إطار دراسة هذه القضية . وسوف نقوم في

هذا الحديث بتسليط أضواء على المصطلح وظهوره وتطوره ، ونمعن النظر في علاقة قضية المواطنة بدوائر الانتماء ، ونتأمل فيما يمكن عمله لمعالجة المشكلات المتصلة بهذه القضية ، مستهدفين من ذلك كله إثارة نقاط لحوار يبلور أفكاراً بشأنها.

أضواء على قضية المواطنة في عالمنا :

جاء ظهور مصطلح المواطنة في دائرة الحضارة الغربية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي ، مع رسوخ فكرة (الدولة ـ القومية) وانتشار العلمانية بعد تفجر الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م. وكان الإغريق القدماء استخدموا هذا المصطلح الذي حمل في مفهومهم وضعاً حقوقياً وسياسياً مرتبطاً بالمقام الجغرافي والمدينة الدولة . وقد ترجم الفرنسيون كلمة Politia اليونانية بـِ Citoyenneté وترجمها الانكليز بـِ Citizenship . وكانت أقوام أخرى قديمة قد عرفت مفهوم المواطنة ، ومن هؤلاء الفنيقيون الكنعانيون ، حسبما ذكر ديودروس وأرسطو في كتاب «السياسة»(١).

أخذ مصطلح المواطنة في الغرب الحديث وضعاً قانونياً يميز المواطن عن الأجنبي غير المواطن ، جرى التعبير عنه بكلمة Nationality التي اشتقت من Nation. وحين انتقل مصطلح المواطنة الغربي إلى اللسان العربي اشتقت الكلمة من «الوطن» وهو «موطن الإنسان ومحله والمنزل الذي يقيم به» . بينما تمت ترجمة مصطلح الوضع القانوني Nationality «بالجنسية» التي شاع استخدامها . وهي كما هو واضح مشتقة من جذر «الجنس» الذي من معانيه التمييز بين الذكر والأنثى . والترجمة الحرفية للكلمة الأجنبية هي «الأمية» أو «الجماعية».

يمكننا في ضوء ما سبق تعريف «المواطنة» بأنها رابطة بين الفرد وجماعة ما تقوم على انتماء لدائرة ما أو أكثر من دائرة . كما يمكن تعريف «الجنسية» بأنها تعبير قانوني عن المواطنة . ويستخدم الأمريكيون كلمة Citizenship للدلالة عليها . وقد عرفتها موسوعة كولبير بأنها «أكثر أشكال العضوية في جماعة سياسية اكتمالاً» . فالمواطن « مدين بالولاء لدولته ، ومحل محددات تتعلق بالعمر والجنس وشروط أخرى ، وهو يملك حقوقاً مدنية وسياسية كاملة» لا يتمتع بها «الأجنبي». وهكذا تبرز العلاقة بين المواطنة والجنسية . فالذين توطنوا في مكان واحد وأقاموا فيه جيلاً من الزمن يحملون جنسية

---

(١) هيثم مناع ، المواطنة في التاريخ العربي الإسلامي ، مركز القاهرة لحقوق الإنسان.

واحدة وينتمون إلى وطن واحد أسبغ عليهم هذه الجنسية . وكلا المصطلحين يشير إلى علاقة فرد بدولة وليس بفرد آخر . ويحكم هذه العلاقة «عقد اجتماعي» بين الفرد والدولة . وهكذا يرى البعض أنه بفكرة المواطنة جرى تحرير الفرد في الغرب من التبعية لفرد آخر كما كان الحال في عهد الإقطاع في العصور الوسطى هناك ، وأصبحت تبعية الفرد للدولة.

يلاحظ الباحثون في قضية المواطنة أن قوانين الجنسية تتباين في عالمنا . وقد قررت معاهدة لاهاي في ١٢/٤/١٩٣٠م أنه «يعود لكل دولة أن تحدد بتشريعاتها الخاصة من هم وطنيوها . وأن هذه التشريعات فقط لها الحق في تحديد ما إذا كان الفرد من رعايا الدولة أم لم يكن» . وهكذا جرى اعتماد حق الدم أحياناً وحق الأرض أحياناً ، ووجدت أشكال من الجنسيات مكتسبة وممنوحة وشرفية ، الخ.. وتأثرت قوانين الجنسيات بالخصوصيات الثقافية ـ الاجتماعية ، وتحكمت فيها مصالح، «فتقولبت في نطاق حركية مصلحية» ، على حد تعبير ماكس فيبر . وقد رفضت الكيانات التي قامت على الاستعمار الاستيطاني اعتماد حق الدم وحق الأرض لأهل البلاد الأصليين في منح المواطنة ، وأطلقت عليهم اسم Indigené بالفرنسية. وهذا شأن الكيان الإسرائيلي الصهيوني الذي أقر «مبدأ العودة» لكل يهودي بقانون وجعل «اليهودية» المرجع الأساسي لمفهوم الجنسية في الغالب . ويرى بعض الباحثين أن الجنسية تتضمن في طياتها «إغلاقاً» يحدد تخوم المشاركة في الفعاليات الاجتماعية أو ينفيها . فهي تخرج «الأجنبي» من دائرة المواطنة «وتهمّشه» وتحرمه من حقوق أقرها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان . ولكنها من جهة ثانية تمنح المواطن هذه الحقوق والمشاركة في صنع حياة المجتمع . وهناك دول تجعل «المواطنة» درجات وتميز بين جنسية الدولة الممنوحة لفئة وجنسيتها الممنوحة لفئة أخرى ، فلا تتساوى حقوق المواطنين(١).

إن واقع قضية المواطنة في مجتمعات عالمنا المعاصر جعلت كثيراً من التساؤلات تطرح بشأنها في الدوائر الثلاث على السواء ، دائرة الدولة الواحدة ودائرة الحضارة الواحدة ودائرة العالم الواحد . ومن بين هذه التساؤلات :

هل يكون الأصل هو المساواة التامة بين جميع المواطنين في جميع الحقوق والواجبات في الدولة

---

(١) أحمد حمد ، فقه الجنسيات ، ١٩٨٦م ؛ هيثم مناع ، المواطنة في التاريخ العربي الإسلامي.

الواحدة ؟ ألا ينبغي أن تأخذ «المواطنة» في الاعتبار حقيقة الانتماء لدائرة حضارية واحدة ؟ وكيف ؟ هل يمكن الارتكاز على مفهوم المواطنة لتنظيم العلاقات بين المجتمعات في عالمنا وتطبيق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ؟ وكيف يمكن التوفيق بين النظرة القطرية الضيقة والنظرة الدولية الرحبة ؟

وهناك تساؤلات أخرى تطرح حول معيار المواطنة ومن ثم الجنسية، أهو عنصر الدم أم عنصر الأصل أم عنصر الدين أم مجموعة العناصر الثلاثة ؟ وحول طابع الجنسية ، أقانوني أم سياسي ؟ وحول تنويع درجات المواطنة والجنسية ، أهي تأسيسية أم أصلية أم مكتسبة ؟

ثم هناك تساؤلات حول سياسة التعامل مع التشريعات الخاصة بالمواطنة والجنسية ، فهل يجب التشدد في منح الجنسية أم التساهل ؟

لعل من أهم النقاط التي تتضمنها هذه التساؤلات نقطة العلاقة بين العقيدة الدينية والهوية الوطنية. فهذه العلاقة ـ كما يقول جون تايلور في بحثه عنها في البلقان ـ التي اتسمت بالاختلاط وبالعنف أحياناً «كانت أحد عوامل الشعور بالحرمان من حق شرعي في البلقان وخاصة في أقطار يوغوسلافيا السابقة التي برزت فيها محاولات سياسية لمعادلة جنسية ما بالأرثوذكسية أو بالكاثوليكية أو بالإسلام» . وتشغل علاقة الدين بالمواطنة بال مفكرين سياسيين مسلمين ومسيحيين[1] في دائرتنا العربية اليوم ، كما شغلت أجيالاً سابقة منهم طوال القرنين الماضيين . ويشرح طه جابر العلواني أسباب هذا الانشغال في بحثه «حول فكرة المواطنة في المجتمع الإسلامي» قائلاً :

«لقد مثّل موضوع «المواطنة» جزءاً من مشكلة «الهوية» والمفاهيم المختلفة التي ارتبطت بها منذ بدء احتكاكنا الفكري والثقافي والسياسي والعسكري بالغرب في القرن الماضي . وإذا كانت المسألة قد حسمت على صعيد الواقع منذ أن تمزقت الدولة العثمانية ، وتحولت أشلاؤها العربية وغيرها إلى دول وحكومات قومية وإقليمية ، فإن المسألة لم تنته على المستوى الفكري والثقافي ، بل بقيت سؤالاً كبيراً يطرح بشكل تحدٍ أحياناً وبشكل عذر أو ذريعة أحياناً ، كما يطرح بشكل تساؤل أحياناً أخرى ، وأياً كان الشكل الذي يطرح الموضوع به ، فقد بقي موضوعاً شديد الحساسية كبير الخطر ، حتى إذا بدأت مظاهر الشيخوخة والكبر والفشل تبدو على قواعد الدولة القومية والدولة الإقليمية الوطنية في بلاد

---

(١) جون تايلور ، الأيديولوجية الدينية والهوية الوطنية في البلقان ، دراسات إسلامية ١٩٩٧/٣م.

John Taylor, Religious Ideology and National Identity in Balkans , Islamic Studies 3/1997.

المسلمين بدأ البحث يشتد حول صيغ جديدة للهوية والانتماء ، وأفضل أساليب تنظيم العلاقات بين شعب كل قطر من ناحية والحكومات المهيمنة على مقدراتهم حزبية كانت أو عسكرية أو غيرها من ناحية أخرى ، وتضاعف حجم ذلك السؤال كثيراً ونما بشكل هائل». كما يعرض غسان سلامة لهذه العلاقة في بحثه «نحو عقد اجتماعي عربي جديد ، بحث في الشرعية الدستورية» ، ويشير إلى كثرة أعداء الفكرة الوطنية المتصلة بقضية المواطنة ، في أوساط التيارين الإسلامي والقومي ، وذلك في معرض دعوته لأن يقوم هذا العقد الاجتماعي على خمسة أركان، هي الفكرة القومية والفكرة العربية والفكرة الديموقراطية وحقوق الأفراد والجماعات ومضمون اجتماعي . وأمثلة أخرى كثيرة في ما صدر عن هؤلاء الباحثين.

تطور قضية المواطنة في الدائرتين القومية والحضارية :

عني الفكر في الدائرة العربية ودائرة الحضارة العربية الإسلامية بقضية المواطنة هذه ، منذ انتقلت من دائرة الحضارة الغربية إليهما ، وطرح المفكرون فيهما إجابات عن التساؤلات التي برزت في إطار هذه القضية. وقد تتبع طارق البشري في كتابه «المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية» تاريخ الأفكار التي جرى طرحها منذ عهد محمد علي في مصر . وفصّل الحديث عن العلاقة بين العقيدة الدينية والهوية الوطنية في أحد فصول الكتاب الذي صدر مستقلاً بعنوان «بين الجامعة الدينية والجامعة الوطنية في الفكر السياسي». فدولة محمد علي التي قامت في مصر وحظيت بنوع من الاستقلال في إطار الدولة العثمانية بدأت بتمصير الجيش عام ١٨٢٢م، وأبقت للأقباط المسيحيين المصريين دورهم التقليدي في إدارة شؤون المالية العامة للدولة ، وحين قام أول مجلس نيابي في «الخديوية» في عهد الخديوي إسماعيل عام ١٨٦٦م نص على أن كل مصري بلغ الخامسة والعشرين من عمره يمكن ترشيحه ، يستوي في ذلك الجميع مسلمين ومسيحيين ويهود ، بلا تفرقة على أساس الدين. وقد أوضح رفاعة الطهطاوي في كتابه «مناهج الألباب» عام ١٨٦٩م أن الوحدة الوطنية تشمل الملل المختلفة ، وتقوم على الاتحاد في اللسان والحاكم . كما أوضح أن هناك أخوة عامة تمليها العبودية لله ويترتب عليها التساوي في الإنسانية ، وأخوة إسلامية يمليها الدين الإسلامي . وهكذا جرى إقرار الجامعة الوطنية بغير عراك مع العقيدة الدينية. ونجد في الفترة نفسها أن البطريرك مرقص وجه رعيته من الأقباط إلى التمسك بهذه الجامعة ، وهاجم التغريب الذي تفشى في أوساط قبطية بفعل الغزوة الفرنسية. كما نجد أن الكنيسة القبطية قاومت التبشير الأمريكي البروتستانتي الذي نشط في القرن التاسع عشر

مستهدفاً الأقباط والمسلمين على السواء.

فرضت قضية المواطنة نفسها بقوة في الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . وجاء الخط الهمايوني عام ١٨٥٦م بعد خط شريف كولخانة عام ١٨٣٩م ، ليقرر مبدأ المواطنة لجميع العثمانيين على اختلاف مللهم . ودار حوار غني في ديار الإسلام عموماً حول القضية برز فيه تيارٌ اتخذ موقفاً يغلب عليه رد الفعل الرافض تحسباً من نفاذ قوى الهيمنة الغربية من خلال قوانين «المشروطية» . كما برز تيارٌ أقوى حرص على التواؤم مع هذا الجديد وتأصيله دينياً . وقد حكى الشيخ رشيد رضا أن الشيخ محمد عبده كان يرى الوطنية عبارة عن تعاون أهل الوطن الواحد لمختلفي الأديان في كل ما فيه عمرانه وإصلاح حكومته ، وأن الإسلام لا يعارض في شيء من ذلك كما يثبته شرعه في العدل والمساواة ، وأن السيد جمال الدين الأفغاني كان يرشد تلاميذه وحزبه السياسي إلى وجوب اتحاد أهل كل قطر . وكان حزبه مؤلفاً من أذكياء الملل المختلفة . ومن الذين عبروا عن هذا التيار عبدالله النديم في صحيفته «الأستاذ» ، قائلاً «المسلمون والأقباط هم أبناء مصر الذين ينسبون إليها وتنسب إليهم»(١).

استمرت قضية المواطنة مطروحة في أقطار الدائرة العربية ودائرة الحضارة العربية الإسلامية بعد انهيار الدولة العثمانية وانتهاء نظام الخلافة عام ١٩٢٤م، وقيام الدول الحديثة في هذه الأقطار وفق أنموذج «الدولة الوطنية» . وإذا كانت هذه الدول قد تبنت الفكرة قانونياً وعملياً على صعيد الواقع ، إلا أن القضية بقيت مطروحة على الصعيد الفكري ، وحفلت الممارسة العملية بما كان يثيرها . وهكذا رأينا الحوار يستمر والكتابات تتتالى حول القضية . ونذكر كيف شدَّ هذا الحوار كثيرين حوالي منتصف هذا القرن حين أصدر خالد محمد خالد كتابه «من هنا نبدأ» الذي نادى فيه بوطنية الحكم وهاجم الحكومة الدينية ، فرد عليه محمد الغزالي بكتابه «من هنا نعلم» مفنداً ، وأصدر عبدالمتعال الصعيدي كتابه «من أين نبدأ» الذي حاول فيه التوفيق بين الانتماء الوطني والانتماء الديني. «فالإسلام لا يمنع المصري المسلم مثلاً أن يعتز بمصريته مع اعتزازه بإسلامه وأن يذكر مفاخر قدماء المصريين مع ذكر مفاخر سلفه من المسلمين». «وإن لكل مسلم جنسيتين ، جنسية عامة يشاركه فيها جميع المسلمين، وتعد بالنسبة لهم جنسية واحدة ، وإن كانت مجتمعة في شعوب مختلفة ، وجنسية خاصة قد يشاركه فيها غير المسلم كالجنسية المصرية ونحوها من الجنسيات . وكذلك لكل مسلم وطنان...».

---

(١) طارق البشري ، المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية ، دار الشروق.

والحق أن محاولة التوفيق هذه كان لها ما يبررها ، وإن جاء الحديث عن الجنسيتين ينقصه الوضوح والتحديد. وقد دعا هذا الحوار إلى الخاطر المعركة التي أثارها في النصف الثاني من العشرينات صدور كتاب علي عبدالرازق «الإسلام ونظام الحكم».

دخل الحوار حول قضية المواطنة مرحلة جديدة في النصف الثاني من القرن العشرين في منطقتنا. وشارك فيه كثيرون في الدائرة الوطنية والدائرة القومية والدائرة الحضارية . وأثّرت في مجراه ومضمونه أحداث وقعت ومسائل جرى طرحها . فقيام دولة باكستان مثلاً بعد تقسيم الهند طرح مسألة دين الدولة والحكم بالإسلام ومكان غير المسلمين في الدولة . وبروز فكرة القومية العربية وما حدث من اتحادات وانفصالات طرح مسألة المواطنة القومية . وظهور الصحوة الدينية طرح مسألة المواطنة والأخوة الدينية والحضارية .كذلك فإن الممارسة العملية للمواطنة القطرية أثارت مسألة مساواة الذكر والأنثى في المواطنة ، وخاصة في أمر النساء المتزوجات من غير جنسيتهن ووضع أولادهن.

ويمكننا أن نلاحظ في هذا الحوار الدائر حول قضية المواطنة عدة موضوعات حيوية يجري تناولها وتتطلب معالجة . الأول منها هو وضع غير المسلمين في دولة وطنية غالبيتها من المسلمين . والثاني هو وضع عرب مسلمين ومسيحيين في دولة وطنية عربية غير القطر الذي ينتمون إليه . والثالث وضع مسلمين من غير العرب في دولة وطنية عربية ترفع شعار الإسلام . والرابع وضع أبناء مواطنات في دولة وطنية مسيحيات ومسلمات متزوجات من جنسيات أخرى.

كثيرة هي الكتب التي صدرت حول قضية المواطنة في هذه المرحلة . وقد حظي الموضوع الأول بنصيب وافر منها ، لأنه يتصل بقضية نظام الحكم بالإسلام ويدخل في الحوار الدائر حولها في ديارنا ، وهو موضع شبهة يوجهها غربيون للإسلام . كما حظي الموضوع الثاني بعناية التيار القومي . وحظي الموضوع الثالث بعناية التيار الحضاري الذي يستشعر أهمية الدائرة الحضارية . وحظي الموضوع الرابع بعناية كثيرين من مختلف الاتجاهات الفكرية استشعروا المعاناة منه . ولا يتسع مجال هذا الحديث لتفصيل ما تضمنته هذه الكتب ، وقد عرض طارق البشري للكثير منه في كتابه ، كما عني إدوارد غالي الذهبي في كتابه «معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي» باستعراض بعض هذه الأفكار . ونشير إلى ما صدر عن المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) في الأردن عن معاملة غير المسلمين في الحضارة الإسلامية ، والملاحظ أن جل هذه الكتابات أكدت على تكريم الإسلام بني آدم واحترام حقوق الإنسان ، واستشهدت بصحيفة المدينة لتدلل على المساواة في هذه

الحقوق بين جميع الملل ، وقدمت رؤية عصرية لمصطلح «أهل الذمة» ولموضوع تأديتهم «الجزية» ، وقررت احترام المواطنة . ولقد لاحظ محمد سليم العوا بحق في كتابه «في النظام السياسي للدولة الإسلامية» أن بعض من تعامل مع قضية المواطنة اعتمد منهجاً سلبياً مكتفياً باستذكار أحكام الفقهاء السابقين ، وأن بعضاً آخر اعتمد منهجاً إيجابياً متابعاً الاجتهاد ، ولكن في أضيق الحدود . وأوضح أن أصولاً ثلاثة تحكم التعامل مع هذا الموضوع ، هي تحكيم نصوص الشريعة الواردة في القرآن الكريم ، وقبول ما تقتضيه المشاركة في الدار أو الوطن بتعبيرنا العصري ، وإعمال روح الأخوة الإنسانية بدلاً من إهمالها(١).

المواطنة ودوائر الانتماء من وجهة نظر إسلامية :

في معالجتنا لقضية المواطنة في المجتمع المعاصر ، في ضوء نشأة هذه القضية وتطورها ، نركز النظر على علاقتها بدوائر الانتماء للفرد في هويته الواحدة . فهذا الفرد يولد في «ديار» هي «موطنه» لم يختره لنفسه ، ولكنه يجد نفسه منتمياً إليه . وهو يشترك مع آخرين ولدوا في «الديار» فأصبحت العلاقة بالموطن علاقتهم جميعاً. «فهم مواطنون في وطن مشترك تربطهم به علاقة مشاركة تاريخية ، كما يقولون ، تعبيراً عن أنها ناتج تطور طويل ، وليست من إنشاء إرادة منفردة وقتية» على حد قول عصمت سيف الدولة في كتابه «عن العروبة والإسلام»(٢) . فدائرة الانتماء إلى «الديار» «الوطن» بالغة الحيوية في تحديد «المواطنة» . وواضح أن الدولة الوطنية القطرية أخذت هذه الحقيقة في الاعتبار - في معظم الأحيان - باستثناء كيانات الاستعمار الاستيطاني العنصري التي حصرت المواطنة في فئة معينة أو جعلتها درجات حسب «العنصر» المعتمد. ويستوي في هذه المواطنة القطرية أبناء جميع الملل والأقوام ، باستثناء مقيمين وافدين لم يكتسبوا جنسية الدولة.

إن الإسلام يعترف بدائرة الانتماء هذه ويحترمها ويذود عنها . وقد تحدثت عدة آيات كريمة عن «الديار» واعتبرت الإخراج منها مبرراً لقتال المعتدين . وحفلت السيرة النبوية بالشواهد على محبة الوطن ، وعلى تنظيم العلاقة بين أهل الوطن الواحد ، كما تجلى ذلك في الصحيفة . وهذا ما دعا كثيراً

---

(١) محمد سليم العوا ، في النظام السياسي للدولة الإسلامية ، دار الشروق.

(٢) عصمت سيف الدولة ، عن العروبة والإسلام ، مركز دراسات الوحدة العربية.

من المفكرين المسلمين إلى أخذ هذه الدائرة في الاعتبار في قضية المواطنة ، وجعلتهم يعلنون اتساع الإسلام لقبول مفهومها ، ومن هؤلاء راشد الغنوشي . ولذا فإن القول بأن «مشكلة المسلمين مع الإسلام كانت منذ البداية أنه دين أيديولوجيا بغير جغرافية ، تهمه هوية الأرض أكثر مما تهمه الأرض» لا تصدقه الآيات الكريمة ولا السيرة النبوية ولا مجرى حركة تاريخ الحضارة الإسلامية . واعتماد غسان سلامة هذا القول للتدليل على أن الإسلاميين يعادون الفكرة الوطنية بدافع أيديولوجي أمر يستوجب إعادة النظر، وملاحظة أن العصبية التي تحدث عنها ابن خلدون واستشهد بها الباحث للتدليل على رأيه ، هي ثمرة نسب ووطن(١) . فالنسب الواحد يرتبط بموطن واحد في الأصل. ومن هنا فإن أية معالجة لقضية المواطنة في المجتمع المعاصر يجب أن تأخذ في الاعتبار دائرة الانتماء إلى «الديار» «الموطن».

هناك دائرة الانتماء إلى «الأمة» الواحدة بشعوبها في وطنها الكبير الذي يضم «مواطن» الأقطار وأراضي الدول الوطنية القطرية . فالفرد المنتمي لموطنه يستشعر انتماءه لهذه الدائرة القومية الأوسع . ويقوى هذا الاستشعار مقترناً بشعور من المرارة حين تكون التجزئة مفروضة على هذا الوطن الكبير ، وتقوم بين الأجزاء حدود سياسية . ومثل على ذلك انتماء الفرد العربي الناطق باللسان العربي مسيحياً كان أو مسلماً للعروبة . وهذه العروبة كما قال عصمت سيف الدولة «علاقة انتماء إلى وضع تاريخي تدرك العربي منذ مولده وتصاحبه حتى وفاته ، ولو لم يكن مميزاً، ولو لم يدركها ، ولو كفر بها». وقد توقف جيمس كريج James Craig أمام هذا الانتماء للعروبة في محاضرته «ماذا يكون العربي؟ What is an Arab» وهو الدبلوماسي البريطاني الذي عمل في عدة دول عربية ، ثم عين مديراً عاماً لمنظمة الشرق الأوسط في بلاده وحاضر في أكسفورد . وفي محاولته الإجابة عن السؤال مَن العربي؟ لاحظ أن هذا السؤال لو انصرف إلى فرد بريطاني أو أمريكي لجاء الجواب سهلاً بالقول «هو من له حق حمل جواز بريطاني أو أمريكي ، ولكن لا يوجد شيء اسمه الجواز العربي» . وأوضح أن التحديد الذي لاقى قبولاً هو أن العربي هو شخص ما اعتبر نفسه عربياً . ووقف أمام سمات العرب والمجتمع العربي فلاحظ «أن أولى خصائصه التي هزتني إدراك العربي الثابت لانتمائه العربي، لعروبته.. إن العرب فريدون في كونهم موزعين في عشرين قطر أو أكثر لكل منهم جنسيته ، ولكن كلاً من هذه الأقطار فيه

---

(١) غسان سلامة ، نحو عقد اجتماعي عربي جديد ، مركز دراسات الوحدة العربية.

غالبية من المواطنين الذين يشعرون بالولاء لعروبتهم مثل ولائهم لوطنيتهم القطرية أو أكثر». وعلل ذلك بحداثة الدول العربية التي يعود قيامها إلى هذا القرن ، وإلى أن للعرب تاريخ واحد متصل عبر قرون. وهذا ما جعل المعجم السياسي يستخدم كلمة «القومية» للدلالة على هذا الانتماء إلى جانب كلمة «الوطنية» للدلالة على الانتماء لدائرة الدولة القطرية(١).

إن الإسلام يعترف بدائرة الانتماء «القومي» هذه ، ويحترمها ويذود عنها. فالله سبحانه خلق الناس من ذكر وأنثى وجعلهم شعوباً وقبائل ، مختلفة ألسنتهم وألوانهم ـ آية من آياته ـ فكانت «الأقوام» ومن ثم «القوميات» . وقد أعطت «الصحيفة» في تنظيمها مجتمع المدينة مثلاً للتنوع في الوحدة ، وحفلت صفحات تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بأمثلة على إدراك العلاقة بين الانتماء القومي والانتماء الديني ، في السلم والحرب على السواء ، ومن ذلك موقف العز بن عبدالسلام المقاوم للغزو المغولي التيمورلنكي رغم كون الغزاة يدينون بالإسلام، ومثله موقف كثير من المسيحيين الأرثوذكس الرافض للغزو الفرنجي الذي رفع شعار الصليب . والرأي الغالب في فكر التيار الإسلامي المعاصر يؤكد هذا الاعتراف بدائرة الانتماء القومي وبتكاملها مع دائرة الانتماء الديني ، ومثل على ذلك ما كتبه يوسف القرضاوي عن العروبة والإسلام . وهذا شأن الرأي الغالب في فكر التيار القومي المعاصر ، ومثل على ذلك ما كتبه عصمت سيف الدولة في الموضوع نفسه . وقد تجلى اللقاء بين هذين التيارين في توافقهما على تأسيس المؤتمر القومي ـ الإسلامي الذي ضم عرباً مسلمين ومسيحيين من التيارين . ولكن لا تزال هناك قلة في التيارين أسيرة اصطناع تناقض بين الانتماءين القومي والديني ارتفع صوته في الخمسينيات ، وهي تعمد إلى إنكار أحد الانتماءين للتأكيد على الآخر مغفلة تكاملهما . وواضح أنها تؤثر سلبياً في قضية المواطنة ، وخاصة وأنها تعمد إلى خطاب يتصف بالمغالاة والحدة . ولافت أن الرأي الغالب يشق طريقه قدماً بما يتصف به من علمية ووسطية.

لا بد من أخذ دائرة الانتماء القومي في الاعتبار في قضية المواطنة ، سواء عند سن قوانين المواطنة في الدولة الوطنية القطرية ، أو في روحية تطبيق هذه القوانين . ويلاحظ أن جل دساتير الدول العربية

---

(١) جيمس كريج ، محاضرة ألقيت بتاريخ ١٨/١١/١٩٩٦م في منظمة الشرق الأوسط ، انجلترا، بعنوان «ماذا يكون العربي».

James Craig, What is an Arab?, Middle East Association , England.

تنص على الانتماء للأمة العربية ، إلا أن أكثر هذه الدول لم يقنن مبدأ المواطنة العربية . وقد دعا كاتب هذا البحث إلى هذا التقنين في كتابيه «عن شعب فلسطين العربي» و «وحدة التنوع» . وتحفل قرارات صادرة عن جامعة الدول العربية بما يساعد على هذا التقنين ، ولكنها لم تأخذ طريقها إلى التطبيق في غالب الأحيان ، كما حدث في دوائر قومية أخرى في عالمنا في أوروبا وإفريقيا . وهناك خطوات محدودة تم اتخاذها على هذا الصعيد في مجلس التعاون الخليجي تستحق التشجيع . وواضح أن تأخر تقنين هذا المبدأ في الدول العربية يجعل أي عربي يحل في دولة عربية أخرى لا يحمل جنسيتها «أجنبياً» لأن «الأجنبي» في القانون المصري مثلاً هو كل من لا يتمتع بالجنسية المصرية ، حسب قانون ٨٩. ولا شك في أن المؤمنين بالله من المسيحيين والمسلمين يستطيعون التعاون معاً في توظيف حقيقة الانتماء القومي إيجابياً وحمايته من الاستعلاء الذي يشوهه، باستحضار قيم الأخوة الدينية الإنسانية . وقد لاحظ جون تايلور بحق في بحثه عن البلقان أن القومية التي يمكن أن تكون تأليفاً نبيلاً للقلوب ، يمكن أن تتشوه أحياناً بالاستعلاء ، واستشهد ببيان وفد علماء الأديان الذين زاروا البلقان في ١٩/١٠/١٩٩٤م ، وقد جاء فيه أن الهوية القومية يجب ألا تعني قومية متعصبة ضيقة ، وأن الوحدة عبر التنوع ضرورية وممكنة للأمم والأديان ، وأنه لا بد من التعاون بين المؤمنين لإيجاد قوى محركة لربط صحي بين الدين والقومية.

هناك أيضاً دائرة الانتماء إلى «الدين» ومن خلاله إلى «الحضارة» . والصلة بين الدين والحضارة وثيقة . فالفرد منذ أن يولد ينتمي لدين والديه وقومه . ويتمثل في ترعرعه تعاليم هذا الدين ، ولا يلبث أن يدرك أنه ينتمي لحضارة أسهم الدين في ازدهارها ، تجمعه مع آخرين من ملل أخرى وأقوام آخرين في دائرة واحدة لها قيمها وإنجازاتها وتاريخها الذي أسهم الجميع فيه . فابن الحضارة الغربية مثلاً من أي قطر أوروبي كان أو من الولايات المتحدة الأمريكية يستشعر انتماءه لمعتقده ولهذه الحضارة . والأمر نفسه بالنسبة لابن الحضارة العربية الإسلامية التي شارك مؤمنون من ملل عدة وأقوام عدة في ازدهارها. وقد لاحظ جيمس كريج في حديثه عمن هو العربي أن الخاصية الثانية للمجتمع العربي بعد خاصية العروبة هي استشعار أهمية الإسلام ، لأن القرآن نزل بالعربية على نبي عربي . كما لاحظ قوة هذا الاستشعار رغم ما تعرض له الإسلام من محن وهجوم . ولفته بقوة أن المسيحيين العرب يشاركون إخوانهم المسلمين هذا الاعتزاز بالإسلام تاريخاً وحضارة . وأورد استشهادات عدة للتدليل على هذه الخاصية من أقوال مسيحيين عرب من مختلف الشرائح خاصة وعامة. والحق أن عدداً من المفكرين

والباحثين العرب المسيحيين المعاصرين شرحوا هذا الانتماء لحضارتهم العربية الإسلامية(١). وقد كتب قسطنطين زريق في «الوعي القومي» عام ١٩٣٨م، إن واجب كل عربي بصرف النظر عن معتقده الديني أن يدرس الإسلام وتاريخ النبي محمد من جهة أنه موحد العرب وجامع شملهم. كما كتب آخرون عن اعتزازهم بالإسلام حضارياً ، ومنهم الأب جورج قنواتي . وفي كتابه «عن العروبة والإسلام» أبدع عصمت سيف الدولة في شرح لقاء المسلمين والمسيحيين على قيم هذه الحضارة ، وخاصة معيار الحلال والحرام فيها، وأوضح أن الانتماء الديني قد يتعدد في أمة واحدة دون أن يمس هذا التعدد وحدة الأمة ، مستشهداً بعشرات الآيات من القرآن الكريم.

إن الإسلام يعترف بالانتماء لهذه الدائرة الدينية الحضارية ، ويحث على تآخي الشعوب والأمم في إطارها أقواماً متحابين ومللاً ، متعارفين متعاونين على البر والتقوى، يستبقون الخيرات . وقد أثمر هذا الانتماء خيراً كثيراً في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية . وكان للمسيحيين إسهامهم بنصيب وافر فيها ، وخاصة أتباع الكنيسة الأرثوذكسية التي تميزت منذ نشأتها بصرامة التزامها بتعاليم السيد المسيح عليه السلام وانتمائها لهذه الحضارة ، على حد وصف عصمت سيف الدولة لها.

ينبغي أخذ الانتماء لهذه الدائرة في الاعتبار عند معالجة قضية المواطنة . وقد تنبهت الدول الأوروبية الغربية لهذا الأمر بعد أن عانت الأمرّين من إغفاله لعدة قرون اكتوت أثناءها بحروب نفخ فيها الاستعلاء القومي . وهكذا اتجه الاتحاد الأوروبي إلى تقنين المواطنة الحضارية الأوروبية في اتفاقية ماستريخت . والحاجة ماسة إلى تقنين المواطنة الحضارية في الدائرة الإسلامية، ولمنظمة المؤتمر الإسلامي دور ينتظرها على هذا الصعيد.

وبعد .. فإن قضية المواطنة في المجتمع المعاصر سوف تبقى مطروحة تستنفر مزيداً من الجهود لمعالجتها بحيث تنسجم مع مختلف دوائر الانتماء في الهوية الواحدة . وواضح أن ما نجم عن ثورة الاتصال من آثار على صعيد التواصل بين المجتمعات وإدراك كل مجتمع لذاتيته ، سوف يحث على معالجة لها تجمع بين ما تتطلبه المساواة بين بني الإنسان وما يتصف به المجتمع من سمات تعود إلى ما فيه

---

(١) إدوارد غالي الذهبي ، معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، مكتبة غريب ؛ كريم بقردوني وكريم مروة ، «الوطن الصعب، الدولة المستحيلة» ، دار الجديد.

من أقوام وملل ، وما يتطلبه التوجه نحو تعاون الحضارات في عالمنا . وواضح أن ظاهرة العولمة التي نراها اليوم في العالم بما تتضمنه من فرض قسري يستثير الخصوصية الثقافية للمجتمعات ، سوف تستنفر المؤمنين بالله ليعملوا معاً لاحترام حقوق الإنسان والحفاظ على ذاتيته وصيانة هويته.

تعليـــق

الأب فكتور بتليوشنكو *

مقدمـــة

لقد أصبحت مسألة التعايش بين المسلمين والمسيحيين في المجتمع الحديث موضوعـاً أكثر تداولاً مؤخراً . وسوف أورد مثالاً واضحـاً على المواطنة السلمية المشتركة بين المسلمين والمسيحيين في ذات الدولة استناداً إلى تجربة الدولة الروسية التي يمتد عمرها قرونـاً من الزمن .

١ . العلاقة بين المسيحيين والمسلمين في روسيا :

لقد تعايش الإسلام والأرثوذكسية على الأرض الروسية طيلة آلاف من السنين . واحتفظا خلال هذه الفترة الطويلة بحالة من الوفاق المشترك ولـم يسمحا بحدوث صدامات جدية بين الدينين. وأصبح الإسلام جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الروسي وأحدث تأثيره القوي في تطور هذا المجتمع .

ويمر المجتمع الروسي في الوقت الحاضر بفترة انتقال من الإلحاد المتطرّف إلى ما يسمى بالديمقراطية ، وأصبحت قضية التوصل إلى مفاهيم جديدة للعيش في العالم الحديث قضية أكثر حدّة . وحصلت الأديان على حرية نسبية لأنها تخلصت من ضغط الدولة الخانق ، لكن الحرية بالنسبة للكثيرين من المسيحيين والمسلمين واليهود « شيء أكثر من العبودية » . فقد شعرت الأمة الإسلامية فـي بلدنا على سبيل المثال بقوى انفصالية عاتية وانقسمت إلى عشرات من الطوائف الدينية المستقلة ، مقيمة بذلك هيكليات موازية في جميع مناطق البلاد من ناحية عملية . كما تتطلّب كل من الدول حديثة الاستقلال وضعـاً خاصـاً للجماعة الأرثوذكسية فيها .

وبالرغم من جميع المظاهر الإيجابية لحرية الضمير ، فقد واجهت الأرثوذكسية والإسلام تحديات من موجة لا سابقة لها من العدوان الروحي .فالتصرفات المتسرعة للتبشيريين الأجانب توقع ضرراً كبيراً ليس بالمسيحيين الأرثوذكس فحسب ، بل بمسلمي الاتحاد السوفياتي السابق أيضاً.

---

* بطريركية موسكو ، موسكو – الاتحاد الروسي .

٢ ـ القاعدة اللاهوتية للمواطنة :

تتحدث تعاليم الإسلام بوضوح عــن موقف المؤمنين من أهل الكتاب ، أي المسيحيين واليهود . ويُؤمر المؤمنون من المسلمين بمعاملتهم باحترام شديد وبالتسابق في فعل الخيرات كما جاء في القرآن الكريم « فاستبقوا الخيرات » (سورة المائدة /آية ٤٨) ، ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أُنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ (سورة العنكبوت / آية ٤٦). ولا يعد المسيحيون كفاراً ولا يستطيع أحد حملهم بالقوة على اعتناق الإسلام أو الحيلولة دون ممارستهم لطقوسهم الدينية ، ونحن نعلم أن الجاليات المسيحية في الشرق ، ومنهم أولئك الذين يعيشون في أرض الأردن الكريمة قد تعايشت تعايشاً سليماً مع المسلمين طيلة قرون .

وطبقاً لتصنيف الأديان في روسيا قبل الثورة ، كان الإسلام يحتل الموقع الثاني بعد الأرثوذكسية التي كانت آنذاك ديانة الدولة وتتمتع بكل الامتيازات المتعلقة بها . وفي سنه ١٧٨٨م أُنشئت مؤسسة خاصة أطلق عليها اسم « المجلس الروحي الإسلامي » وذلك لتلبية احتياجات السكان المسلمين في روسيا . وقد أصدرت الإمبراطورة كاترينا الثانية أوامرها الشخصية أثناء زيارتها لمدينة قازان ببناء مسجد جديد هناك .كما تلقى رجال الدين المسلمون إعانة من الدولة ، وقامت الدولة بحماية المسلمين من الانقسام والطائفية .أما الوحدات العسكرية فكانت تتشكل على أساس ديني ، مثل الخيالة البشكيريين الذين قاموا بدور نشط في الحملات العسكرية للإمبراطورية الروسية .

وكان أهم الأوسمة العسكرية للجنود في جيش القيصر هو صليب القديس جورج علماً بأنه وجد وسام موازٍ لغير المسيحيين (الجنود المسلمين بالدرجة الأولى) تفادياً لجرح مشاعرهم الدينية . وعندما وقع الشيخ شامل الذي قاد حرباً جهادية ضد الإمبراطورية الروسية في الأسر لم يُرْغَم على اعتناق الأرثوذكسية بل سمح له حتى بأداء فريضة الحج التي مات خلال القيام بها كمسلم وفي الوقت نفسه كأحد رعايا القيصر الأرثوذكسي .

وكثيراً ما تعاون الأرثوذكس والمسلمون طيلة سنوات الاضطهاد الإلحادي مادياً ومعنوياً في سبيل التغلب على الأوقات العصيبة . وهناك أمثلة عديدة توضح ذلك التعاون . وبعد تفكك الاتحاد السوفياتي تضافرت جهود المسيحيين والمسلمين في عدم السماح باستغلال الدين للأغراض السياسية . كما قام رجال الدين الأرثوذكس والمسلمون بدور بارز في عمليات المصالحة في كراباخ

وبلاد والشيشان .

وفي الغالب يستخدم الإسلام في روسيا قوانين « العادات» وتثير أية محاولة طائشة لاستبدال أي قانون آخر بالشريعة ردة فعل سلبية من جانب المسلمين الروس .

ولا تشترك الأرثوذكسية والإسلام فقط في عنصرالتراث الإبراهيمي واحترام كتابي التوراة والإنجيل المقدسين ، بل هما متقاربان من بعضهما في بعض القضايا أكثرمن تقارب بعض الطوائف المسيحية فيما بينها . وعلى سبيل المثال يكنّ المسلمون احتراماً عميقاً للقديسين المسيحيين جورج المنصور (جرجس) ونقولا الـذي ينتمي إلى مدينة مـايرا فـي ليسيا . كما يؤمنون بالقدوم الثاني ليسوع المسيح (النبي عيسى) وباليوم الآخر . لدينا أموراً كثيرة مشتركة ويجب أن نقدّر هذا الأمرحق قدره .

۰۳ تعاون الأرثوذكس والمسلمين في روسيا :

لم يعد هناك سر في أن محاولات تجري بين الحين والآخر للإيقاع بين الدينين عندنا . فهناك مبالغات في قضايا « مثل الحرب المقدسة (الجهاد) ضد الكفرة الذين استولوا على بلاد القفقاس المسلمة» و « التوسع الإسلامي في أراضٍ أرثوذكسية منذ عهود قديمة » . وفي غالب الأحيان تنجم الخلافات بيننا عن حماس الجهلة من أتباع كل من الإسلام والأرثوذكسية الذين ينظرون إلى أقوال بعض علماء الدين بمعزل عن المفاهيم العامة للعقيدة وتعاليمها . وكثيراً ما تكون مساعيهم الهدامة موجهة من قبل قوى سياسية معينة : « فإنه يوجد كثيرون متمردين يتكلمون بالباطل ويخدعون العقول ... الذين يجب سد أفواههم فإنهم يقلبون بيوتـاً بجملتها معلّمين ما لا يجب من أجل الربح القبيح » (رسالة بولس إلى تيطس ١/١٠-١١) . لكـن لا يميـل الأرثوذكسيـة والإسـلام إلـى الصـراع بين الأديـان ، « طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدْعون » (إنجيل متّى ٩/٥) .

ويدرك الزعماء الروحيون للمسلمين في روسيا ، أصحاب السماحة المُفْتون أهمية، ترسيخ دعائم التعاون بين الأديان . وما المجمع القائم على تلة بوكلونايا Poklonnaya حيث تنتصب كنيسة أرثوذكسية ومسجد وكنيس إلى جوار بعضهم بعضاً ، والقدس الصغيرة في أوترادنوي Otradnoe وهي إحدى مناطق موسكوحيث يقع في نفس المكان مسجدان للسنّة والشيعة وكنيسة أرثوذكسية وكنيس ، إلا مثال واضح على التسامح الديني .وقد افتتح حديثاً مسجد « ليااليا تيولبان » (Lialia-

Tiulpan) في مدينة أوفا (Ufa) الذي يشتمل بناؤه على شكل صليب . وفي المدينة نفسها يخطط المفتي الأكبر لمشيخة الإسلام في روسيا طلحة تاج الدين لبناء « قدسه الصغيرة » التي ستصبح هي الأخرى رمزاً آخر للتعاون بين الأديان . وبإمكاننا أن نشاهد هذه العلاقات الطيبة القائمة على حسن الجوار ليس في روسيا فحسب ، حيث الأكثرية الساحقة مـن مسيحيين أرثوذكس ، بل أيضا أذربيجان وتركمانستان وأوزبكستان وقيرغيزستان حيث معظم السكان من المسلمين .

وقد تجلى التعاون بين الأرثوذكس والمسلمين بوضوح في موقفهم الموحّد المشترك إزاء القانون الاتحادي « حول حرية الضمير وحول الهيئات والجمعيات الدينية » الذي جاء في مقدمته ذكر الأديان التقليدية وورد ذكر الأرثوذكسية والإسلام معاً على أنهما «جزء لا يتجزأ من تراث شعوب روسيا». وقد كتب إف.أي . أسدولين (F.A.Asadullin) رئيس دائرة العلوم والعلاقات العامة في المجلس الروحي الإسلامي لمناطق أوروبا الوسطى في روسيا حول القانون :« إن القانون هو أول إجراء تشريعي طيلة تاريخ دولتنا بأكمله يذكر فيه دور الإسلام بوضوح وتحديد في تشكيل كيان الدولة الروسية ومكانته في الحياة الروحية للمجتمع » .وقد أجمعت الأمة الإسلامية في بلدنا على شجب الفيلم التلفزيوني الذي يبين « الإغراء الأخير للمسيح » ، وهو فيلم يرى فيه المسيحيون الأرثوذكس كفراً صريحاً بينما لا تقبل الكنيسة الأرثوذكسية الروسية الحملة المفعمة بالضجيج والرامية إلى ترجمة كتاب الآيات الشيطانية الذي كتبه سيء الذكر سلمان رشدي إلى الروسية .

وتدرك كنيستنا روابطها الروحية المشتركة مع الإسلام وتشترك معه في المواقف نحو العديد من القضايا الاجتماعية والسياسية . ويتقدم ديننا في جبهة موحدة عند تسوية المشكلات بين الأديان أو الأعراق أو عندما يصار إلى استنباط القوانين . كما أنهما يبذلان قصارى جهودهما للحيلولة دون الانحطاط الروحي للناس . ومن واجب المسيحية والإسلام أن يناضلا من أجل نظام عالمي جديد تتمتع كل أمة في ظله بحق تقرير المصير واحترام قيمها الروحية والقومية ، وذلك لتحقيق مشاركة كاملة في النشاطات الإقليمية والعالمية القائمة على الهوية القومية لكل منها .

٤ . وجهة نظر أرثوذكسية حول قضية المواطنة :

من أجل فهم أفضل لموقف أرثوذكسي حيال المواطنة المشتركة لا مندوحة لنا عن التحوّل إلى تاريخ المسألة وذلك ضمن إطار العلاقات بين الكنيسة والمجتمع والكنيسة والدولة والكنيسة والأمم .

وفي عالمنا المعاصر تعتبر الأمة جماعة عرقية تتألف من مجموع المواطنين في دولة بعينها . ويجب أن تعتبر العلاقات بين الكنيسة والأمم ضمن إطار المَعْنَيين الاثنين للمقصود بفكرة « الأمة » .

وفي العهد القديم من الكتاب المقدس هناك كلمتان تستخدمان للدلالة على « الشعب» وهما «عام» و «غوي» (جمعها غوييم) . وقد اكتسب كلا الاصطلاحين في التوراة اليهودية معنى محدد المعالم : فكان الأول يستخدم للدلالة على شعب إسرائيل الذ ي هو شعب الله المختار ، أما الثاني (بصيغة الجمع) فكان يستخدم للكفرة ، وفي التوراة اليونانية (السبعينية) كان يعبر عن الاصطلاح الأول بكلمتي لاووس Laos (معناها الناس) أو ديموس demos (معناها السكان ككيان سياسي) ؛ كما كان يعبّر عن الثاني بكلمة إيثوس ethos (معناها أمةً) بينما تعني كلمة ethne بصيغة الجمع : (الكفرة) .

وكان المفهوم الذي تدل عليه كلمة الناس أو (People) في العهد القديم من الكتاب المقدس مفهومـاً دينياً . وكان الشعور بالجماعة القومية متجذراً في الإحساس بانتمائهم إلى الله بسبب العهد الذي كان الله قد قطعه مع آبائهم .« أنتم واقفون اليوم جميعكم أمام الـــرب إلهكم : رؤساؤكم أسباطكم شيوخكم وعرفاؤكم وكل رجال إسرائيل . وأطفالكم ونساؤكم وغريبكم الذي في وسط محلتكم ممن يحطب حطبكم إلى من يستقي ماءكم لكي تدخل في عهد الرب إلهك وقسمه الذي يقطعه الرب إلهك معك اليوم . لكي يقيمك اليوم لنفسه شعباً وهو يكون لك إلهاً كما قال لك . . . » (سفر التثنية ٢٩/١٠-١٣) .

وقد جرى تأمين وحدة شعب الله عن طريق انتمائهم لنفس الدين وكذلك عن طريق جماعة قبلية ، وجذورهم في أرض معينة كانت هي أرض آبائهم ، ولغة مشتركة بينهم .

وقد أوليت أهمية كبيرة للحفاظ على نقاء الدم : فالزواج من قبائل أخرى لم يكن محبذاً ، لأن فــي مثل هذه الزيجات كان يتم « اختلاط الزرع المقدس بشعوب الأراضــي » (سفر عزرا ٢/٩) .

وكان شعب إسرائيل المذكور في العهد القديم نموذجاً أولياً لشعب الله كما جاء ذكره في كنيسة المسيح الموجودة في العهد الجديد من الكتاب المقدس . وقد وضعت المأثرة التكفيرية التي قام بها المسيحُ المخلّص الأساس لوجود الكنيسة بوصفها إنسانية جديدة وبوصفها لأبناء روحيين ينحدرون من الجد الأكبر إبراهيم . وعن طريق دمه « اشترى المسيح الناس للّه من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة » (رؤيا يوحنا اللاهوتي ٩/٥) . إن للكنيسة بحكم طبيعتها الخاصة طابعًا شموليًا وبالتالي طابعًا يتخطى

الحدود القومية . وفي الكنيسة « لا يوجد تمييز بين اليهودي واليوناني » (رسالة بولس إلى أهل رومية ١٢/١٩) ٠« ولأن الله ليس لليهود فقط بل للأمم أيضًا » (رسالة بولس إلى أهل رومية ٢٩/٣) فإن الكنيسة لا تقسّم الناس حسب القومية أو الطبقة « حيث ليس يوناني ويهودي ، ختان وغرلة ، بربري سكيثي ، عبد حر بل المسيح الكل وفي الكل » (رسالة بولس إلى أهل كولوسي ١١/٣) ٠

وبما أن الكنيسة شمولية في طابعها فهي تبقى مع ذلك كيانًا أو جسدًا واحدًا (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٢/١٢)٠إنها مجموعة من شعب الله المختار : « جنس مختار وكهنوت ملوكي وأمة مقدسة ٠٠ الذين قبلاً لم تكونوا شعبًا وأما الآن فأنتم شعب الله » (رسالة بطرس الرسول الأولى ٩/٢–١٠) ٠ وبالرغم من ذلك فإن وحدة هذا الشعب الجديد لا تضمنها القومية أو الثقافة أو اللغة بل الإيمان بالمسيح والمعمودية ٠ ويقول شعب الله الجديد « ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة » (الرسالة إلى العبرانيين : ١٤/١٣) . والوطن الأم الروحي لجميع المسيحيين ليس أورشليم دنيوية بل « أورشليم العليا » (رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٢٦/٤) . ولا يتم وعظ إنجيل المسيح بلغة مقدسة واحدة مفهومة لأمة واحدة بل بجميع اللغات (قارن أعمال الرسل ٣/٢–١١) . ولا يتمثل الوعظ الموضوعي للإنجيل في أن شعبًا واحدًا مختارًا يحافظ على عقيدة مختارة بل « لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء وممن على الأرض ومن تحت الأرض ، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الأب » (رسالة بولس إلى أهل فيلبي ١٠/٢–١١) ٠

ولم يكن لمؤسس الكنيسة الرباني السيد يسوع المسيح أي مكان يسند رأسه إليه على الأرض (قارن إنجيل متّى ٢٠/٨) وعلّم الناس قائلاً إن التعليم الذي جاء به لم يكن ذا طابع محلي أو قومي «... إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للأب» (إنجيل يوحنا ٢١/٤) ٠ ومع ذلك فقد جعل نفسه مع الناس الذي كان ينتمي إليهم بحكم المولد . إذ إنه بينما كان يتحدث مع المرأة السامرية أكّد على انتمائه للأمة اليهودية فقال : « أنتم تسجدون لما لستم تعلمون أما نحن فنسجدُ لما نعلم لأن الخلاص هومن اليهود» (إنجيل يوحنا ٢٢/٤) ٠ وكان عيسى أحد الرعايا المخلصين للإمبراطور الروماني وقد دفع ضرائب لقيصر (قارن إنجيل متّى ١٦/٢٢–٢١) .

أما القديس بولس الذي علّم في رسائله عن طابع كنيسة المسيح المتجاوز للحدود القومية فلم يَنْسَى أنه من حيث المولد كان عبرانيًا ولد من العبرانيين (رسالة بولس إلى أهل فيلبي ٥/٣) لكنه مواطن روماني (أعمال الرسل ٢٥/٢٢ – ٢٩) ٠

ويتم التعبير عن الملامح الثقافية المحددة المعالم لبعض الأمم عن طريق الطقوس الدينية وغيرها من الإجراءات الكنسية وضمن مظاهر محدودة أخرى للنظام الكنسي . ونتج عن هذا كله الثقافة الكنسية الوطنية التي يجب المحافظة عليها ودعمها وتطويرها .

وهناك الكثير من القديسين الذين تجلّهم الكنيسة الأرثوذكسية الروسية بسبب وطنيتهم . وفي جميع العصور طلبت الكنيسة إلى المؤمنين أن يحبوا أرض آبائهم الدنيوية وأن لا يبخلوا بأرواحهم في سبيل الدفاع عنها إذا تعرضت للخطر . وهناك أحداث كثيرة في تاريخ روسيا قامت فيها الكنيسة بمباركة الأشخاص الذين شاركوا في حرب تهدف إلى التحرير . فنجد القديس سيرجيوس على سبيل المثال ، وهو راهب وصانع معجزات من رادونيج ، قد منح بركاته للقوات الروسية التي كان يقودها الأمير الأرثوذكسي القديس ديمتري دونسكوي أثناء ذهابها إلى القتال ضد الغزاة التتار عام ١٣٨٠م . وفي سنة ١٦١٢م بارك هيرموجين بطريرك موسكو وجميع روسيا المقاتلين في طريقهم إلى الكفاح ضد المحتلين البولنديين . وفي سنة ١٨١٣م أثناء الحرب ضد الفرنسيين خاطب فيلاريت ميتروبوليت موسكو رعيته قائلاً : « إذا تهرّبتم من الموت في سبيل العقيدة وحرية أرض الآباء فسوف يموت الواحد منكم مجرمًا أوعبدًا . موتوا في سبيل العقيدة والوطن وستحظون بحياة وتاج في السماء » .

وقال القديس جون من كرونشتاد في حب الوطن : « أحبوا أرض آبائكم الدنيوية . لقد ربتكم وميزتكم وعاملتكم باحترام ووفرت لكم كل ما تحتاجون . لكن يجب أن تكنّوا محبة خاصة للوطن السماوي .. لأنه أغلى بما لا يقاس من الوطن الأرضي الدنيوي بسبب كونه مقدسًا وطاهرًا وغير قابل للفساد . لقد أُعطي لكم هذا الوطن لقاء دم ابن الله الغالي . ومن أجل أن تصبحوا أعضاء في أرض الآباء السماوية يجب أن تحترموا وتحبوا قوانينها كما يجب أن تحترموا قوانين وطنكم الدنيوي وتوقروها» .

وتتجلى الوطنية المسيحية نحو الأمة بوصفها جماعة عرقية ومجموعة مواطني الدولة . والمسيحي الأرثوذكسي مطالب أن يحب وطنه الذي له بُعد إقليمي كما عليه أن يحب إخوانه في الدم الذين يعيشون في أرجاء المعمورة كافة . وهذه المحبة وسيلة لتلبية وصية الله التي تأمر المرء بمحبة جاره وتشمل محبة أسرته بالذات وإخوته في الوطن ورفاقه المواطنين .

ولا بد من أن تكون وطنية المسيحي الأرثوذكسي فاعلة . ويظهر ذلك في الدفاع عن أرض الوطن والعمل على خيرها ورفاه الناس وذلك بالمشاركة في أمور حكم الدولة . والمسيحي

الأرثوذكسي مدعو للحفاظ على الثقافة الوطنية وتفهّم ذاته من ناحية وطنية أصيلة .

وعندما تكون الأمة ، سواء أكانت بالمعنى المدني أم المعنى العرقي تتبع المذهب الأرثوذكسي كلها أو معظمها ، فإنه يمكن تصورهما بطريقة ما على أنها مجموعة موحدة العقيدة أي الشعب الأرثوذكسي .

وفي الوقت ذاته فقد تصبح العواطف الوطنية سببًا لظواهر آثمة مثل القومية العدوانية وكراهية الأجانب ، والانعزالية القومية ، والعداوة العرقية . ولدى التعبير عنها بأشكال متطرفة فإن هذه الظواهر كثيراً ما تؤدي إلى فرض القيود على حقوق الشعوب والأمم وإلى الحروب وغيرها من مظاهر العنف العدواني .

ومن الأمور المخالفة للأخلاقيات الأرثوذكسية تقسيم الناس إلى من هم أفضل وإلى من هم أسوأ ، وإهانة أية أمة على الصعيد العرقي أو المدني على أساس توجهها الديني . بل إن هناك أموراً أكثر تناقضًا مع الأرثوذكسية كالتعاليم التي تحلّ الأمة محلّ الله أو تمسخ الإيمان فتنزله إلى مستوى أحد مظاهرالتعصب القومي . فالكنيسة لا تنتمي لأمة واحدة من حيث المبدأ . وبخلاف الأديان القومية فإن ما يبشر به الإنجيل موجّه إلى جميع الأمم . وليست الكنيسة الأرثوذكسية الروسية مقتصرة على العرق الروسي وحده دون غيره . فهي بقدر متساوٍ كنيسة جميع الأشخاص الذين يعيشون على أرضها .

وبينما تواجه الكنيسة الأرثوذكسية ظواهر الإثم والخطيئة ، فإنها تقوم أيضًا بمهمة التوفيق وإصلاح ذات بين الأمم المتعادية . وأثناء الصراعات العرقية لا تنحاز إلى أي جانب اللهم إلا في الحالات التي يقوم بها أحد أطراف الصراع بعدوان صارخ أو إلحاق ظلم فادح بغيره .

وترفض الكنيسة نظرية « الإثم الجماعي للأمة » وتتبع مبدأ تقويم الجريمة أوالخطيئة على أساس أنها ذنب شخصي فردي وليس جريمة اقترفها المجتمع الإنساني بما في ذلك الأمم .

وكثيراً ما حدث في التاريخ أن عانت الكنيسة من الاضطهاد لأنها كانت تبشر بحقيقة المسيح . ولكن حتى الكنيسة التي تعاني من الاضطهاد لا يحق لها اللجوء إلى الوسائل السياسية لحماية نفسها . فالمسيحيون مطالبون باحتمال الاضطهاد بصبر مع البقاء موالين للدولة التي تضطهدهم . من ناحية أخرى عندما ترغم الدولة المسيحيين الأرثوذكس على الارتداد عن الدين واقتراف أعمال تعتبر أكبر الآثام فإنه يجوز عندئذ للكنيسة عصيان أوامر الدولة . إذ لا يستطيع المسيحي وهو يتبع ما يمليه عليه

ضميره ، أن ينفذ أوامر الدولة التي ترغمه على الردّة أو ارتكاب إثم من الكبائر . وعندما يستحيل على الكنيسة إطاعة قوانين الدولة وأوامر سلطات الدولة ، يصبح باستطاعة السلطات الكنسية المعترف بها دراسة المسألة واتخاذ الإجراءات التالية : الدخول في حوار مباشر مع سلطات الدولة حول المشكلة ، والطلب إلى الناس استخدام آلية السلطة الشعبية لتغيير التشريعات أو إعادة النظر في قرار السلطان ، ومخاطبة المنظمات الدولية والرأي العام العالمي ، بل وحتى الطلب إلى المؤمنين أن يقوموا بعملية عصيان مدني سلمية .

خاتمـــة

لقد أصبحت مشكلة المواطنة الشاملة أكثر حدة حتى من قبل في الوقت الحاضر . وقد ربطت أنظمة الاتصالات والمواصلات جميع أركان العالم تقريبًا بعضها ببعض . كما أن هجمة الثقافة الغربية تعمل تدريجيًا على إزالة الهوية القومية . وتدعي اللغة الإنجليزية بأنها تتمتع بمركز اللغة العالمية بحق ذلك لأن معرفتها ضرورية لأي شخص مثقف . ونستطيع أن نشاهد بوضوح عملية تشكّل أوروبا موحدة ، غير أن هذه الوحدة لا ترتبط بالمجتمع الديني أو الثقافي للناس ، بل هي بالأحرى نتيجة أملتها المصالح الاقتصادية التي يمكن أن تتغير بمرور الزمن كما نعرف .

وفي الوقت ذاته سهلت الجماعة الأوروبية مع حلفائها الاستراتيجيين عملية تفكيك يوغوسلافيا بدعم العمليات الانفصالية حتى في الصرب كما أظهر موقفها في حل مشكلة كوسوفو . ونرى هناك ممارسة للمعايير المزدوجة، والكنيسة الأرثوذكسية تستنكر هذا المظهر من مظاهر النفاق والمراءاة .

ويجب أن لا ننسى أنه لكي تتحد الإنسانية فهي تحتاج إلى دين واحد وثقافة واحدة . وسوف يُنشر دين توفيقي لجميع الناس يستند إلى « قيم دينية عامة » . كما سيتم استعارة بعض ما عند المسيحية وبعض ما عند الإسلام ، لكن هذا الدين لن يعتبر أن المسيح هو ابن الله وأن النبي محمد هوخاتم الأنبياء والمرسلين . وفي العالم الجديد لن يكون هناك مكان للمسيحية والإسلام واليهودية والأديان التقليدية الأخرى . وتعتقد الأرثوذكسية أن العالم في آخر الزمان سوف يتوحد تحت سيطرة الدجال الذي سيحمل جميع الأمم على عبادته . لذلك ، هل علينا توجيه جهودنا نحو توحيد الإنسانية ، وإذا فعلنا ذلك هل سنهيئ الأرضية لقدوم الدجال ؟ ولا تستطيع الكنيسة أن تؤيد سوى تقارب تدريجي وعضوي للناس المتشابهين روحيًا ، بحيث لا يلحق ذلك إجحافًا بثقافتهم الأصلية الجوهرية ولا يقضي على هويتهم القومية .

المواطنة في المجتمع المعاصر

المتروبوليت جورج خضر*

المساءلة هي أية فلسفة سياسية أو أي مسلك يفرضه الانتماء إلى الدول الحديثة . المواطنة من الوطن وتتسم بالطابع الوجداني والشعوري والتراثي ، في حين أن اللفظة الإنكليزية (Co-Citizenship) تشتمل على عنصرحقوقي وهو الانتساب إلى دولة واحدة . ولعل ما يسعفنا في جلاء الحقيقة أن الأيديولوجيات قد اندثرت وأننا نأينا عن الرومانسية القومية وخطابيتها إلى حد كبير على الرغم من بعث الإثنيات في مناطق مختلفة من العالم وبروز أصوليات تهدد شعور الوحدة في قوم يتعايشون على أرض واحدة .

لقد شئتم منظوراً مسيحياً لما يجري على هذا الصعيد وقد ييسر الأمر أن مسيحية المصادر والنصوص المؤسسة حرة من أية صورة حكم أو تشريع دنيوي يكبلها وأنها أصلاً منفتحة على الحداثة والتطور فيما تسلط عليهما النور الإلهي ، تتفهم وتماشي ولا تتقيد . أجل باتت المسيحية في كل مكان تتعايش وأهل الأديان الأخرى التي قد لا تكون على دنو واحد من الحداثة . إن ظاهرة تعدد الدين في البلد الواحد تثير إشكالية لم تكن معروفة بالحدة نفسها في الماضي . ومن جهة أخرى يقول الكثير من علمائه أو أكثرهم أنه يحتوي تحديداً على صورة عن الحكم السياسي بما قد يصل إلى حاكمية الله والنظرة الشمولية للوجود السياسي وبما قد يصل إلى ولاية الفقيه ورؤاها التفصيلية وعصمة الإمام . وإذا كان الحكم للإمام المستور وحده وانتفت ولاية الفقيه – والنظريتان واردتان في المذهب الشيعي – غدونا في حكم علماني ، براغمي على الأرض . كل هذا لأقول إن كل مفاهيم (concepts) المواطنة واردة اليوم أو أن لها شروطاً حسب انتسابات الناس الدينية أو العرقية أو هي على درجات .

غير أن الإضاءة المسيحية للمفهوم آتية من العهد الجديد وهو يجهل وجود الوطن ولكنه أقر بالدولة الرومانية آنذاك . نحن أولاً مع رفض يسوع أن يرد الحكم لإسرائيل فقد كان على امتداد سني

---

* مطران جبل لبنان ، برمانا – لبنان .

البشارة يأخذ مداه من المقاومة ومن العمل السياسي لأنه جاء يقلّب القلوب ويدعوها إلى التوبة ويقيم ملكاً لأبيه ليس من هذا العالم . ليس أنه نأى عن الاهتمام بالناس وإطعامهم في الفقر وشفاء مرضاهم. همّه كان إرساء الله في النفس البشرية حتى إذا طُهّرت به تقدر من داخلها تغيير العالم . إنه لم يقف على أرض المواطنة لأن الذي كان أمامه هو الانقسام بين من انتمى إلى ملكوت الله ومن لم يستمع إلى دعوة الملكوت .

بيد أنه بسبب الحق قال في مليك بلاده :« اذهبوا وقولوا لهذا الثعلب» (لوقا ١٣ :٣٢) فقد واجه الدولة في موقف نبوي . وكذلك عندما مثل السيد أمام بيلاطس قال له الوالي :« ألست تعلم أن لي سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أطلقك . وأجاب يسوع لم يكن لك علي سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق » (يوحنا ١٩ : ١٠ ، ١١) . لا يشرع هذا الكلام في ظني السلطة الرومانية إلهيًا ولكن أضعف الإيمان أن المسيح يندرج في وضع قائم ويتعامل وإياه علماً بأن اليهود لم يكونوا مواطنين في رومية .

الفكر الواضح إزاء الدولة ، أية دولة نجده عند بولس القائل : « لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة لأنه ليس سلطان إلا من الله .. حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله ...السلطان خادم الله للصلاح» . ويتابع : « أعطوا الجميع حقوقهم . الجزية لمن له الجزية . الجباية لمن له الجباية . والخوف لمن له الخوف والإكرام لمن له الإكرام » . (رومية : الإصحاح ١٣) . هذا في خط قول السيد :« أعطوا ما لقيصر لقيصر» (متى ٢٢ :٢١) . إن بولس يكتب بالطبع إلى مؤمنين يعيشون في عاصمة الإمبراطورية ويتمتع الكثيرون منهم بالمواطنة الرومانية . وهم لم يخلوا بمواطنيتهم لما أعلنت عبادة الإمبراطور قانوناً دستورياً في رومية، بمعنى أن المسيحيين كانوا مقتنعين بأن ثمة انتساباً إلى بنية سياسية تضم أناساً من كل هذه الديانات الشرقية الوافدة إلى الإمبراطورية . ذلك أن « مدينة الله » شيء آخر ، عمقي وأنها تتحقق في اليوم الأخير ولو انبثت أنوارها على دنيانا . الإنسان يمكن أن يعيش على مستويات من الوجود مختلفة . أن يكون ذا هويات مختلفة . هناك حقائق أخيرة لا تمس وهناك سلوكيات تتسم بطابع الأرضي والعابر ولو نبعت من الوجدان . فالانتماء إلى الدولة يجعل بين القوم رابطاً فيما بينهم نسميه المواطنة ويفرض واجبات وحقوقاً بسبب من هذه المعية .

نزداد اقتراباً من الموضوع في القرن الثاني أو مطلع الثالث في الرسالة إلى ديوغنيط ويقول صاحبها المجهول :« إن المسيحيين لا يتميزون عن بقية البشر بالبلد أو باللغة أو باللباس ولا يسكنون مدناً

خاصة بهم ولا يتكلمون بلهجة غريبة . وهم يتوزعون على المدن اليونانية والبربرية حسب قسط كل واحد . يقطن كل منهم وطنه ولكن كغريب مقيم ويؤدون كل واجباتهم كمواطنين ». أكتفي بهذا القدر الذي يدل على أن المسيحيين يندمجون في الانتساب الواحد إلى الهيكلية السياسية ويشهدون بمسالك حياتية . إن اضطهاد السلطات الرومانية لهم لم تخرجهم عن هذا الولاء . هناك إذاً انفكاك واضح بين الانتماء للرب وإنجيله والانتماء للدولة . هناك أخوة المؤمن للمؤمن التي لا تضعف الرباط القائم بين مواطن ومواطن . هناك علمانية ما قبل ظهور اللفظة في النصوص المسيحية المؤسسة .

فبصرف النظر عن الظرف التاريخي الذي تأسست فيه الكنيسة ، أعني ظرف قيام إمبراطورية عظيمة ، فإن طبيعة الإيمان المسيحي يجعل دمج الروحي والسياسي متعذراً . فالمسيحية دين انتظاري بمعنى أن الوعود والكمال والنصر تتحقق جميعًا بالحضور الثاني للمسيح حيث «يكون الله الكل في الكل ». وهذا ليس ازدراء بالدنيا أو غياباً عن النشاط فيها ولست أرى نفسي بحاجة أن أقدم الدليل على فاعلية الإنجيل في حضارات الشعوب المسيحية وكأنك بمقدار ما تستقل وتنشغل بالآتيات تفعل في نسيج الزمان الحاضر .

الواقع أن المسيحيين عاشوا وهم الغلبة على الخطيئة في هذا العالم وإحلال ملكوت الله فيه قبل أن يأتي اليوم الآخر. ربما أعطتهم الشهادة المذهلة التي أدوها الثقة بأن انتصارهم على الموت سوف يغير العالم كلياً وسوف ينشر « رئيس السلام » أعني المسيح السلام ، وأن استيطانهم السماء بقلوب مقدسة يجعلهم يحولون الأرض إلى سماء وأنه ستبطل ثنائية الكنيسة والعالم ليصبح العالم كله ، هذا الذي على الأرض كنيسة سماوية ، ويعبر عن هذا الشعور نشيد وضع في القرن التاسع نرتله عشية الميلاد في الكنيسة الأرثوذكسية . يقول : « إن أوغسطس لما انفرد بالرئاسة على الأرض بطلت كثرة رئاسات البشر وأنت لما تأنست من النقية بطلت عبادة كثرة الآلهة الوثنية . فالمدن صارت تحت سلطة واحدة عالمية والأمم أمنوا بسيادة واحدة إلهية » إلى آخر النشيد . يتحول العالم روحياً ويتوحد بالمسيح وتبقى السلطة الزمنية الرومانية . عند كتابة هذه الترنيمة كانت المسكونة في سلطة الروم . طبعاً لم تنظر الراهبة كاسيا المؤلفة إلى دار الإسلام فالعالم بظهوره زالت وحدته ولم تنظر كاسيا أن سوريا ومصر ومعظم سكانهما آنذاك على الإيمان المسيحي ، لم يستوقفهما أن هؤلاء هم وبطريركات ثلاث أمسوا بلا حكم أرضي وبلا كلمة في تسيير شوون الدولة العربية وبطل ما ورد في دستور المدينة أن المؤمنين واليهود لم يبقوا أمة واحدة وفي الوضع الذي يعنينا أن المسلمين والمسيحيين الذين أخذ يتعرب لسانهم

لم يصيروا بموجب هذه الوثيقة أمة واحدة .

كان حلم بيزنطية منذ الإمبراطور يوستنيانوس إيجاد تناغم (سمفونيا) بين الكنيسة والدولة . الدولة ولو مسيحية بقيت دولة الرومان . رومية لم تسقط بالمعنى الحقوقي إلا في ليـل ٢٨و٢٩ أيار (مايو) ١٤٥٣م . والإمبراطور الرومي كان عندهم مختار الله لا مختار بشر ويحتل وظيفة قائمة على كونه يقوم بخدمة طقوسية (ليتورجية) هذا مع التأكيد أن الدولة والكنيسة هما نطاقان متمايزان .

هذه النظرة القائمة على أن الوظيفة الإمبراطورية خدمة في الكنيسة ولو لم تكن كهنوتية إنما كانت أسطورة . فالثورات الدامية والحروب والظلم الاجتماعي نخرت مملكة الروم كما نخرت غيرها. وعالمية المملكة لم تتم ولم تتمسحن المملكة الزمنية . وإذا كان قول المسيح :« أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » يعني حسب كبار المفسرين فليخضع قيصر لله يتبين أن هذا كان منه القليل على رغم توهجات كانت تقطع الظلام .

النظرة البيزنطية اليوتوبية يبقى منها إن قامت على ذلك بمحاولة التنظير لنوع من الثنائية بين نطاق الله ونطاق قيصر . غير أن هذا لم يفض إلى علمانية مطبقة في العالم الأرثوذكسي وظلت الإمبراطورية دارا أرثوذكسية لا تتسع لأصحاب البدع ولا تأبه لتكفير القديس يوحنا الذهبي الفم من يقتل الهراطقة. المواطنية لغير المستقيمي الرأي لم تكن نظرياً . واستمر هذا إلى سنوات قليلة مضت في الدستور اليوناني الذي كان يصرح في مطلعه أن البلد يؤمن بالثالوث المقدس المتساوي الجوهر وغير المنقسم . المواطنة الصالحة غير الملوثة تقوم إذاً على الإيمان المستقيم الرأي .

شيء من هذا بقي في روسيا حتى بعد إصلاحات بطرس الأكبر ، إذ كان اليهودي محدود الوصول إلى بعض من مسؤوليات الدولة ولا سيما العسكرية منها . وكذلك فرق النظام الملكي الفرنسي بين الكاثوليك من جهة والبروتستانت واليهود من جهة أخرى ولا سيما أن الرؤية الملكية للشعب كانت قائمة على أن الناس رعايا الملك (Les sujets du Roi) .

إن فكرة المواطنة تبلورت فقط مع عصر التنوير ومع إعلان الثورة الفرنسية لحقوق الإنسان والمواطن . هناك إذاً إنسان وطبيعة إنسانية واحدة ينتج عنها أن كل البشر على الأرض الفرنسية يعيشون في حرية ومساواة وإخاء ولهم في أنفسهم وتربيتهم معالم وجود وفكر ومسؤولية تؤهلهم لإمكانية عيش وطني واحد . لا يهمني إن كانت هذه الفلسفة ادعت أنها منفصلة عن الإيمان ولكنها في

جوهرهـا قائمـة على أن كل إنسان مخلوق على صورة الله ومثاله وأن فيـه طاقات وضعها الكائن الأسمى فيه . يكفي أن يكون البشر في طبيعتهم واحداً ليتمتعوا بحق طبيعي في العيش المشترك . والحق الطبيعي قال به اللاهوت الكاثوليكي في القرون الوسطى . هذه الطبيعة قائمة أولاً في العقل كما يريد عصر التنوير والعقل واحد عند كل الناس . إن وحدة العقل أو عموم العقل في البشر هي الأساس أو أحد الأسس للديموقراطية الحديثة . وفي ظني أن الديموقراطية راسخة في الإنجيل بشكل عام من هذه الزاوية أننا تلقينا حقائق إلهية في الوحي وأن كل ما ليس في الوحي من علم وصناعة وسياسة إنما نقوم به بعقولنا المستنيرة وبإخلاصنا الواحد للبلد الذي ننتمي إليه .

أما إذا تحولنا إلى دار الإسلام فقد تحرك الفكر السياسي فيها في ظل الخلافة . هذا إذا اقتصرنا على السنة . وفي تصوري أن الكثير من الفلسفة السياسية في الإسلام تعكس المراس الأموي والمراس العباسي وإن كان هناك دائماً يوتوبيا سيادة الإيمان والعدل والرحمة . والحنين إلى هذه القيم جعل المعاصرين يتوقون إلى النموذج الذي ساد عصر الراشدين إلا أن المواهب الروحية والإنسانية عند أمير المؤمنين لا تصنع نظاماً ولا تقيم المؤمنين جميعًا في عزة الله ورسوله . وما لم ينتبه إليه الفكر الإسلامي، على ما أعلم ، أن الشريعة المثلى وهي إلهية لا تتنزل آلياً على أولي الأمر الذين أوجب لهم القرآن الطاعة . فالخليفة إنسان من لحم ودم وقد تكلّم مؤرخو الإسلام بصدق ووضوح عن الخلفاء ورأوا أن بعضهم خطاء وأن بعضهم مستبد . لم ينتبهوا إلى أن الحكم القائم على واحد وأن الشورى كانت أمنية جميلة لا أكثر . إن هذا الحكم كثيراً ما اتسم بالظلم وإن طبائع الاستبداد كما سماها عبد الرحمن الكواكبي إنما هي من سمة البشر، وأنه في آخر المطاف قد تكون على شريعة سماوية ولكن الفقه من عمل البشر والسياسة أكثر منه أعمال بشر وأن المواطنة تالياً أمر يجب الصبو إليه في كل حين وأن المواطنة لا تتحقق بكامل طاقاتها في كل زمان .

من هذا المنظور في حواري مع الأصوليين في لبنان قلت لهم غير مرة أني أود أن أعتقد أن الشريعة الإسلامية السمحاء هي خير ما أنزل على الناس وأني أود أيضاً أن اعتقد أنها تتسع في الاجتهاد لتشمل كل مجالات المجتمع ، بما في ذلك الاقتصاد وكل وقائعه وكل تغيراته وأن ترعى التكنولوجيا مهما اتسعت . من يضمن لي أن هذه الشريعة كما نطق الله بها هي إياها التي تنسكب في عقل الفقيه المتولي وفي قلبه وإرادته . أليس من الأدنى إلى الصواب أن نقول إن الشريعة تنزل بمقدار وإنها تالياً تشوه بمقدار وإن الظلم في ظل ما حسب حكم الله ممكن لأن الله بعد ما أنزل كلامه على الأنبياء لا

يحكم ولا يستطيع أن يحكم إلا بواسطة بشر خاطئين وإن العدل المعيش الذي هو أساس المواطنة إنما هو معرض للرياح العاتية . ماذا يمكن إذاً أن تعني حاكمية الله ومن هو الحاكم بأمره ومن يضمن لي طهارته . أليس الأقرب إلى التواضع أن نقول إن الحكم محاولة ومحاولة تتطلب جهودنا جميعاً وتنقيتنا جميعًا وإن المساواة بين الناس خط والاستبداد خط آخر حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

هذا لأصل إلى القول إن كل مجتمع ديني يزعم استقاء صلاحه من كلام إلهي معرض كأي مجتمع غير ديني لتجريح المواطنة بل هو حتماً غارق في ذمية ما . فأهل اليقين الذي بان مرة واحدة هم المقربون الأعلون وأهل الشك أو الزندقة أو من كانوا على دين آخر يوضعون في رتبة دونية لا محال، بمختصر القول نظرياً أو عملياً . إني أخشى ترجمة الله حكماً ولا أدعي أن الشيخ علي عبد الرازق في كتابه « الإسلام وأصول الحكم » كان على حق ولكن حجته لافتة جداً وهي غياب أية آية تتحدث صراحة عن أصول في الحكم . وإذا كان هذا البحث غائباً عن النصوص المؤسسة يجد الفكر الإسلامي نفسه أمام عملية إبداع لا سابق لها في الفلسفة السياسية الإسلامية كما يجد نفسه أمام التمييز بين الإسلام والمسلمين .

لقد قام العالم المسيحي بنقد ممارساته التاريخية كلها وانتقاد الدول التي دالت في شعوبه كما انتقد مسالك المسؤولين في الكنيسة جيلاً بعد جيل . لقد قرأنا ماضي الكنيسة على أنه تاريخ خطايا مثلما هو تاريخ مجد ، وتنكرنا لما كان معصية في بشريتنا الساقطة . إن طهارة الرسالة تقتضي ذلك . هناك قراءة جديدة ، دائمة الجدة في الوحي الإلهي . أية قراءة مجترة خيانة لما دفع مرة للقديسين .

لم يبق العالم اليوم مثلما كان في زمن الفتوحات الإسلامية ، دار إسلام وإمبراطورية رومانية شرقية أو كما صار في عصر الصليبيين . إنه يتوحد، والبون ليس بين مسيحيين ومسلمين وهندوس ونسميي (animists) إفريقيا . العالم أمسى دارين دار الأغنياء ودار الفقراء . تلك كانت المشكلة وهي الأعتى وحلها هو الحل المقرر لكل رؤية سياسية . لست أعلم أي وجه ستتخذه دنيانا إذا سادتها العولمة بما قد تأتي به من سطحية واندثار تراثات وقد تأتينا بتنمية اقتصادية غير متوقعة ، وإذا ازدادت حظوظنا بالسلام بسبب انتفاء عنصر الفاقة في التوترات بين الشعوب نكون قد تحاشينا ما سمي « صدام الحضارات » وهو صدام تغذيه القوى الكبرى المستفيدة منه من أجل استتباب سياسات جشعة لا نعرف حتى اليوم وضع حد لنهمها . فبمقدار الضرورة للتعاون بين الشعوب وإذا ضعف تآكل المحيط الشمالي في العالم المحيط الجنوبي تتهاوى في ظني القوى الطائفية المتصارعة . فإن غاب تسييس الدين

أو خسر الكثير من حدته لا يستدعي الاستعلاء الديني ولا الدونية ولا الانغلاق في سبيل مزاعم شمولية كالقائلة إن المسيحية فيها كل الحلول أو في الإسلام كل الحلول . وفي رأيي أن توظيف المعتقد الديني لفك عقد الوجود من نفسانية واقتصادية وثقافية ومجتمعية كان من باب تعزيز المؤمنين لا الإيمان بعد أن وهبنا عقلاً وروحية إنسانية لا تحتاج أن توضع بين دفتي كتاب إلهي لتتوظف وتبدع .

ما من شك عندي أن الإلهام الإنساني العظيم الذي يأتينا من الكتب المقدسة ومن سيرة الأبرار والمثل المناقبية العليا في خبرتنا الروحية قادر أن ينعش فكرنا السياسي إذ يبذر الوحي في أرض العقل ، ولكن أن نرجو لكل مشكلة في الدنيا إكسيراً هو أن نعطل الكلمة البشرية الحرة القادرة على الجدة .

في الأزمة العالمية التي يعتريها قلق كبير وإمحاء فلسفة التفاؤل التي قام عليها العالم حتى الحرب العالمية الثانية ، لم يبق من موقع لقرون وسطى مسيحية أو إسلامية يتلاقى فيها الدين والدنيا في نظم . لقد سقطت الرؤية العتيقة للتكوين والقراءة الساذجة للنصوص الإلهية ، واندثرت كلياً التوفيقية التي تبدل التفاسير القديمة لتوافق التقدم العلمي . إن العقل العلمي مكتسب بشري كبير وتالياً تكشف آخر لوجه الله . طبعاً هناك قراءة نقدية دائمة للحداثة وهناك تقويم روحي مناقبي لها .

بعد ولوج هذه الصعاب ماذا يبقى ؟ يبقى تواضع كبير بسبب عدم علمنا بكل شيء وبكون الله لم يتكلم في شيء ولم يكشف عن جزئيات . أمام نشوء علوم جديدة وتقنيات جديدة نقول لبعضنا بعضًا : تعالوا نتنزه معاً ونعرض عن الخرافة وعن الخوف من اقتحام الجديد . هلموا نتعايش بحب غير محددين مسبقاً لأنفسنا هوية كتلوية تنفي الآخر بحيث تكون رؤيتنا له أنه ملقى في نار جهنم لمعتقده الديني . فقراءتنا لعقيدته ليست التقاطاً لشخصه وفرادته وبهائه . يجب أن تغير إذاً تفسيرك . تعالوا نبني البلد بمحاولات خفرة ولكنها صادقة ودؤوبة انطلاقاً من آلام الناس في مكافحة الفقر الشديد والمرض والجهالة .

ولك أنت أن تستلهم من شئت وما شئت وأن تصوغ كل ذلك في تشريع جديد أو بمسوغات يرتضيها العقل والمجانسة البشرية بحيث لا تستبعد عن أية مسؤولية من كان كفوءا لها ، حراً ، طيباً ، ودوداً فلا تختلق بصورة تجريدية ، كلامية تفوق فئة على فئــة أو فضـل إنسان بسبب من دينه على إنسان آخر . وإذا ابتغيت وحدة فوحدة اللوحة ابتغ تعدداً في اللون وانسجاماً في آن . وعامل الغريب بينك على أنه ضيف على الله ، والمرأة على أنها كاملة الشخصية ،كاملة العقل ، ترعى بنيها ولكنها تربي عقلها أيضاً فيما هي تنشيء أولادها وإذا عرفتها فريدة ، محبة ، طهوراً ، تنبع منها قيم ولطف

عيش تدرك آنذاك أن ليس مثلها شيء في احتضان الله لك ولها . وبفضل المرأة تعرف الطفل وطراوته وعالمه الفريد وأنه يربيك كما أنت تربيه .

وتأتي السياسة بعد ذلك . إن هي إلا وجه آخر تقني إذا شئتم للأخلاق . هي تمارس معية لا إقصاء فيها لأحد فتداول السلطة ليس فيه نفي لأحد . إنه قرار بأننا بحاجة إلى الجميع وبأن الحياة الوطنية استثمار لكل المواهب وبأن احتجاباً عن المسرح السياسي ليس باحتجاب عن الحياة .

والوطن قبل كل شيء نباهة النفس وانتباه عقلي فدراسة فتطوع . هو المجال المحسوس الذي يمكننا فيه طاعة الله كما نطيعه مطلقاً في داخل النفس تطهراً وعبادة واقتراباً . ونعرف أن لنا سقوطاً وأن المثال يجب أن نبتغيه دائماً لئلا نكون من المنافقين ولكننا نعلم أن أحداً لا يدركه في هذه الدنيا . المواطنة اجتماع ضعفاء يتوقون إلى العافية . « والكمال كما قال القديس غريغوريوس النيصعي أن تبتغي الكمال » .

هذا ما تمتمته شروطاً أو بعض شروط في المجتمع الحديث أو الذي يتوق إلى الحداثة . أنا ما وضعت الإيمان أو المعتقد الديني في موضع النسبية ولكني أرّخت ولذلك دنوت من المؤسسة الدينية بخفر ومن العقل الديني بشيء من النقد المحب المؤمن . قلت كلمتي هذه وأستغفر الله ونحن على دروب المعايشة الكريمة كل منا في وطنه حتى يمن الله أن نفهم بالذوق ما لم نفهم بالفحص فيكمل علينا رضاه ، والسلام عليكم .

تعليـق

الدكتور علي محافظة*

حاول المطران جورج خضر ، في ورقته هذه ، أن يبين لنا أن المواطنة بمفهومها الحديث لا تتعارض مع العقيدة المسيحية . واستند في ذلك إلى نصوص من الكتاب المقدس : العهد القديم والعهد الجديد ، مثلما استشهد بأحداث التاريخ الروماني والبيزنطي والتاريخ الأوروبي الوسيط والحديث ، وبآراء أقطاب اللاهوت الأرثوذكسي والكاثوليكي حول الموضوع . وعرج على الموقف الإسلامي الشيعي القائل بولاية الفقيه والموقف الإسلامي السني المتشدد القائل بفكرة الحاكمية لله ، ناقداً أحياناً ومتسائلاً أحياناً أخرى .

وقد ربط المطران خضر بين المواطنة والديمقراطية القائمة على مبدأي التعددية وتداول السلطة . ومع أنه يقول في بداية ورقته أنه نأى عن الرومانسية إلا أنه في نهايتها يقدم لنا تعريفاً رومانسياً للوطن حين يقـول : « والوطن ، قبل كل شيء ، نباهـة النفس وانتباه عقلي فدراسة فتطوع » . ويفعل الشيء نفسه في تعريفه للمواطنة بأنها « اجتماع ضعفاء يتوقون إلى العافية » .

ولنعد بعد هذا إلى تفاصيل الورقة . يعرف المطران خضر المواطنة في بداية ورقته بأنها « الانتماء الوجداني الشعوري التراثي إلى الوطن » وهذا تعريف سليم ولكنه ناقص . ولذلك أضاف إليه العنصر الحقوقي أو القانوني المتصل بالانتساب إلى الدولة ، فجاء تعريفه كاملاً . ومن المعروف أن هذا المصطلح باللغة الانكليزية (Citizenship) مأخـوذ من (Citizen) أي الرجـل الحر في المدينة (City) الذي يتمتع كامل الحقوق فيهـا . وكذلك الحال في اللغة الفرنسيه (Citoyennete) المأخوذة من (Citoyen) الرجل الحر في المدينة المدينة (Cite) الذي يتمتع بكامل الحقوق فيها. وفي اللغة الألمانية يقابلها كلمة (Burgerrecht) المأخوذة من كلمة (Burger) أي الرجل الحر فـي المدينة (Burg) الذي يتمتع بكامل الحقوق فيهـا . ثم تطـور هـذا المصطلح الألماني إلى Staatsangehorigkeit أي الانتماء للدولة.

ويطلق المطران خضرحكمًا قطعيًا في ورقته على أن الأيديولوجيات قد اندثرت . وهو حكم بعيد جداً عن الواقع ، ذلك أن الأيديولوجيات لم تندثر ولن تندثر . ولكن من المؤكد أن تأثيرها أو

---

* قسم التاريخ – كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية – الجامعة الأردنية ، عمّان – الأردن .

نفوذها قد ضعف كثيراً في عالم السياسة والثقافة خلال هذا العقد من الزمن ، ولا ندري إلى متى سيستمر هذا الضعف .

نتفق مع المطران خضر في أن الإمبراطورية الرومانية ، قد قامت على فكرة العالمية ووحدة الكون والمؤمنين ، منذ أن أصبحت المسيحية ديانتها الرسمية . والمسيح جاء إلى الأرض مبشراً بتعاليمه من أجل خلاص البشر .وباعتناق أباطرة روما للدين المسيحي ، غدت المسيحية هوية سياسية ودينية ، وأصبح هدف الإمبراطورية توحيد البلاد والشعوب المختلفة في دولة عالمية تحت سلطة الإمبراطور ، وإدخال هذه الشعوب في كنيسة واحدة تحت سلطة أسقف روما الذي حمل لقب « البابا » أي أب الكنيسة الرومانية ، ولقب البطريرك المسكوني (Oecumenical Patriarch) . وصحيح أيضاً أنه لم يكن في الإمبراطورية الرومانية ، حينما كانت موحدة أو بعد انقسامها إلى شرقية بيزنطية وغربية رومانية ، حق المواطنة لمن لا يدين بالمسيحية . وحتى في عصر النهضة الأوروبية والإصلاح الديني ، على الرغم من دعوة المصلح الديني الألماني مارتن لوثر(Martin Luther) إلى الحرية الدينية حين قال : «إننا لا نستطيع ، ولا يجب أن نكره أحداً على الإيمان »[١] ، فقد بقيت المواطنة مقصورة على أتباع الدين أو المذهب الواحد . وما الحروب الدينية التي شهدتها أوروبا لمدة قرن وثلث القرن تقريباً (١٥٢٠-١٦٤٩م) إلا شاهد حي على ذلك . فقد قاوم ملوك أوروبا وأمراؤها وجود جماعات من رعاياهم تؤمن بدين أو بمذهب ديني يخالف دينهم أو مذهبهم . ومع أن المصلح الديني جان كالفن (Jean Calvin) قد سعى إلى المزج بين المجتمع السياسي والجماعة الدينية ، حينما أقام حكماً ثيوقراطياً في مدينة جنيف وفقاً لكتابه : (l'instituion genevoise de la ville eglise)[٢] فقد منيت تجربته هذه بالفشل الذريع . وظل جميع المصلحين الدينيين في أوروبا من البروتستانت والكاثوليك على حد سواء لا يعترف أحدهم بالآخر ويدينه . ولعل خير مثال على ذلك المصلح الكاثوليكي غيوم روز (Gullaume Rose) واعظ هنري الثالث (Henri III) ملك فرنسا في أواخر القرن السادس عشر ، الذي كان يرى « أن البروتستانتي أسوأ من الوثني ، لأن الديانة الإصلاحية ، في نظره، ديانة فاسدة تمهد

---

(١) J.w. Allen : Martin Luther , p.187

(٢) M. Prelot et G. Lescuyer : Histoire des idees Politiques,Paris,Dalloz,1980,pp.244-5.

الطريق إلى الإسلام » (١) .

ولعل المفكر الألماني يوهانس التوسيوس (Johannes Althusius) الذي عاش في النصف الثاني من القرن السادس عشر وتوفي سنة ١٦١٤م ، *أول من أشار في أوروبا الحديثة إلى فكرة التعايش بين الجماعات البشرية المختلفة الأديان والأصول في دولة واحدة (٢) .*

وعاشت أوروبا الغربية قرناً من الزمن ظهرت خلاله نظريات الحكم الملكي المطلق على أيدي عدد من المفكرين ورجال الدين أمثال كاردان لوبريه (Cardin Le Bret) (١٥٥٨-١٦٥٥م)، والكاردينال ريشيليو (Le Cardinal duc de Richelieu) ، والأسقف الفرنسي جاك بينيني بوسويه (Jacques - Benigne Bossuet) ، والمفكر الإنكليزي توماس هوبز (Thomas Hobbes) (١٥٨٨-١٦٧٩م) تحول خلالها سكان المدن والأرياف إلى رعايا للملوك والأمراء والأباطرة أقرب إلى العبيد منهم إلى الأحرار . ومع ميلاد الليبرالية التي كان أول دعاتها جون لوك (John Locke) ظهر التسامح كفكرة ، وليس ممارسة ، في كتاب لوك « رسالة في التسامح » (A Letter Concerning Toleration) الذي صدر سنة ١٦٨٩م . وقد أكد لوك في مؤلفه هذا أن « ليس بإمكان أحد أن يعين نوع ديانة الإنسان ، وأن كل فرد كائن أخلاقي مسؤول أمام الله ويتمتع بالحرية » (٣) . وكان لوك البادىء بنظرية العقد الاجتماعي في نشأة الدولة ، تلك النظرية التي طورها جان جاك روسو (Jean Jacques Rousseau) (١٧١٢-١٧٧٨م) بتوسع في كتابه المشهور « العقد الاجتماعي » (Le Contrat Social) .

وفي عصر التنوير حل العقل والعقلانية محل الدين واللاهوت . وكان الراهب الفرنسي الثائر إيمانويل سياس (Emmanuel Sieyes) الذي قام بدور مميز في الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م ، وكان من أبرز قادتها ومفكريها ، من أوائل المفكرين الأوروبيين الذين تناولوا فكرة الأمة – الدولة (L'etat-nation) المؤلفة من أفراد تحكمهم سلطة واحدة ويخضعون لقوانين واحدة من صنع إرادتهم ، وكلهم لهم الحقوق نفسها ، وأحرار في اتصالاتهم والتزاماتهم بعضهم نحو بعضهم الآخر . والأمة في نظره

---

(١) M. Prelot et G. Lescuyer : Histoire des idees Politiques,Paris,Dalloz,1980, p. 261-262.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧٧ ، ٢٨٠ .

(٣) Encyclopaedia Britannica , Macropaedia , Vol. 23,pp.231-3.

مؤلفة من جماعة بشرية غير قابلة للانقسام أو التجزئة ، والدولة تجسيد لها . وفي ظل الثورة الفرنسية برزت بقوة فكرة المواطنة ، وأصبح الفرنسيون يخاطب بعضهم بعضاً « السيد المواطن » (Monsieur Le Citoyen) ، وارتبطت المواطنة بفكرة الأمة . وذهب الفيلسوف الفرنسي إرنست ريتان (Ernest Renan) (١٨٢٣-١٨٩٢م) إلى أن الأمة « روح أو مبدأ روحي تتكون من عنصرين اثنين هما : التراث المشترك الغني بالذكريات ، وهو موجود في الماضي ، والرغبة في العيش معاً ، وهي موجودة في الحاضر » .

وغدت السياسة في المجتمعات الأوروبية الغربية ، على حد تعبير الشاعر والسياسي الفرنسي ألفونس دو لامارتين (Alfonse de Lamartine) (١٧٩٠ - ١٨٦٩م) «علماً تجريبياً خالصاً يقوم على معرفة الناس وملاحظة الحقائق وعبر التاريخ» وأصبح «مصدر السلطة ومبدأها ليسا إلهيين وإنما الاتفاق العام » .

وذهب الأديب الفرنسي موريس باريس (Maurice Barres) (١٨٦٢-١٩٢٣م) إلى أن «روح الإنسان لا يمكنها بلوغ السلام والطمأنينة إلا بتجذير « الأنا » في أسس متينة هي الوطن ، أرض الأجداد وموطن الميلاد».

نعود إلى المطران خضر الذي أعتقد أنه أصاب بقوله : إن كل مجتمع ديني ، أي يبني حق المواطنة على التمييز بين أفراده حسب معتقداتهم الدينية ، مجتمع معرض للتجريح .

يتساءل المطران ، في ورقته ، عن أثر العولمة على المواطنة وعلى قيمنا وسلوكنا ، ومن حقه أن يفعل ذلك لأن العولمة الاقتصادية والثقافية تثير القلق في نفوس المفكرين ورجال الدين والسياسة والاقتصاد مثلما تتحدى عقولهم لمجابهتها والحد من أخطارها . ويؤكد المطران فشل النظرة التوفيقية بين العلم والإيمان ، ويعتبر « العقل العلمي مكتسباً بشرياً وتكشفاً آخر لوجه الله» .

ويدعو ، في ختام ورقته ، المسلمين إلى الوحدة كإطار للتعددية التي تغني الوحدة وتثريها وتثبت أسسها . وينادي بالمساواة بين الرجل والمرأة في المجتمع الوطني المنشود . وهذه دعوة حقة تنطلق من حقوق الإنسان الأساسية وتتفق وروح العصر وتستشرف المستقبل المرجو .

الفصل الثالث

التحديات الحاضرة وما يترتب عليها على أرض الواقع ، وكيف نواجهها

التحديات الحاضرة وما يترتب عليها على أرض الواقع، وكيف نواجهها

(من وجهة النظر الإسلامية)

الدكتور هشام نشابة *

من البديهي في عالم تطورت فيه وسائل الاتصال حتى بدت الدنيا وكأنما يتقلص حجمها يوماً بعد يوم، أن يزيد اهتمام الناس كافة باللقاء بين الشعوب والحضارات، والحض على «التعارف» و «التفاهم» و «الحوار»، حتى بات هذا الاهتمام سمة مميزة لهذا العصر.

وجميع الدلائل تشير إلى أن هذا التوجه آخذ في النمو والاتساع. فمراكز الحوار في العالم تتعدد، واهتمام المنظمات الدولية به ينمو، وتتعدد الاجتماعات والمؤتمرات والندوات المعنية به. فضلاً عن أن الأبحاث والدراسات والكتب التي تتناوله تملأ صفحات المجلات والصحف ورفوف المكتبات. ويرافق هذه الظاهرة اهتمام مماثل بـ «الدراسات المقارنة» في المؤسسات الأكاديمية التي تتناول مواضيع الدين، والفنون، والآداب، والاجتماع، والسياسة، والاقتصاد.

والدراسات المقارنة لا تهدف بالضرورة إلى إظهار أوجه الشبه بين هذه المواضيع، بل لعلها في كثير من الحالات تظهر أوجه الاختلاف والتباين. بل لعلها تتوخى إظهار امتياز دين على دين أو نظام قانوني أو سياسي أو اجتماعي على آخر، فتفسد أحياناً الحوار والتفاهم والتعارف بدل تعزيزها.

ويحتدم النقاش في السنتين الأخيرتين بين مختلف الأوساط وفي شتى المجالات بشأن «العولمة» فيرى فيها «أقوياء» العالم، أي أقوياء الحضارة التكنولوجية المعاصرة، خيراً يعم الناس كافة، ويرى فيها «الضعفاء»، أو ما يعرف بدول العالم الثالث، خطراً حضارياً يتهددهم من مختلف الجوانب، حتى تكاد «العولمة»، بالرغم مما تتضمنه من معنى التقارب والتذكير بالمصير المشترك، أن تؤدي إلى إفساد اللقاءات والحوارات وبث روح الشك والريبة في النفوس وانعدام الثقة بـ «العولمة» والداعين لها أو القيمين عليها.

---

* عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)، رئيس المعهد العالي للدراسات الإسلامية /جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، بيروت ـ لبنان.

لذلك جئت ، في مقدمة هذا البحث ، أطرح أسئلة قد يحسب القارئ أنها لم تعد ذات موضوع، وأن الإجابة عليها قد تمت منذ زمن بعيد. ولكنني في معرض اللقاء المسيحي - الإسلامي والحديث عن صورة الآخر ، أراها ضرورية لتحديد القواعد والمفاهيم والأطر العامة التي ينطلق منها هذا البحث.

السؤال الأول هو : ما صورتي عن نفسي ؟ ومن هو «الآخر» الذي نتحدث عنه؟ وما صورة هذا الآخر التي ورثتها عن العصور الغابرة؟ وما صورة الآخر عني؟ وإلى أي حد تتأثر صورتي عنه بالصورة التي كونها هو عني ، وكونتها أنا عن نفسي؟ وإلى أي حد هذه الصورة متفقة مع الصورة العلمية المجردة ؟ وهل هذه الصورة العلمية المجردة ممكنة أصلاً؟ أم أن صورة «الآخر» عندي وعند الآخر متأثرة بالعاطفة ، ومثقلة بالغايات ، الظاهر منها والباطن ، وهي بالتالي غير علمية ولا مجردة؟ أم أننا في هذا البحث نصف صورة الآخر «الواقعية» بغض النظر عن كونها صحيحة علمياً وموضوعياً أو غير صحيحة ، وهل الصورة «الحقيقية» والعلمية والموضوعية للآخر هي موضع البحث هنا أم هي «الصورة السائدة» بين الناس عموماً أو عند فئات معينة منهم ؟ فإن كانت «الصورة السائدة» عند فئات معينة من الناس هي المقصودة بالوصف والتحليل ، فأي الفئات نعني؟ العامة أم الخاصة ؟ وأي فئات هذه الخاصة نقصد؟ العلماء أم الساسة وقادة الرأي العام ، أم رجال الدين أم المثقفين عموماً؟

كل هذه الأسئلة ، وغيرها ، يمكن أن تكون الإجابة عنها أساسية لتناول هذا الموضوع على الوجه الأوفى في ندوة علمية غايتها ، كما أتصور ، التعارف والتفاهم والتقارب ، والمواطنة بمعناها العالمي والعيش المشترك بين شعوب الأرض كافة.

ولا أحسب أن أحداً يتوقع مني أن أجيب عن هذه الأسئلة ، فالمجال المخصص لهذا البحث لا يسمح بذلك ، فضلاً عن أن هذا ليس الموضوع الذي كلفت إعداده. وإنما أحببت أن أطرح هذه الأسئلة لأستبق تقصيري إن أنا لم أوف الموضوع حقه . فالإجابة عن هذه الأسئلة شرط لإيفاء الموضوع حقه في هذا اللقاء.

ثم إنني لا أريد أن أكتب في مواضيع كلف غيري معالجتها ، «فنظرة المسلم إلى المسيحي» ، و «نظرة المسيحي إلى المسلم» و «المواطنة في المجتمع المعاصر» ، وإن كانت مواضيع مختلفة شكلاً عن موضوع التحديات الحاضرة وما يترتب عليها على أرض الواقع للمسلمين والمسيحيين وطريقة مواجهتها، فهي مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً بل هي من صلبه . ففي مقدمة التحديات التي نواجهها النظرة

إلى الآخر ومفهوم المواطنة والعيش المشترك.

لذلك سأتناول التحديات الحاضرة من وجهة نظر إسلامية من محورين اثنين هما : تحديات التراث ، وتحديات المعاصرة ، مشيراً إلى تجربة خاصة قامت في لبنان لمواجهة هذه التحديات.

١ ـ تحديات التراث

تركت الأحداث التاريخية على الشخصية العربية ـ الإسلامية آثاراً طبعت هذه الشخصية بخصائص وسمات بارزة . فقد جاء الإسلام في عالم تبلورت فيه نماذج حضارية ودينية واضحة المعالم، أي أنه لم يأت في فراغ حضاري . وكان على الدين الجديد الذي حمل لواءه العرب ـ وهم «مادة الإسلام» في القرنين الأولين للهجرة على الأقل ـ أن يتفاعل ويتحاور ويتعايش مع الأديان التي كانت سائدة في ذلك العصر . ولعل أبرز خصائص العرب المسلمين في تلك الفترة قدرتهم على التكيف مع هذه الأديان وخاصة مع النصرانية واليهودية هذه القدرة على التكيف هي التي مكنت العرب من الانتقال من حضارة البادية إلى حضارة المدينة ، إذ أخذوا من البداوة مميزات كانت في صلب تكوين الشخصية العربية ـ الإسلامية ، وأخذوا في الوقت نفسه من الحضارة النصرانية والزرادشتية وغيرهما من الحضارات السائدة في القرنين الأولين للهجرة خصائص ومميزات امتزجت مع حضارتهم الأصيلة فكوّن هذا المزيج الحضارة العربية الإسلامية الجديدة.

وعلى الرغم من الحروب والاقتتال فقد كان التلاقي قائماً ، والحوار مستمراً ، والتبادل الحضاري مثرياً للعروبة الحضارية الجديدة ذات النظرة العالمية.

غير أن هذا التفاعل والتبادل والحوار بين حضارات القرون الوسطى ، «المظلمة» في نظر الغرب النصراني لأنه كان متخلفاً ، و «المشرقة» في نظر العرب المسلمين لأنهم كانوا المتقدمين علمياً وحضارياً، لم يتناول المسائل العقيدية ، ذلك أن مسائل العقيدة كانت قد حسمت بنزول الوحي في الإسلام ، وبمواقف الكنيسة في النصرانية . وكان النقاش الديني العقيدي محصوراً في داخل المجتمع الإسلامي ، أي فيما بين المسلمين أنفسهم ، وداخل المجتمع المسيحي . ولذلك كان التفاعل والحوار بين المسلمين والنصارى محدوداً جداً ، فموقف الإسلام من قضايا العقيدة واضح وموقف النصرانية واضح، وموقف اليهودية واضح ، ومجالات الالتقاء واضحة وكذلك مجالات الاختلاف. واحتمالات التبشير بالحوار العقلي تكاد تكون معدومة ، وما كتبه المسلمون عن النصرانية في ذلك الوقت دليل على ذلك.

وكل ما استطاع المسلمون أن يمتازوا به على النصارى واليهود في ذلك الوقت هو أنهم اعترفوا بهم «كأهل كتاب» ومن أتباع إبراهيم عليه السلام كما اعترفوا بموسى وعيسى ومريم رُسلاً وآية من عند الله ، وأن لأتباعهم بالتالي حقوقاً وواجبات ، ومقاماً خاصاً في المجتمع الإسلامي ، بينما لم تعترف الكنيسة للمسلمين بكيان مماثل في المجتمع المسيحي ، بل ، على العكس من ذلك ، اعتبرت الإسلام خطراً يتهدد المسيحية واليهودية عسكرياً ودينياً وحضارياً.

أما على صعيد التفاعل والتبادل والحوار الحضاري ، أي على مستوى الحياة الاجتماعية والأدبية والفنية والتبادل التجاري ، فقد كان الوضع مختلفاً تماماً ، إذ أخذ العرب / المسلمون من بيزنطة وفارس الكثير في إدارة الدولة وشؤون الحكم والعلوم . وعندما تبلورت حضارة العرب / المسلمين في نماذج اجتماعية وأدبية وفنية وقواعد للتبادل التجاري أعطوا العالم الكثير وخاصة العالم المسيحي عبر الأندلس.

ثم جاءت فترة الحروب الصليبية (١٠٩٥م - ١٢٩٠م) التي كانت الفترة التاريخية التي بلغ فيها التفاعل الحضاري مبلغه ، بل تكرس وازداد ، بينما بلغ الصدام العسكري أوجه.

وواضح من هذا السياق أن الإسلام كان أرحب صدراً مع المسيحية واليهودية مما كانتا معه ، بل إنه كان ، من الناحية المبدئية على الأقل ، أرحب صدراً حتى مع الكفار ، قال تعالى : **﴿قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين﴾** (سورة الكافرون) . وهذا ما دعا أحد الباحثين المحدثين إلى القول بأن الإسلام هو الدين الإبراهيمي الوحيد الذي أعطى الكافرين فسحة ، وإن ضيقة ، في المجتمع الإسلامي.

وقد يعزو المؤرخ هذه الرحابة الإسلامية مع المسيحية واليهودية إلى كون الإسلام قد جاء متأخراً عنهما تاريخياً ، فكان بإمكانه أن يعتبر أتباعهما «أهل كتاب» و «ذميين» . غير أنه كان بإمكان الكنيسة المسيحية الكاثوليكية ، لو أرادت ذلك ، أن تعيد النظر في تقويمها للإسلام . ومبدأ استمرارية الوحي وما يتمتع به البابا في الكنيسة الكاثوليكية من عصمة يساعدان على ذلك . ولكن الكنيسة لم تغير ولم تطور موقفها من الإسلام إلا بشكل ضيق جداً في النصف الثاني من القرن العشرين إبّان المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٤م) . فبقي الإسلام في نظر الكنيسة عموماً كفراً ، وفي أحسن الحالات ، زندقة لا تغتفر ، وبقي المسلمون محكوماً عليهم بالجحيم ، كما حكم عليهم القديس توما الأكويني ، ودانتي منذ القرون الوسطى ، وشعوباً عدوة لا يتغير وضعهم في نظر الكنيسة إلا إن هم استجابوا

لحملات التبشير وتخلوا عن دينهم واعتنقوا الدين المسيحي وقبلوا بالكنيسة وصياً دينياً عليهم.

وعندما تولى المماليك الحكم في المشرق تم طرد الصليبيين من الأراضي الإسلامية ، ثم جاء العثمانيون ليطاردوا المسيحيين في ديارهم خارج «دار الإسلام»، فكان هذا إيذاناً ببدء الرد الإسلامي على الحروب الصليبية . غير أن الموقف العثماني المعادي والهجومي تجاه الغرب المسيحي ، لم يمنع دولة الخلافة العثمانية من اتخاذ مواقف متسامحة في كثير من الأحيان مع المسيحية منسجمة مع الموقف الشرعي الإسلامي . وقد تمثلت هذه المواقف المتسامحة بما عرف بـ «الامتيازات» التي بدأت «منحة» من الدولة العثمانية لأهل الكتاب المقيمين في أراضيها ، ثم ما لبثت أن تحولت إلى نقمة على الدولة العثمانية عندما استقوى الغرب المسيحي عليها ، إذ نفذ الغربُ من خلال «الامتيازات» للتدخل في شؤون الدولة وممارسة ضغوط ثقيلة عليها كانت من أسباب انهيارها واستعمار أراضيها خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

وبينما كان هذا الصراع قائماً بين الدول الغربية والدول الإسلامية كان الفكر الغربي ينتهج مع الإسلام والمسلمين نهجاً يتفق مع مسيرة هذا الصراع ، إذ تعاونت الكنيسة مع الدول التابعة لها للتبشير بالدين المسيحي في البلاد الإسلامية . كما تذرعت الدول الغربية بحماية المبشرين لبسط سيطرتها الاستعمارية وبناء إمبراطورياتها عبر البحار.

أما الإسلام فقد ذهل أمام الهزائم المتكررة التي مُني بها على يد الغرب منذ القرن الثامن عشر . وقد عكست الأدبيات الإسلامية هذا الذهول في كتابات المسلمين مثل الشاه ولي الله الدهلوي والجبرتي . ووجدت هذه الهزائم صداها خاصة عند الشعراء منذ الرندي في الأندلس حتى الشعراء المتأخرين في القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين . ثم ظهرت عند المفكرين المسلمين نزعة إلى «الأدب الاعتذاري» الذي يمجد الماضي مؤكداً أن ليس عند الغرب جديد يستحق الأخذ به. لأن الإسلام ، والحضارة الإسلامية ، تشتملان على كل ما في الحضارة الغربية من فضائل ، دون أن يكون فيهما شيء من مفاسد الغرب ومساوئه . وطغت على الفكر الإسلامي منذ القرن التاسع عشر الميلادي لهجة الدفاع عن الإسلام لتثبيت إيمان المسلمين بدينهم وحثهم على الوقوف في وجه الاستعمار من جهة ، وفي وجه حملات التبشير من جهة أخرى (راجع بوجه خاص كتابات رفاعة الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا والسير سيد أحمد خان وأمير علي وعلي عبدالرازق ومحمد الجسر . ولم تخل كتابات محمد إقبال ودواوين شعره من هذا التوجه).

ولم يساعد المستشرقون على تصحيح صورة الإسلام في الغرب ، كما أنهم لم يساعدوا المسلمين على تأييد مجهوداتهم العلمية ، اللهم إلا في حالات استثنائية نادرة.

ويبدو أن الأوساط الفكرية الإسلامية في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، في حرصها البالغ على التشبه بالغرب في نهضته ، كانت تترصد المبادرات الغربية القليلة التي كانت تنصف الإسلام كدين أو كحضارة ، فما أن ظهر كتابان لغوستاف لوبون ولوثروب ستودارد حتى بادر المسلمون إلى ترجمتهما والإشادة بعلم مؤلفيهما وعدالتهما . كما ظهر في صفوف العلماء الشباب المسلمين في أواسط القرن العشرين تيار قوي لا يخفي إعجابه بالأسلوب البحثي العلمي في الغرب . وأخذ عدد من الدارسين العرب يتوجهون إلى الجامعات الغربية في أوروبا والولايات المتحدة لدراسة مختلف جوانب الفكر الإسلامي . فكان منهم جيل من المسيحيين العرب من أمثال فيليب حتي ، وعطية سرحال ، وجورج مقدسي ، درس وعلّم في الجامعات الغربية . ثم جاء بعدهم جيل آخر من المسلمين من أمثال الدكتور محمد البهي والدكتور عمر فروخ والدكتور إسماعيل الفاروقي، ثم تبعهم جيل من الباحثين ما يزال إلى يومنا هذا في نماء مستمر.

وقد استطاعت هذه الأجيال من المسلمين «المستغربين» ـ إن جاز التعبير ـ أن يصححوا ، نوعاً ما ، صورة الإسلام في الأوساط العلمية الغربية ، إذ كتب العديد منهم باللغات الغربية وبالأسلوب العلمي الذي يفهمه الغرب ، وقد ساعدهم في ذلك بعض «المستشرقين» الغربيين الذين أصبحوا أرحب صدراً من رواد الاستشراق الغربي . فلم يتردد جيل المستشرقين الجدد منذ أواسط القرن العشرين عن التعبير بقوة ، أي بحجج مقنعة وأسلوب علمي رصين ، مبينين ما قدمه الإسلام والمسلمون من إسهامات حضارية ذات شأن بارز في المسيرة الحضارية الإنسانية . من أمثال هؤلاء السير هملتون جب ، وولفرد كانتول سميث ومونتغمري وات ، وهلموت ريتر ، وشبولر ، ونلينو ، وبلاشير ، وكارديه ، وجاك ، وتيتوس بركهارت ، وشوان فريثهوف وغيرهم.

غير أن العلماء العرب والمسلمين ظلوا في ريب من أهداف الاستشراق . إذ لم تستطع مدارس الاستشراق الحديثة والمتعاطفة مع الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية من إشاعة جو من الثقة في الأوساط الإسلامية ، والعربية منها بوجه خاص . فقد جاءت التطورات السياسية تعزز أجواء الريبة . ولعل أعظم نكسة في إشاعة التعاون والتفاهم والثقة بين الغرب المسيحي والمسلمين عموماً نتجت عن التأييد التام الذي لقيته الصهيونية العالمية منذ سنة ١٩٤٨م في إقامة دولة اسرائيل على أراض عربية

إسلامية ذات قدسية خاصة في فلسطين . إذ لم يتحالف الغرب على أمر ، ولم يقف صفاً واحداً ضد العرب والمسلمين كما وقف في عداوته لآمال العرب وطموحاتهم في فلسطين في سنة ١٩١٦م ، ثم في سنة ١٩٤٨م، ثم توالت بعد ذلك مواقف العداء هذه وما تزال.

لقد واجه المفكرون العرب والمسلمون ، والعديد منهم كانوا ممن تدربوا في الغرب وأتقنوا أسلوبه العلمي في البحث والنقاش فضلاً عن إتقانهم للغات الغربية، الهجمة الجديدة بخيبة أمل مريرة وراحوا يحللون بأسلوب علمي غايات الاستشراق الغربي وأسباب عدائه للعرب والمسلمين . ولعل النموذج المميز لردة الفعل العربية كانت كتابات الدكتور إدوارد سعيد في كتابه عن الاستشراق، وكتابات أمين معلوف عن التاريخ الإسلامي، وكتابات وليد الخالدي في القضية الفلسطينية . هذه الكتابات ، من حيث أرادت أو من حيث لم ترد ، زادت من وعي الأوساط الأكاديمية إلى أهمية الحوار الإسلامي والمسيحي ، لا في الإطار الأكاديمي وحسب ، بل وفي المجال الاجتماعي أيضاً . وهكذا ابتداءً من الخمسينيات من القرن العشرين أخذت الدعوات للحوار تكتسب زخماً جديداً تمثل في اللقاءات التي تنظمها الجامعات ومراكز الحوار والزيارات الرسمية والمجامع الدينية . وأحسب أن لقاءنا اليوم يقع ضمن هذا السياق.

كما تجدر الإشارة إلى مبادرات ملفتة عززت هذا الحوار وأغنته ، قام بها أفراد ومؤسسات ذوو شأن مميز . فعلى صعيد الأفراد نذكر زيارات ومحاضرات سمو الأمير الحسن بن طلال ولي عهد المملكة الأردنية الهاشمية إلى إنكلترا تقابلها محاضرات لسمو الأمير شارلز ولي عهد المملكة المتحدة عن الإسلام، وبيانات قداسة البابا يوحنا بولس الثاني وزياراته إلى عدد من الدول الإسلامية ، كان آخرها سنة ١٩٩٧م إلى لبنان.

وأما على صعيد المؤسسات فقد انتشرت مراكز الدراسات الإسلامية انتشاراً واسعاً منذ النصف الثاني من القرن العشرين في جميع الدول الغربية ، كما نشأت مراكز خاصة تعنى بالحوار الإسلامي المسيحي في عدد من الدول الأوروبية والأميركية كما في «سيلي أوكس» في المملكة المتحدة ، ومركز الدراسات العربية في الفاتيكان وفي سويسرا ، وجامعة جورج تاون وكلية هارتفرد للاهوت في الولايات المتحدة الأمريكية . وتعددت هذه المراكز في لبنان فأنشأت جامعة القديس يوسف سنة ١٩٧٨م مركزاً للدراسات الإسلامية ـ المسيحية أسهمت في تأسيسه جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت . كما أنشأت جامعة البلمند (شمال لبنان) مركزاً لهذا الحوار سنة ١٩٩٧م ، ونظمت

عشرات الندوات والمؤتمرات لدفع الحوار بين المسلمين والمسيحيين في لبنان في الثمانينيات والتسعينيات من هذا القرن. وجميع الدلائل تشير إلى أن هذا النشاط سيزداد في السنوات القادمة.

٢ ـ التحديات المعاصرة وما يترتب عليها على صعيد اللقاء بين المسلمين والمسيحيين

فلنحدد أولاً هذه التحديات . هناك أولاً تحديات الفقر والجهل والمرض ، وهي مظاهر «التخلف». وهناك تحديات «النظام العالمي الجديد» . وهناك تحديات وسائل الاتصال وما تشكله من تحد لأنظمة القيم في المجتمعات المختلفة وما يستتبع ذلك من مفاهيم الحضارة والديمقراطية والحرية ومعايير «التقدم» و «التخلف» . ووراء كل هذه التحديات يكمن حرص المجتمعات «المتقدمة» أو «النامية» على أن تحافظ على ما تتمتع به من رخاء وسبق وتقدم مادي حتى لو اضطرها ذلك إلى ممارسة أبشع أنواع التحكم والاستغلال لثروات الدول «المتخلفة» ، أو إثارة الفتن فيها أو فيما بينها.

إن جميع هذه التحديات تفرض على المجتمع الدولي تحديد المفاهيم والمعايير التي يجب أن يبنى عليها المجتمع الإنساني المعاصر . فعلى هذا المجتمع أن يجيب عن أسئلة أساسية ما تزال دون جواب متفق عليه بين الناس . وسنورد عدداً من هذه الأسئلة.

من يملك الثروة الاستراتيجية التي يتوقف عليها تقدم الشعوب ورخاؤها؟ وهل كل دولة حرة بما تملك من ثروات؟ أو بصيغة أخرى نسأل : هل يسمح النظام العالمي الجديد بأن يترك لكل دولة حرية التصرف بثرواتها؟

ما حدود الحرية في المجتمع ؟ وإلى أي مدى يحق لدولة أن تتدخل في تطور دولة أخرى عن طريق فرض قيم واتجاهات اجتماعية أو فكرية معينة؟

ما دور الدين ـ الإسلام أو المسيحية أو اليهودية أو أي دين آخر ـ في توجيه المجتمع ونظامه؟ وهل يجوز لليهودية ما لايجوز للمسيحية أو الإسلام في هذا المجال؟

وهل يمكن تأسيس نظام عالمي مستقر لا تصان فيه حقوق المجتمعات في العلم والصحة والمأوى والعدالة الاجتماعية ، وبكلمة موجزة تصان فيه ، كرامة الإنسان، أي إنسان وكل إنسان؟

وقبل كل ما تقدم وبعده هل يمكن أن يقوم أي حوار أو تعاون بين الناس إذا كانت الثقة مفقودة، أو شبه مفقودة ، بين الأطراف المتحاورة أو المتعاونة؟ وكيف تخلق الأجواء المؤاتية لنمو هذه الثقة؟

هذه الأسئلة ومثلها كثير تحتم ضرورة التعاون والحوار للتوصل إلى أجوبة يتوافق عليها المجتمع

الدولي عامة فضلاً عن الجماعات الدينية . وإن حواراً لا يستهدف الإجابة على هذه الأسئلة لا يكون مجدياً على المدى البعيد.

ولكن لهذا الحوار الذي تمهد له الإجابة عن هذه الأسئلة حدوداً لا بد من أن تكون واضحة في أذهان المتحاورين ، إذ لا يجوز ، في هذه المرحلة على الأقل من تطور العلاقات بين المجتمعات القومية والدينية ، أن يتجاوز الحوار حدوده . وذلك لكي لا يؤدي الحوار إلى القطيعة أو الصدام بدل الوفاق والاتفاق ، أو إلى طريق مسدود.

لعلّ الخبرة الشخصية لدى المعنيين بالحوار الإسلامي / المسيحي مفيدة في هذا المجال. ولذلك سأعرض فيما يلي نتيجة محاولة للحوار جرت بنجاح في لبنان بين مؤسستين تعليميتين هما من أكبر المؤسسات وأعرقها في الحياة الثقافية اللبنانية ، عنيت : معهد الدراسات الإسلامية ـ المسيحية في جامعة القديس يوسف ، ومعهد الدراسات الإسلامية التابع لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت . وهي تجربة بدأت سنة ١٩٧٨م ، وما تزال قائمة إلى هذا اليوم وأتوقع لها أن تستمر لسنين عديدة لاحقة.

لقد أثبتت هذه التجربة أن الحوار ممكن ضمن حدود واضحة ومتفق عليها مسبقاً. وتتلخص التجربة بما يلي :

عندما استشرت الحرب الأهلية في لبنان ، واتخذت طابعاً دينياً التقى أربعة أساتذة جامعيين ، اثنان مسيحيان واثنان مسلمان وكلهم مؤمن وممارس لدينه ، وقرروا، على الرغم من الظروف المأساوية المحيطة بهم ، أن ينظموا سلسلة دروس تعطى لطلاب جامعيين مسلمين ومسيحيين ، أو لدارسين من هذا المستوى ، تتناول موضوعاً يتفق عليه كل أستاذين ، أحدهما مسيحي والآخر مسلم . واختار أستاذان موضوع «المفاهيم الأساسية في الإسلام والمسيحية من خلال النصوص» ، واختار الأستاذان الآخران موضوع «الصلاة في الإسلام والمسيحية» ، أساساً لمحاضراتهما . وكان كل من الأستاذين يتعاقبان على إلقاء المحاضرات التي كانت تستمر ساعتين متتاليتين في الأسبوع.

أما الطلاب فكانوا مسلمين ومسيحيين ، بعضهم من الدارسين لنيل شهادة جامعية ، وبعضهم معنيين بالحوار الإسلامي ـ المسيحي إما بدافع المعرفة أو بدافع الواقع الصدامي القائم في لبنان آنذاك.

واتفق كل أستاذين أن لا يحاول أي منهما المقارنة بين وجهة النظر المسيحية ووجهة النظر

الإسلامية ، وإنما يقتصر الأستاذ المسلم على عرض الموضوع من وجهة النظر الإسلامية ويعرض الأستاذ المسيحي الموضوع نفسه من وجهة النظر المسيحية دون محاولة المقارنة . ثم يترك للطالب المستمع أن يقارن إن شاء . كما حرص كل من الأستاذين أن يحضر كل منهما محاضرة زميله دون أن يناقشه فيما يقول أو يعلق عليه إلا إذا طلب منه ذلك.

واستمرت هذه الدروس ، بالرغم من الظروف العصيبة ، طيلة سنوات الحرب في لبنان وبعدها ، وهي ما تزال قائمة حتى اليوم . غير أن المواضيع التي تناولها الأساتذة في محاضراتهم كانت تختلف من سنة لأخرى . ومن هذه المواضيع:

ـ موقف الإسلام وموقف المسيحية من التطورات الحديثة في المجتمع.

ـ موقف الإسلام وموقف المسيحية من قضايا أخلاقيات الطب والبيولوجيا في المجتمع الحديث.

ـ أركان الدين في الإسلام وأركان الدين في المسيحية.

ـ الاتجاهات الحديثة في الفكر الإسلامي ، والاتجاهات الحديثة في الفكر المسيحي.

وبعد ثماني عشرة سنة على هذه التجربة أدى التعاون إلى إشاعة جو من الثقة بين الأساتذة فيما بينهم وبين الطلاب والأساتذة ، وسرى هذا الجو إلى المؤسستين التربويتين الكبريين ـ الجامعة اليسوعية وجمعية المقاصد ـ مما ساعدهما على وضع اتفاقية تعاون بحثي وعلمي بينهما يعمل بها حتى اليوم.

إن نجاح هذه التجربة واستمرارها حتى اليوم ناتج عن أن المشرفين على هذه التجربة حرصوا على أن يعتمدوا العلم والاحترام المتبادل في عرض كل من الإسلام والمسيحية . وأن تكون المواضيع التي يعالجونها نابعة من واقع المجتمع اللبناني في فترة حرجة جداً من تاريخه . يضاف إلى ذلك أن طموح القيمين على هذا المشروع الحواري كان متواضعاً وحذراً بحيث لا يتجاوز استعداد المجتمع اللبناني لتقبل نتائج هذا الحوار.

الأهم من ذلك كله أن المتحاورين ، وخاصة الأساتذة ، لم يحاولوا أن يعالجوا المشكلات النظرية أو اللاهوتية . لقد أدركوا أن للحوار حدوداً لا يجب تجاوزها . فلا حوار يجدي في مسائل العقيدة لأن الحوار قد انتهى في هذه المسائل بنزول النصوص التي حددت العقيدة . فالمسيحي المؤمن بمسيحيته لايقبل الحوار ، خاصة من مسلم ، في شأن العقيدة المسيحية ، بدليل المواقف المتشنجة التي يجابه بها المفكر المسلم عندما يحاول تفسير العقيدة المسيحية ، والعكس بالعكس . ولنا على ذلك أكثر

من تجربة ، كان آخرها محاولة موضوعية قام بها زميلنا الأستاذ محمد السماك لتتبع تطور النظرة إلى السيدة مريم عليها السلام في الفكر المسيحي المعاصر. فما كاد ينشر مقالاً حول هذا الموضوع ، بكل موضوعية وعن حسن نية لا ريب فيهما، حتى رماه مسؤولون كنسيون بالضلال والتضليل . وسيان اعتذروا له من بعد عن ذلك أو لم يعتذروا... إن جل ما يمكن أن يقبله المفكر المسيحي من المفكر المسلم هو العرض الأدبي لآلام السيد المسيح عليه السلام كما في كتاب «المدينة الضالة» لكامل حسين أو للمعجزة المريمية.

خلاصة القول : إن تاريخ العلاقات بين الإسلام والمسيحية لايساعد على الحوار ، وإن الوقت لم يحن بعد للحوار في مسائل العقيدة ، غير أن الحوار ممكن ، بل وضروري ، بين المسيحيين والمسلمين لمعالجة القضايا المعاصرة لتصحيح مسار الدول والمجتمعات . وإن علينا أن نكون متواضعين في طموحاتنا في هذه المرحلة لكي نتمكن من خلق أجواء الثقة تمهيداً للتعاون والتفاهم والاحترام المتبادل على صعيد الأفراد والمؤسسات ومن ثم على الصعيد الاجتماعي العام.

والله من وراء القصد ، وهو نعم المولى ونعم النصير.

المراجع

١ ـ باروت ، محمد جمال ، يثرب الجديدة ، الحركات الإسلامية الراهنة ، بيروت، دار رياض الريس ، ١٩٩٤م.

٢ ـ الجابري ، محمد عابد ، قضايا في الفكر المعاصر ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٧م.

٣ ـ حوراني ، ألبرت ، الإسلام في الفكر الأوروبي (مترجم عن الإنكليزية)، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٤م.

٤ ـ الخالدي ، مصطفى وفروخ ، عمر ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، بيروت ، منشورات المكتبة العلمية، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م.

٥ ـ الداقوقي ، إبراهيم ، صورة العرب لدى الأتراك ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٦م.

٦ ـ السمّاك ، محمد ، مقدمة إلى الحوار الإسلامي ـ المسيحي ، بيروت ، دار النفائس ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٧ ـ نصر ، مارلين ، صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٥م.

٨ ـ مجلة الاجتهاد ، بيروت ، دار الاجتهاد ، العددان السادس والعشرون والسابع والعشرون خاصة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، والعدد الثلاثون ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

9 - Esposito, John, Islam , the Straight Path. Oxford, Oxford University Press, 2nd edition 1991.

10 - Makdisi, Ussama, ''Reclaiming the Land of the Bible: Missionaries, Secularism, and Evangelical Modernity'' The American Historical Review, Vol. 102, No. 3, June 1997, pp. 680 - 713.

11 - Roy, Olivier, Geneologie de l'Islamisme, Paris, Hachette, 1995.

12 - Said, Edward W., Orientalism, New York, Vintage Books, 1979.

13 - Schuon, Frithjhof, Comprendre l'Islam, Paris, Seuil, 1976.

14 - Vitray, Meyerovitch, Eva de, Islam, l'autre Visage, Paris, Albin Michel, 1991.

15 - Waines, David, An Introduction to Islam, Cambridge, Cambridge University Press, 1955.

16 - Journal of: ''Islam and Christian - Muslim Relations'', Selly Oak Colleges, Birmingham, especially Vol. 4, Number 2, December 1993.

تعليـــــق

الأب الدكتور فلادان بيريشيك*

صاحب النيافة ، أصحاب المعالي والسعادة ، سيداتي ، سادتي :

قبل كل شيء ولأن ورقة الدكتور هشام نشابة تتناول العلاقة بين « الغرب المسيحي والمسلمين ككلّ » ، لا بد من أن يكون المناقش لها غربيًا وليس مسيحيًا أرثوذكسيًا لأنه لا يكاد يأتي ذكر للعلاقة بين المسيحيين الأرثوذكس والمسلمين على الإطلاق . ولا أستطيع ولا أريد أن أرد نيابة عن المسيحيين الغربيين عندما يكون موضوع البحث يدور حول علاقتهم بالمسلمين .

من ناحـية ثانـية ، فإن الجزء الأكبر مـن هـذه الورقة يتناول التاريخ تحت العنوان الفرعي «تحديات التراث » . ولست بالمؤرخ لكن يبدو لي أن هذا العرض التاريخي وإن كان صحيحًا في جله إلا أنه ليس بالمتوازن دائمًا ، كما أنه يفتقر أحيانًا إلى الثبات والتساوق . وستساعدنا بعض الأمثلة في إثبات ذلك فنقول :

أ – لقد جاء في ورقة الدكتور نشابة ما يلي : « يتضح من هذا السياق أن الإسلام كان أرحب صدراً مع المسيحية واليهودية مما كانتا معه » (ص ٥ في الترجمة الإنجليزية) . ربما كان ما قاله ينطبق على الوضع في الأندلس ولكن ليس في الصرب أو البلقان . ولذلك حتى لو انطبق هذا القول على بعض المناطق ولبعض فترات من التاريخ ، فلا يجب اعتباره من المسلّمات ، لأنه قول من جانب واحد فقط وبالتالي يفتقر إلى شمولية الصدقية .

ب – وورد أيضًا في الورقة : « ثم جاء العثمانيون ليطاردوا المسيحيين في ديارهم (أي ديار المسيحيين) خارج دار الإسلام (الأراضي الإسلامية)»، ولكن بعد ذلك بأسطر قليلة ، يتراءى للمرء أن الكاتب نسي ما قاله ، فأردف يقول « واستعمار أراضيها (أي الأراضي الإسلامـية) (من قبل المسيحيين الغربيين) خـلال القـرن التاسـع عشر والـقرن العشريـن » (ص ٦ في الترجمة الإنجليزية) . وبعبارة أخرى جاء أولاً أن تلك الأراضي لم تكن أراضي إسلامية بل مسيحية ، ثم يبدو أن الباحث

---

* بطريركية الصرب للأرثوذكس ، بلجراد – جمهورية الصرب .

نسي ما ذكره قبل أسطر قليلة فقط فأصر على القول إن الأمر تناول أراضي إسلامية .

جـ - لم يوضح الباحث على الإطلاق سبب اعتباره لفتح المسلمين أقطار الشرق المسيحي ، أو بعبارة أدق «فتح الأتراك العثمانيين لهذه الأقطار على أنه رد فعل إسلامي للحروب الصليبية». عندما نعرف جميعًا حق المعرفة أن الصليبيين ألحقوا بالشرق المسيحي (ولا سيما القسطنطينية) قدراً من الدمار يوازي على الأقل ما ألحقوه بالأقطار الإسلامية .(وكما سمعنا بالأمس من السيد محمد السماك فإن « المسيحية الشرقية كانت ضحيتهم (ضحية الصليبيين) الأولى » . وكما سمعنا من الأستاذ غريجوريوس زياكاس أنه « في الحروب الصليبية التي شنتها أوروبا الغربية ضد الشرق . لم يقتصر معظم أتباع الكنيسة الشرقية على عدم التدخل في تلك الأحداث التاريخية التي ميّزت الصراع بين الغرب والشرق ، بل على العكس من ذلك فقد عانوا مثل ما عانى بقية أهل الشرق من العواقب المؤلمة لهذا الصراع » (ص ١٠في الترجمة الإنجليزية) . وبعبارة أخرى فإن من الغرابة أن يُفسر تاريخيًا بأن ضحية الحروب الصليبية لا بدّ أن تكون ضحية للمسلمين أيضًا .

وسأذكر من بين بعض النظرات الثاقبة للكاتب واحدة ، عندما أصاب بقوله « كما تذرعت الدول الغربية بحماية المبشرين لبسط سيطرتها الاستعمارية وبناء إمبراطورياتها عبر البحار » (ص ٧ في الترجمة الإنجليزية) . إنها قضية الاستعمار الغربي للعالم العربي ، وهو أمر كما نعلم جميعًا لا علاقة لنا به نحن المسيحيين الأرثوذكس .

غير أنني لست معنيًا بالتاريخ هنا . زد على ذلك ، أننا إذا أقحمنا أنفسنا في التاريخ هنا فقد نضيع بسهولة في متاهاته . لأنه كما يقول المؤلف متسائلاً : « هل هذه الصورة العلمية المجردة للآخر في التاريخ ، وفي الوقت الحاضر ، ممكنة على الإطلاق ؟» (ص ١ في الترجمة الإنجليزية) . لعل ما يسمى بالتاريخ الموضوعي هو أحد الأمور غير الممكنة على الإطلاق .

إن المسألة التي تعنيني هنا هي ما الذي علينا القيام به من أجل أن نعيش بسلام . وسأسمح لنفسي باقتراح بعض النصائح لتحقيق ذلك الغرض وهي :

١- إن اختلاف الأديان لا يعني في حد ذاته العداء (اللهم إلا إذا كان علينا التعامل مع المتعصبين) . إن الأديان تجعلنا نختلف ، أما من أجل أن نصبح أعداء فإننا نحتاج إلى التضليل وإساءة التصرف على صعيد السياسة والحكومات .

٢- علينا أن لا نتفق مع الفكرة الشائعة القائلة إن الناس يشنون الحروب بسبب الدين . وبالرغم من أن عدداً كبيراً من كتب التاريخ يؤيد هذه الفكرة ، إلا أن الحقيقة هي أن الدين يتخذ في الحرب دائمًا كذريعة ولم يكن أبداً السبب الحقيقي فيها . (من جانب آخر ، إذا أراد المرء حفز قوم على الدفاع عن بلدهم ، فإن الدين يمكن أن يقوم بدور في هذه الحال) . فالحروب لا تندلع بسبب الدين نظراً لما يلي :

أ) إن الإنسان أقل تديناً مما يبدي العديد من علماء الدين استعدادهم لتقبله . إننا كثيراً ما نبالغ في تقدير قيمة الدين (لا أقصد هنا المبالغة في أهميته ، بل في تأثيره على المجتمع والدولة) .

ب) إن الدين طبقة عميقة في نسيج تكوين الإنسان بيد أنها طبقة رقيقة واهية .

ج) تستهدف جميع الأديان الحفاظ على الحياة البشرية وليس القضاء عليها . لذلك إذا تصرف إنسان بعكس ذلك فإنه لا يستطيع أن يجعل تصرفه هذا تصرفًا باسم الدين (وإن كان يقول ذلك أحيانًا) .

إن الحروب تبدأ بسبب الأرض والثروة والمواقع الاستراتيجية الطبيعية ، وتعزيز السيطرة وممارسة النفوذ على الآخرين وغير ذلك ، وليس بسبب أفكار دينية .

لذلك يجب أن لا نتفق مع وجهة النظر القائلة إن الدين سبب الحروب (وإن كان الناس في الحروب قد ينتمون إلى أديان مختلفة ، لكن ذلك ليس بالأمر الضروري) .

٣- يجب أن لا نسمح لأنفسنا بأن نكون أدوات في أيدي السياسيين المتعصبين وقصار النظر والجشعين الذين يسيئون استخدامنا واستخدام أدياننا على حد سواء لأغراضهم الدنيئة ، وإذا حدث أن كان قادة الدول والأمم من أولئك الذين يحترمون خلافاتهم مع الآخر وكرامته ، فإن من واجبنا عندئذ دعمهم وتشجيعهم . لكن إذا اتفق أن كانوا على العكس من ذلك ، فلا بد لنا من رفض إساءة استخدام الدين بتسخيره لمآرب سياسية ، وعلينا رفض الامتثال لتحركات حكوماتنا إن كانت عدوانية .

٤- لا داعي لأن نفكر جميعًا بنفس الأسلوب ونؤمن بنفس المعتقد كي نعيش في سلام وتفاهم متبادل . إن ما هو ضروري هو أن نتمنى الخير ، لا أن نضمر الشر لبعضنا بعضاً . وعلينا دائمًا أن نتذكر أن الآخر لم يأت إلى هذه الدنيا بإرادته بل بإرداة الله . وإذا كنت أنا مثلاً لا أعرف لماذا وجد هذا الآخر فالله يعرف ذلك دون ريب . وبناء عليه ، علينا أن نتقبل الآخر ونحترمه بوصفه

أيقونة لله الذي لا يعرف سبب وجود ذلك الإنسان فحسب ، بل إن مشيئته تعالى هي التي اقتضت وجوده (إلا إذا كنا لا نعتقد أن الناس يولدون دون معرفة الله وإرادته) .

٥- لذلك علينا أن نتقبل قداسة الإنسان كإنسان بحيث لا نطلب منه أن يقوم بعمل ما أو يدين بعقيدة ما لكي يحظى بالاحترام .

٦- وعلى هذا الأساس ، لنتقبل الرأي القائل إن الإنسان يجب أن لا يعامل تحت أي ظرف كان على أنه وسيلة ، بل يجب أن يعامل دائمًا على أنه هدف فقط .

٧- وختامًا ، لنترك الحكم في قضية من هو على صواب (في أمور الدين) إلى الحَكَم الذي سيقضي بين الناس يوم القيامة ، ولنعش بسلام حتى ذلك الحين .

التحديات الحاضرة وما يترتب عليها على أرض الواقع، وكيف نواجهها

الأب الدكتور جيرهارد ڤوس *

خلال العقود الأربعة الأخيرة تغيرت أمور كثيرة بشكل جذري في ألمانيا . فقد جاء أناس كثيرون إلى ألمانيا معظمهم من أوروبا الشرقية والشرق الأوسط وآسيا وإفريقيا ، ومن بينهم مليونان ونصف مسلم معظمهم من تركيا . ولم يجلب المسلمون إلى بلادنا ديناً جديداً لم يكن له تمثيل من قبل فحسب ، بل أدخلوا أيضاً تراثاً ثقافياً يرتبط بهذا الدين ، والسؤال الذي كان يواجه المسيحيين في هذا البلد لوقت طويل هو الآن فجأة يواجه المسلمين أيضاً : كيف يمكن أن نعيش كمؤمنين في مجتمع حديث؟ ما الذي يمكن أن يتعلمه المسلمون والمسيحيون من بعضهم بعضاً؟ ما الذي يدين به كل طرف للآخر؟ وأود أن أصف التحديات وما يترتب عليها على أرض الواقع في خمس فرضيات وذلك بالنظر إلى ثلاث قضايا هامة في مجتمعنا الحديث وهي :

١ ـ العلمنة.

٢ ـ الهجرة.

٣ ـ التعددية.

وعلى الرغم من أنه ليس ممكناً أن نعرّف هذه المصطلحات بشكل دقيق ، إلا أنها الأنسب لإعطاء فكرة عامة عن المشكلات التي سيتم تحليلها.

١ . العلمنة

الفرضية الأولى : المجتمع العلماني الغربي منفتح أمام الحياة الدينية ويحتاج إلى شهادة الدين . ومن الأهمية بمكان أن لا نفتري على أولئك الأشخاص الذين يبحثون تحت ظروف متغيرة عن سُبُل للحياة الدينية الحقة كما أوحت بها كلمة الله .

الفرضية الثانية : من المهم لتحقيق التعايش أن يقوم المسلمون والمسيحيون الذين يعيشون في بلد

---

* رئيس تحرير مجلة أوناسانكتا / معهد نيدرالاتيخ المسكوني ، نيدرالاتيخ – ألمانيا.

واحد بتوجيه الأسئلة المتبادلة حول الفهم الذاتي لكل منهم والإجابة عليها ، وأن يقوم الطرفان بمسؤولية مشتركة في البحث عن حلول للمشكلات الرئيسية في عالمنا.

١-١ العقلانية : تمثل العقلانية أهم العوامل في عملية العلمنة في مجتمعنا ، إذ لا وجود للتقنيات الحديثة دون العقلانية . فالعقلانية هي الشرط المسبق لوجود الثروة الحديثة ووسائل الراحة والطب الحديث والاتصالات الحديثة ووسائط النقل والتنقل الحديثة وما يتعلق بذلك كله في القدرة على الحركة والنشاط الاقتصادي في العالم بأسره . وهذه الظواهر الخاصة بالحضارة الحديثة والناجمة عن التنوير وانتهاج الموضوعية العلمية في الثقافة الغربية ، ظواهر متجذرة في الإيمان بالإله الواحد الذي خلق العالم بحكمته ونواميسه الكونية . ويبين الكتاب المقدس أن الله قد منح الإنسان القدرة والحرية من أجل أن يسبر غور هذه النواميس . وتجعل هذه القدرةُ من الإنسان شريكاً لله في عملية تطور تخلب الألباب . بيد أن أساليب العلم الحديث لا تولي الله أي اهتمام ، إذ يتمتع العلم والتصنيع والاقتصاد بزخم نابع من ديناميات مستقلة قائمة بذاتها . وفي مقدور البشر أن يستخدموا إمكاناتهم وفق مشيئة الله لإدامة هذه الحياة أو لتحقيق أهداف هدّامة . هذا هو الجانب الآخر للعقلانية ، إنه قدرتها على التدمير وتدمير الروح الإنسانية أيضاً .

ويبدو أن عملية العقلانية لا يمكن عكس مسارها ، وهي تأخذ بخناق البشر كافة بصورة متزايدة . وفيما يتعلق بالذين تتحدد مسيرة حياتهم بهذه العملية ، فإنها تؤدي إلى توقف وانقطاع في مسار التقليد الثقافي لديهم . غير أن جميع محاولات الجماعات الأصولية في الحيلولة دون هذه الثورة الثقافية عن طريق السلطة أو القوة لم تحقق أي نجاح أبداً .

١-٢ التساؤل حول قضايا المحرّمات : لمّا كان تخطي الحدود أمراً ممكناً من ناحية فنية ، فقد كان ولا يزال هناك إغراء مستمر لممارسة هذا التخطي . ولذلك فالقواعد التقليدية والمحرّمات توضع موضع التساؤل وتتعرض للهزات مثل : السلطة ، والعيب ، والأخلاق . وربما كان هناك تناقص وضياع لاحترام الحياة الإنسانية وقداسة الله ، إذ حصل العلم والتكنولوجيا والاقتصاد على الصلاحية والسطوة ووضع محرّمات جديدة .

غير أن هناك الجانب الآخر للتنوير : إذ يدرك العديد من الناس أن المصالح الشخصية تدخل في

عملية التطوير والتنمية الحالية وأن الخطر يحدق ليس بثقافتنا وبيئتنا فحسب ، بل ببقاء النوع الإنساني ككل على قيد الحياة . ويساعد علم النفس الحديث على التوعية بالعوامل اللاشعورية لإساءة استعمال القوة والصلاحية . وتتساءل النساء في الوقت الحاضر عما إذا كانت هذه العوامل أيضاً ذات تأثير في ما يتمتع به الرجال من سيطرة في المجتمع التقليدي القائم على الدين .

١-٣ التحرر : يوجد في جميع الأقطار الغربية مقدار متفاوت من الفصل بين الدولة والكنيسة . إن شكل الحكم ديمقراطي ، وقد جاء في القانون الأساسي لجمهورية ألمانيا الاتحادية ما يلي:

المادة ١-١ : كرامة الإنسان أمر لا يجوز المساس به . ومن واجب أولئك الذين يتمتعون بسلطة في جميع المجالات العامة أن يحترموا هذه الكرامة ويحموها .

المادة ٣-١ : الناس جميعاً سواءً أمام القانون .

المادة ٣-٢ : الرجال والنساء متساوون في الحقوق .

المادة ٣-٣ : لا يجوز أن يتعرض أي إنسان للظلم أو يُميز بسبب جنسه من حيث الذكورة والأنوثة ، ولا بناء على مولده أو لغته أو أصله القومي أو الاجتماعي ، أو بسبب العقيدة أو الدين أو الآراء السياسية .

وهنا وضع الأساس لإقامة حقوق الإنسان التي تتجذر في تاريخ الوحي الديني اليهودي - المسيحي ، لكن هذه الحقوق أصبحت تتمتع باستقلالية خاصة بها .ومصدر كرامة الإنسان هو الله تعالى نفسه الذي خلق البشر والذي يحبهم ويشملهم برحمته . وهنا أيضاً بدأ التطور الهادف إلى الانعتاق في العصور الحديثة ، والذي أتاح فرصاً جديدة إلى جانب التسبب في مخاطر جديدة ، وبناء على ذلك فرض تحديات جديدة أمام المنظمات الدينية في المجتمع الحديث . وكان هناك كفاح طويل ومؤلم خاضته بعض الجماعات مثل العمال والنساء والشباب في سبيل الحصول على حقوق متساوية وحرية في الاختيار . ويتخذ هذا التطور أيضاً سبيلاً لا يمكن عكس مساره .

لقد فقدت الكيانات الاجتماعية للأُسر سلطتها . وإذا أراد شاب وفتاة الزواج فإنهما يُقْدمان على ذلك حتى لو عارض الآباء هذا الزواج .لقد حدث تغيّر في الأدوار ، ويتجلى ذلك بأوضح مظاهره في المشاركة ، عندما يتخلى الرجل عن عمله لبعض الوقت وينصرف إلى القيام على شؤون الأسرة ورعاية الأطفال بينما تقوم المرأة بدور معيل الأسرة . كما أن بالإمكان فصم عرى الزواج عن

طريق الطلاق بسهولة . ولكن الوحدة والاعتماد على الذات يشكلان معضلة بالنسبة للكثيرين لا سيما كبار السن والأطفال والأمهات غير المتزوجات . ونتيجة لذلك تتزايد انحرافات الأحداث والشباب وتعاطي المسكرات والإدمان على المخدرات .

غير أن عدد الأشخاص الذين يقدرون المسؤولية الشخصية حق قدرها ويمارسونها عدد أكبر من غيرهم بكثير . وفي السابق كان القسيس في الكنيسة هو المسؤول عن جميع نواحي حياة الكنيسة . أما اليوم فقد تدنّى عدد الأشخاص الذين يشاركون في المظاهر التقليدية من حياة الكنيسة . لكن قد يكون هناك اليوم عدد أكبر من المسيحيين المؤمنين الذي ينخرطون شخصياً في نشاطات الكنائس وخاصة العمل الاجتماعي والمساعدة في تقديم التوجيه الروحي . ويفرّق المسيحيون المؤمنون بين قوانين الدولة وأوامر الله أو وصاياه . إنهم يعرفون جيداً ، أنه فيما يتعلق بالمسؤولية نحو الله ، فهو لا يسمح بأمر لا تقوم به الدولة أو توحي به وسائل الإعلام . ويتيح الفصل بين الدولة والكنيسة المجال للكنائس كي ترفع صوتها في المجتمع من أجل حماية الأسرة ، وضد الأساليب الاقتصادية التي لا تلائم المجتمع، لتحقيق المزيد من الإنسانية والعدالة والسلام وسلامة الخليقة . وسوف يساهم المسيحيون في بلدنا بأموال كثيرة لصالح المحتاجين في كل مكان في العالم ، وليس لصالح المسيحيين فقط . وبذلك يثبتون ويشهدون على أن الله يحب الناس كافة وأن الرحمة مطلوبة للجميع وأن الحياة في هذا العالم لهذا السبب أمر له معناه ومغزاه .

ويدرك المسيحيون في مجتمعنا أن غير المسيحيين أيضًا يقفون مؤيدين للسلام والعدالة وسلامة الخليقة والنضال من أجل عالم أكثر إنسانية واجتماعية وديمومة ، علاوة على نضالهم من أجل المبادىء الأخلاقية مثل جماعة السلام الأخضر والأطباء الدوليين العاملين على منع الحرب النووية . والعديد من ذوي النزعة الإنسانية هؤلاء ملحدون . ويستطيع المسيحيون في مجتمعنا أن يتعاونوا معهم . ولكن فيما يتعلق بكنائسنا ، فإن التعاون أكثر أهمية بين هؤلاء الذين تتحدد مسؤولياتهم بناء على إيمانهم بإله حي هو خالقنا والحكَم الذي يقضي بيننا .

١-٤ الفرديــة : يؤكد هذا الاصطلاح على أن الحياة في مجتمعنا الحديث هذه الأيام تحدّدها وتقررها مسؤولية المرء وكفاءته . لكن هذا الاصطلاح يؤكد أيضًا على أهمية ضمير الشخص وهو الضمير الذي تحميه الحرية الدينية كجزء من حقوق الإنسان .

وترى الكنائس أن من واجبها توفير إمكانيات من أجل التربية والتعليم المسيحي . إذ إن ديرنا

على سبيل المثال يقوم بتصريف شؤون مدرسته الثانوية الخاصة به . كما تعيش المسؤولية المسيحية أيضاً من خلال التكامل الشخصي بين الإيمان والتفكير وتقمص إحساس الغير .

ليس هناك كائن بشري يتمتع بانعتاق كلي ومتسم بعلمنة تامة ، وعقلانية لا تشوبها شائبة . فالنفس الإنسانية مخلوقة بحيث تكون متجهة نحو الله كما أنها تبقى قلقة إلى أن تبلغ غايتها . وهناك مديرون ينتمون إلى طوائف ذات طابع أصولي بينما يوجد علماء يلتمسون النصح والمشورة من المنجمين . وفي « سوق » المعروضات الدينية يعثر المرء على مقولات لا يفهمها إلا الخاصة ، وعلى سحر وضروب من الديانة العلمانية . كما أن الأصولية نتاج لفقدان الأمن الديني . ويتطلب الجمع بطريقة مسؤولة بين عقلانية جوانب مختلفة من الحياة مع الإيمان نوعاً جديداً من الروحانية . وكثيراً ما تتعارض القواعد الدينية التقليدية مع الظروف المادية الملموسة للحياة . وعلى المؤمنين أن يطرحوا على أنفسهم اليوم السؤال التالي : ما هو الأمر الممكن وما الذي أنا بحاجة إليه في ظل الظروف الحالية لحياتي ؟

الواقع أنه لا يمكن أن يوجد توجّه مخلص للقلب نحو الله دون صلوات وعبادة منتظمة . يقول سيدنا يسوع المسيح إن هناك أنواعاً من الشرور لا يمكن التغلب عليها إلا بمساعدة الصوم والصلاة (إنجيل متّى ٢١/١٧)، لكن الأشكال قد تتغير . ولا يحفل المجتمع الحديث بالإيقاعات الطبيعية للزمن .

ومما لا مراء فيه أن كلمة الله تبقى صحيحة وصالحة لجميع الأزمنة ، بيد أن هناك حاجة إلى التمييز بين كلمة الله الموجودة في الكتب السماوية – الكتاب المقدس والقرآن الكريم – من ناحية ، وتفسيراتها من ناحية أخرى . وكانت خلفية التفسير الماضي تتمثل في الظروف الاجتماعية والبيئية الفعلية لذلك الوقت . أما في ظل الوضع المتغير في يومنا هذا فعلينا أن نسأل أنفسنا عما تعنيه كلمة الله في وقتنا الحاضر . وعلى التوالي سيجد المرء إجابات في النصوص المقدسة التي جرى تجاهلها في الماضي . فنحن نتبيّن اليوم في مجتمعنا التعددي أموراً أكثر وضوحاً مما كان في المجتمع المغلق قبلها ومفادها أن الكتاب المقدس يجبرنا على البحث عن مصالحة ووفاق شامل ليس مع الله فحسب بل مع العالم بأسره . فالله هو الحكَمُ الوحيد في العالم . ولا نستطيع بلوغ درجة من الادعاء أو التجرؤ على إصدار الأحكام باسمه عزّ وجلّ . علينا أن نشهد برحمته ، وهنا نجد أنفسنا في خضم عملية تعلّم . وبالنسبة للكثير من المسيحيين فقد عادت هذه العملية بحرية جديدة وشجاعة جديدة في الشهادة على صحة دينهم في عالمنا الحديث . ولن أخفي الحقيقة التي تقول إن التوتّرات توجد أيضاً بين مختلف

الجماعات ، وذلك حسب تقديرها لقيمة التقاليد وقدرة جهاز السلطة الهرمي على إرشاد الناس العصريين إلى السبيل القويم .

وتصبح مشكلة المواطنة المشاركة هذه أكبر عندما تتعايش معًا ثقافتان دينيتان مختلفتان مثل المسيحية والإسلام . فيقول المسلمون في ألمانيا إن المسيحية في المنشورات الإسلامية كثيرًا ما ترتبط بمساوىء معينة وطرق ضلال وغيّ في مجتمعنا الاستهلاكي الحديث . وتوصف المسيحية بأنها دين ضعيف منحرف آخذ في الاضمحلال ، بينما يوصف الإسلام على أنه دين صاعد وعامل على تطهير البشر من الأدران . وبعكس ذلك ستجد في الجانب المقابل في بعض المنشورات المسيحية تحريفات للإسلام مشابهة تمامًا حيث يوصف بأنه دين بدائي ، متخلف عن ركب الزمن وعدواني . ومع ذلك نجد في الثقافتين أتباعاً غير مؤمنين ومتعصبين يسيئون استعمال الدين . فهناك كثير من الشباب في الأسر الإسلامية والمسيحية على حد سواء يعتبرون الدين عنصر تخلف ويخططون حياتهم بصورة ذات توجّه مادي .

٢ . الهجـــرة

الفرضية الثالثة :

تحتاج مواطنة المشاركة القائمة بين المسيحيين والمسلمين الذين يعيشون سوية في نفس البلد إلى الحوار كسبيل يتواصلون به معًا وذلك ضمن نطاق التسامح وبأمانة تنطوي أيضًا على نقد للذات وأن تكون خالية من أية ميول تبشيرية .إن من شأن حوار كهذا أن يبعث حيوية جديدة ومعايير جديدة للتعايش .

إن ضرورة مواطنة المشاركة للمسيحيين والمسلمين التي يتمتعون فيها بحقوق وواجبات متساوية في نفس البلد أمر جديد ونتيجة لعملية العلمنة والتطور الاقتصادي والهجرة . وحتى الآن ، نجد أن أحد الدينين كان سائداً في أي بلد كان يعيش فيه المسيحيون والمسلمون معًا . وكان السؤال يتمحور حول ماهية الحقوق التي يقتضي منحها لأتباع الدين الآخر وأي قيود وأعباء - كالضرائب مثلاً - جعلت حياتهم أمرًا أصعب.

وكانت الاتصالات دائماً بين المسيحيين والمسلمين ولا تزال حتى اليوم ناجمة عن الهجرة .

وسأذكر تحديداً الأشكال الخمسة التالية وهي : السياحة ، والعولمة ،والتوسع ، والهجرة المغادرة ، والهجرة القادمة .

٢- ١ السياحة : إن أكثر أشكال التقاء الناس سطحية هي السياحة الحديثة ، وهي من العوامل التي تخفف من ممارسات التحامل كما ورد ذكره .

٢-٢ العولمة : إن العولمة أيضـاً لا تؤدي إلى لقاء حقيقي بين الثقافات ، فالاقتصاد العالمي قضية تنافس بين الشركات الكبرى التي تتجاوز حدود الدول ، والعالم الغربي وكذلك العالم العربي ، لا سيما بسبب موارده النفطية ، منغمسان في هذا الوضع . وهناك قدر متزايد من السياسة يتوقف على عمليات التلاعب بالقوة الاقتصادية . بالإضافة إلى أن تجارة الأسلحة وأجهزة المافيا ومنظمات الإرهاب تشكل ظواهر عالمية أيضـاً ، وهي أنها تثقل كاهل العلاقات بين المسلمين والمسيحيين . وبذلك فإن نيران المخاوف القديمة تتعرض لسكب الوقود عليها من جديد . كما أن طرق الاتصال العالمية ووسائل الإعلام تثير المخاوف بدورها . لكننا نعلم مدى التشويه الذي تلحقه بالصور التي نتلقاها عن بعضنا بعضـاً . والمصالح السياسية والتجارية الكامنة في التأثير على الناس عن طريق هذه الوسائل مصالح هائلة ، فالعمل إذن معـاً كمواطنين شركاء محليـاً أمر أكثر أهمية .

٢-٣ التوسع : يمكن تفسير سبب المخاوف من خلال تاريخ اللقاء بين المسيحية والإسلام وهو تاريخ توسع وحروب لكنه أيضاً توسع سلمي من كلا الجانبين .وطيلة حقبة العصور الوسطى كانت المسيحية تخشى الإسلام بوصفه ظاهرة غريبة وخطراً في حد ذاته . وقد جاء الإسلام إلى حيز الوجود بعد المسيحية وانتشر في مناطق كانت مسيحية من قبل . ولأن الإسلام قد توسع عن طريق إسبانيا ليصل إلى جنوب فرنسا واجتاز القسطنطينية وأقطار البلقان ليصل إلى فيّنا ، فقد تركت هذه الحقيقة مخاوف عميقة الجذور في عقولنا . من جانب آخر عانى الإسلام بدوره من عدوان الدول الغربية ، ومن الحروب الصليبية وبصورة خاصة من الاستعمار القادم من أوروبا الغربية . واليوم يجد كل من الإسلام والمسيحية نفسيهما متنافسين من خلال توسعهما في كثير من البلدان الإفريقية . وفي يوغوسلافيا السابقة نجد أمثلة على التحارب بين المسيحيين والمسلمين الذين انقضت عليهم أزمنة طويلة وهم يعيشون معاً في وئام .

وليس من المجدي مناقشة الماضي فقط ضمن إطار السؤال القائل أي الجانبين كان أكثر عدوانية

وأيهما كان أكثر تسامحاً . فوجهات النظر حول هذا الموضوع مختلفة إلى أبعد الحدود. وفي الأعم الأغلب يختلف ما تحمله الجماعات الدينية والقومية من ذكريات عن الماضي عما حدث في واقع الأمر، وكثيراً ما تحوّل إلى أسطورة . لكن الشفاء من الذكريات يحتاج إلى دراسات مشتركة بغية التصدي لمخاوف الحاضر أيضاً .

٢-٤ الهجرة المغادرة : ينشأ كثير من المشكلات في ألمانيا كما في بلدان أخرى كثيرة أيضاً بسبب العدد الكبير من المهاجرين القادمين من شتى بقاع الأرض ، الذين يغادرون أوطانهم أو يفرّون منها بهدف اللجوء السياسي ومنهم كثير من المسلمين . ولا تقتصر أسباب الهجرة المغادرة على الحروب أو المصاعب الاقتصادية ، بل تتعدى ذلك إلى الظروف والأحوال السياسية والاجتماعية في مواطنهم الأصلية كأن تتعرض الأقليات الدينية والعرقية على سبيل المثال للاضطهاد أو يشعر المنشقّون بتهديد موجّه إليهم من الدولة أو من الأكثرية الاجتماعية . وتشير هجرتهم إلى وجود صراعات سياسية أو فكرية داخل مجتمع مغلق .

ومن التحدّيات الكبرى في مجتمعنا اليوم الاعتراف بالذنب الذي جرى اقترافه عبر عصور من التاريخ مثل اضطهاد الزنادقة ، ومحاكم التفتيش ، والمسيحيين الخارجين عن مذاهب الكنائس المعترف بها . وكثيراً ما حدث أن قُبِلَت وجهات نظر أولئك الذين يُسمون «الحداثيين» بعد ذلك بصورة عامة. أما الجماعات الدينية ذات التقاليد السلطوية القوية المؤثرة في تشكيل حياة الناس مثل الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية والإسلام أيضاً ، فكثيراً ما تحاول إخفاء نواحي ضعفها وتتصرف حسب الشعار القائل : إن ما يجب أن لا يوجد ، لا يمكن أن يكون موجوداً .

وأما عبارة «المجتمع المغلق» التي استخدمتها فهي غامضة ولا تتميز عن غيرها شأنها في ذلك شأن كلمة «العلمنة» . وقد يكون سبب انغلاق المجتمع هو الروح القومية أو المشاعر العرقية . ونحن نعرف اليوم العبارة الرهيبة وهي «التطهير العرقي» ، وكانت البلدان الشيوعية مجتمعاً مغلقاً وذلك لأسباب عقائدية . كما أن هناك مجتمعات مغلقة في بلدان يُعرف أنها خاضعة لحكومات تتألف من رجال الدين . وتؤدي مجرد هجرة الناس من بلدٍ ما إلى التساؤل عما إذا كانت الحكومة الدينية المفروضة بقوة السلطة تتفق حقيقة مع ما توحي به رحمة الله . وكمسيحيين فإننا مقتنعون بأن الله يتحدث أيضاً عن طريق عقول الناس وضمائرهم وأنه يفوّض الأنبياء في ظروف لا نتوقعها . ولذلك باستطاعة المسيحيين أن يتقبلوا بكل سهولة في الميدان الديني التنظيمات الصادرة عن المجامع الكنسية أو الهيئات

الديمقراطية . ولا يعني ذلك أننا على استعداد للاتفاق مع أي إجراء تحكُّمي . فالحوار لا يتضارب مع الحقيقة بل هو طريق مشترك يؤدي إلى فهم أكثر شمولية للحقيقة . والحوار الصريح لا يستبعد الخلافات لكنه على أي حال يستبعد الكبت العنيف للمعتقدات الأخرى .

٢-٥ الهجرة القادمة :

تتألف أكبر مجموعة من المسلمين في بلدنا من المهاجرين القادمين مثل الطلبة الذين ظلوا في بلدنا بعد أن أنهوا دراستهم وعثروا على عمل . وغالبية المهاجرين القادمين وفدت بوصفها من «العمال الضيوف» . لقد طلب اقتصادنا عمالاً لكنه لم يدرك أن أشخاصاً غيرهم قد وفدوا . وهناك الكثير من المهاجرين القادمين – لا سيما أولئك الذين ينتمون إلى الجيل الثاني – الذين يحاولون الاندماج في مجتمعنا . ولا تتضح – إلا ببطء – تلك النتائج التي تتركها هذه التعددية الجديدة في بلد كانت ثقافته حتى الآن ثقافة مسيحية .

٣ . التعددية

الفرضية الرابعة : تنمو مواطنة المشاركة في حوار الحياة ، ويتطلب هذا الحوار اهتماماً بحقوق الإنسان كما يتطلب الحساسية والوعي والمساعدة المتبادلة المجردة من الأنانية .

الفرضية الخامسة : أن يتيح كل طرف من المسيحيين والمسلمين للطرف الآخر الفرص نفسها لممارسة حياته الدينية حسب معتقداته وطبقاً «للقاعدة الذهبية» القائمة على المعاملة بالمثل ، وهي أموريليست في حيز الإمكان اللهم إلا إذا اقتنع الطرفان بما يلي :

- أن المسيحيين والمسلمين عباد الله الواحد الأحد .
- أن الله نفسه يتصرف من خلال الديانتين .
- أن الله أتاح الفرصة في الدينين لإمكانية تحقيق السعادة الأبدية كغاية للحياة .

٣-١ مراعاة حقوق الإنسان : إن القانون الأساسي للجمهورية الاتحادية يقدم إطاراً وافياً بالغرض من ناحية قانونية من أجل دمج المسلمين في ألمانيا ، مع الاحتفاظ بتراثهم الديني والثقافي . ويجب النظر إلى التحديات والمشكلات على الصعيد الإنساني في المقام الأول . ونظراً للعدد الكبير من الباحثين عن اللجوء وتزايد نسبة البطالة بشكل عام ، بدأ شعور عدائي جديد ضد الأجانب يأخذ بالظهور في ألمانيا . و أدّت صيرورة المسلمين جزءاً من المجتمع الألماني إلى قيام تعددية ثقافية جديدة لم تُعهد من قبل .

ولكن على الناس أن يتعلموا كيف يتقبلون هذا الوضع دون خوف أو وجل . هناك في مجتمعنا قناعة عميقة حول أهمية مراعاة حقوق الإنسان بحيث لا تتكرر مرة أخرى عمليات إبادة الناس بسبب دينهم وثقافتهم كما حصل في ظل النظام الاشتراكي الوطني (المقصود بذلك هو النظام النازي أيام هتلر ١٩٣٣-١٩٤٥م) ، فيما يتعلق بما حلّ باليهود وسِنْتي وروما Sinti and Roma. ولهذا السبب هناك مساعٍ ونشاطات عديدة في المجتمع المدني وخاصة في الكنائس المسيحية لمساعدة المسلمين في إيجاد موطن في بلدنا . وهي تؤكد أن كلمة «نعم» للحرية الدينية تعني «نعم» لتقبّل الأديان الأخرى وإتاحة فرص متكافئة لها .

ويمكن العثور على توثيق مستمر وأدبيات في النشرة الربعية CIBEDO الصادرة عن مركز التوثيق للقاء المسيحي الإسلامي في مدينة فرانكفورت . ففي ميونيخ على سبيل المثال ، يوجد كما في المدن الأخرى ، برنامج ضخم للقاء ثقافي يشارك فيه كثير من المتحدثين والفنانين من بلدان عربية أيضاً .

الاندماج لا يعني الذوبان . هناك جزء من الحرية الدينية للمسلمين يعني أيضاً حرية بناء المساجد. كان المسلمون في البداية يصلّون في غالب الأحيان في أماكن معينة . أما اليوم فتوجد في ألمانيا مساجد فخمة ذات قباب ومآذن . وقد أصبح ارتفاع المآذن والأذان الإلكتروني بصفة خاصة قضايا خلافية إلى درجة كبيرة . وفي حالات الخلاف كان بإمكان جمعيات التعاون المسيحي الإسلامي القيام بدور الوسطاء لكن هذه القضايا متصلة بأمور مثل تنظيم المدن وبتسامح الناس الذين يقطنون هناك . وفي العديد من المدن والقرى كثيراً ما نجحت شكاوى تقدم بها عدد قليل من الناس أيضاً في إيقاف قرع أجراس الكنائس في ساعات معينة من الصباح والمساء لأسباب تتعلق براحة الناس في الليل . ثمة مسألة أخرى من مسائل تخطيط المدن وهي متطلبات إعداد مقابر تتوافق مع تعاليم الإسلام بقدر كافٍ ، وتنبع خلافات أخرى إذا لم تشارك الفتيات المسلمات في دروس الجمباز أو السباحة في المدرسة ، أو إذا أبقت النساء المسلمات على أغطية رؤوسهن أثناء العمل، كمعلمات المدارس على سبيل المثال . ورغم أن الألمان قد يعرفون أن غطاء الرأس عند المسلمين رمز لعقيدتهم وهويتهم الثقافية ، كما هو الحال بالنسبة للصليب عند المسيحيين ، فإن ذلك قد يؤدي إلى ترسيخ التحامل والتسبب في الرفض لأن الحرية الدينية في رأي الملحدين كثيراً ما تتصل بغياب الرموز الدينية أمام الملأ . فالحرية الدينية أمر لا يمكن طلبه فقط ، بل لا بد من منحه أيضاً .

٣-٢ مراعاة مشاعر الآخرين : يحتاج المسيحيون المنخرطون في حوار حياتي مع المسلمين إلى درجة

خاصة من مراعاة مشاعر الآخرين وذلك نظراً لتحريم القرآن أكل لحم الخنزير وتعاطي المشروبات الروحية ، ولضرورة مراعاة القواعد الواجب اتباعها أثناء ذبح الذبائح . وفي نشرة أصدرتها كنائس نورمبرغ على سبيل المثال وردت التوصيات التالية : « إذا دعي المسلمون إلى بيوت أسر ألمانية لتناول طعام فإن ذلك قد يتسبب في مشكلات للضيوف إذا أرادوا من ناحية أن يلتزموا بتعاليم القرآن ، وأن لا يسيئوا إلى مشاعر مضيفيهم من ناحية أخرى . وعلى المسيحيين أخذ هذه الأمور في الحسبان والانتباه أيضاً إلى التقويم الإسلامي » . كما أن مراعاة المشاعر ضرورية في عدم مغالاة الطرفين في المطالب التي يتقدم بها كل منهما إلى الآخر ، وذلك لأن التغيرات والتطورات تحتاج إلى وقت .

وهناك حساسية خاصة تدعو الحاجة إليها فيما يتعلق بنواحي القلق والانتهاكات الموجودة . فقد يشعر المسلمون بالخوف والعدوانية إذا ووجهوا بانعدام التقبل والعداء . وتساور الألمان مخاوف من أن مراكز أصولية يتم إنشاءها لدى الجماعات الإسلامية ، وقد تصبح بعد ذلك قاعدة لأعمال العنف والإرهاب ضد القانون والنظام في بلدنا . كما أن العدوانية والرفض تغذّيان عندما لا يسمح للمسيحيين في بعض الأقطار الإسلامية حتى بممارسة شعائر العبادة ، وعندما يتعرضون للاضطهاد ولا يتمتعون بنفس الحرية والحقوق التي يطالب بها المسلمون بالمقابل في بلدنا . وسيكون من المفيد إذا أوضحت الأسرة الإسلامية في العالم بكل جلاء أنها تستنكر فرض القيم الإسلامية والتنظيمات الإسلامية عن طريق العنف والإرهاب .

٣-٣ **مشكلات غير محلولة** : إن المشاركة في المواطنة بحاجة إلى جهود من الجانبين . وهناك مشكلات غير محلولة في نواحي متعددة ، وهي :

٣-٣-١ **التعليم والتربية الدينية** : ينص القانون الأساسي لجمهورية ألمانيا الاتحادية على توفير التعليم الديني في مدارس الدولة حسب تعاليم الطوائف الدينية الموجودة . وترغب الحكومة بإدخال دروس لتعليم الدين الإسلامي ، لكنها تحتاج إلى شركاء للعمل على إعداد هذا المنهج يكونون ممثلين لجميع المسلمين ليصبح بالإمكان التخطيط المشترك وإيجاد المعلمين المناسبين . لكن هذا التمثيل لا يزال غير موجود . وترفض بعض الجماعات الإسلامية - الأصوليون والملحدون على حد سواء - التعليم الديني في المدارس العامة .

٣-٣-٢ **الزيجات المختلطة** : تمثل الشريعة الإسلامية مشكلة كبرى بالنسبة لهذه المسألة ، إذ لا تقبل هذه الشريعة أبداً زواج امرأة مسلمة من رجل مسيحي ينوي البقاء على دينه . كما تنص على أن

الأطفال يجب أن يصبحوا مسلمين في جميع الحالات . كما أنها ترفض أن توفر للنساء المسيحيات بعد وفاة أزواجهن المسلمين ، أو في حالة وقوع الطلاق ، تعليم الأطفال والإنفاق عليهم. وطبقاً للفهم المسيحي الحاضر فإن من الواجب إتاحة الفرصة نفسها للطرفين الشريكين في الحياة الزوجية من أجل أن يعيش كل منهما حسب معتقداته وأن ينقل ذلك إلى أطفالهما . ويمثّل العثور على سبيل مشترك لحل هذه المشكلات تحدّياً كبيراً .

٣-٣-٣ التحوّل من دين إلى آخر : كثيراً ما يرغب أحد الشريكين في الزيجات المختلطة في تغيير معتقده الديني . ومن الناحية الدينية البحتة هذا أمر في عداد المستحيلات ، سواء أكان بالنسبة للفهم المسيحي أم للفهم الإسلامي للمسألة . ولا يمكننا إيجاد حلول هنا إلا من خلال الثقة بأن المؤمنين في كل من عقيدتينا يعبدون إلهاً واحداً وأنهم مسؤولون أمام الله عما يقومون به في حياتهم . ولا نستطيع القبول بإرغام الناس على تغيير دينهم بالقوة أو بمعاقبتهم كخونة إذا تخلوا عن طائفتهم الدينية لينضموا إلى نِحلةٍ أخرى . ولا تعد مواطنة المشاركة ممكنة إلا إذا روعيت «القاعدة الذهبية» القائلة بالمعاملة بالمثل من جانب جميع الأطراف .

إن الفرضيات الخمس التي سلف ذكرها أشبه ما تكون بأصابع أيدينا الخمسة . وباستطاعتنا إغلاقها وجعلها قبضة استعداداً للعدوان، كما أن بمقدورنا أن نبسطها ونمد يد المصافحة من أجل السلام .

تعليق

الدكتور عبدالحفيظ بلعربي *

دعوني أنطلق من فرضية الكاتب الموقر الأب جيرهارد فوس ولتكن فرضية مسلم بها أن : الفئتين المسيحية والإسلامية تشكل طائفة تواجه تحديات تطبيق أركان إيمانها في محيط مجتمع عصري بكل سمات العصرنة ، فما هو إذن القاسم المشترك بين الفئتين في مواجهة تحديات العصرنة؟

من وجهة نظر الباحث فإن هذه التحديات تتمركز حول النقاط التالية :

١ ـ ظاهرة علمانية المجتمعات العصرية (خاصة الغربية) وتتمثل روافد هذه العلمانية في المرتكزات التالية:

- العقلانية.
- مضامين مفاهيم جديدة (نظام قيم خاص بالعلمانية).
- التحرر Emancipation
- الفردية Individualism

٢ ـ التدفقات البشرية بين المجتمعات المعاصرة.

تتمثل أساساً هذه التدفقات البشرية في ظواهر :

- السياحة
- الهجرة
- العولمة

٣ ـ التعددية : إن المجتمعات العصرية ، مجتمعات تعددية مما دعا إلى تطوير :

- مفهوم المواطنة
- إيجاد المفاهيم المشتركة ضمن التعددية.

* رئيس قسمي العلوم المالية والمصرفية والإدارة الفندقية والسياحة ، جامعة الزيتونة ، عمّان ـ الأردن.

وفق تحليل الباحث الموقر ، فإن ما استخلصته من تحليله يتمثل في تشخيص العوارض ، وكنت أتوقع من مقدمة الباحث أن الفئة المسيحية لها سابق خبرة وتجربة لتحدي هذه العوارض ، فلم يقدم الباحث بسياق هذه الخبرة والتجربة حتى تتعظ منها الفئتان وتكون من وراء ذلك أرضية مشتركة لمواجهة التحديات.

وأعتقد أن نقطة الانطلاق للحوار بين الفئتين تقوم أساساً على الظاهرة الجوهرية المعاينة من قبل الباحث وهي العلمانية . فيا ترى كيف تشخص الفئة المسلمة هذه الظاهرة التي نعايشها كتحد؟

يرى العلماء المسلمون المتتبعون لتطور الفكر الغربي (منبع العلمانية) بهدف تحقيق الحوار الحضاري ، أن ثمة صراعاً داخلياً بين الفكر الديني والفكر العلمي في تطور الفكر الغربي . تمثل هذا الصراع في ظهور العلمانية التي فرضت استبعاد معرفة الوحي* (المعرفة التنزيلية) عن العلم.

ويلاحظ على الفكر الغربي أنه فكر قائم على الصراع بين الأقطاب المتضادة . وذلك لاعتماد الفكر الغربي العلماني أساساً بواكر الفلسفة اليونانية التي ترى أن النزاع قائم بين المثالية والطبيعة ، وبين الإسمية والواقعية ، واتخذ في اللاهوت المسيحي (باعتباره جزءاً من الفكر الغربي) شكل النزاع بين الروح والجسد، وبين الإيمان والعقل(١) ، وبين الدين والدولة . ويمكن تتبع تطور الفكر الغربي من خلال فكرة التعارض هذه من خلال مساهمات أقطاب الفكر الغربي في مختلف مجالات العلوم الإنسانية(٢).

واعتمد الفكر الغربي في استبعاده لمعرفة الوحي من المنهجية العلمية البحتة إلى العوامل التالية:

١ ـ معرفة الوحي ذات طبيعة غيبية ما ورائية لا يمكن تتبع حقيقتها بالاعتماد على العقل والتجربة.

٢ ـ ينحصر الجهد العلمي (المعرفة العلمية) في إطار دراسة الواقع الحسي المعاين (المشاهد).

(*) الوحي أو المعرفة التنزيلية (Revealed Knowledge) جملة المعارف التي نزل بها الوحي من خلال الكتب السماوية أو رسالات الرسل والأنبياء سواء فيما يتعلق بعالم الغيب أو الشهادة بما في ذلك جملة القيم والأخلاق.

(١) نقل القديس توماس الإكويني مقولة القديس أوغسطين «لا تتعقل كي تؤمن بل آمن حتى تتعقل».

(٢) انظر كتابات (Comte, August) رائد الوضعية الاجتماعية ، شارل داروين في تفسير الحياة البيولوجية ، فرويد والتحليل النفسي ، ورواد التحليل الاقتصادي بدون استثناء.

٣ ـ التناقض بين الوحي والعقل وبالتالي التناقض بين العلم والدين.

ويرى المتأمل في تطور العلمانية بالفكر الغربي أنها لم تكن ترمي إلى رفض الأفكار والقيم الدينية مطلقاً ، بدليل احتضان كثير من التصورات التي يرجع منبعها أصلاً إلى الوحي مثل مفهوم الحرية والكرامة والمساواة ، كما يرى ذلك باحثنا الموقر ڤوس ، بل كل الهدف هو تقويض أسس مرجعية الكنيسة المسيحية . وهنا كان بودي لو أن الباحث يلقي بصميم التجربة للفئة المسيحية المؤمنة في فشلها للردّ وما هي خلفيات هذا الفشل؟

فما هو موقف الإسلام من هذا التحدي ؟ لا ينكر تأثر المجتمعات المسلمة بمخالب الفكر العلماني خاصة خلال فترة انحطاط هذه المجتمعات . لكن تتبع الفكر الإسلامي خلال مراحل ازدهار حضارته ، ويشمل ذلك إعادة تقويم المجتمعات المسلمة المعاصرة لتطوير كياناتها ، يُظهر أن الفكر الإسلامي قام على عملية الهضم والدمج بين الأقطاب المتعارضة على خلاف الفكر العلماني . وهذا ما يعرف في مصطلح الأنثروبولوجيا الثقافية «بالاستمداد الثقافي» (Cultural Borrowing) أو عملية التثاقف (Acculturation). ومن هنا تميزّ الفكر الإسلامي: (الوحدة في التنوع والتنوع في الوحدة).

يقول برنارد لويس (Bernard Louis) في هذا الصدد :

«إن الحضارة الإسلامية رغم تنوع أصولها لم تكن مجرد جمع آلي للثقافات القديمة بل هي بالأحرى خلق جديد ... لتكون حضارة جديدة»(١).

والسر في هذا الانصهار لمختلف الثقافات أو الحضارات في بوتقة واحدة لكنها متنوعة مرده إلى التقيد بمبدأ الوحدانية لله سبحانه وتعالى ، وثانياً إلى المبدأ الذهبي أن «لا إكراه في الدين» . ذلك أن الإيمان بالدين وتطبيق تشريعاته مسألة فردية ولها وزر المسؤولية الفردية التابعة لذلك . فحرية الاعتقاد وراء تنمية التثاقف بين الإسلام ومحيط الحضارات المحاطة به . ذلك أن مبدأ الإكراه على الاعتقاد في الدين أو غيره ، مآله :

١ ـ النفاق العقائدي (كما يشهد ذلك تاريخ الأديان والأفكار الوضعية).

---

(١) برنارد لويس : العرب في التاريخ ، ترجمة نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد ، بيروت ؛ دار العلم للملايين ١٩٥٤م، ص ١٩٢.

٢ ـ الارتداد (Renegation) حينما تحين الفرصة للمكره على معتقد.

إن نظرية الفكر الإسلامي القائمة على الجمع والتأليف واحتواء كل المتضادات ،سمّاها المفكر الإسلامي عزّت بيجوفيتش بنظرية «الوحدة ثنائية القطب» وهو ما يعرف في الفقه الإسلامي بمبدأ «الوسطية». ولتحقيق مبدأ الوسطية معرفياً ، فإن المركب الجديد من المتضادين في كيان واحد لن يتم إلا بوجود تفاعل وتزاوج.

وبمقتضى الجمع والتأليف (التآلف) بين الأقطاب المتعارضة طرح الفكر الإسلامي عن ساحته كل نزعة تجنح إلى الإفراط أو التفريط، للأخذ من الأقطاب المتعارضة. وبالتالي تنبذ الفكر الإسلامي كل التناقضات بين القضايا : الروح والجسد ، عالم الغيب وعالم الشهادة، الوحي والعقل ، الدين والعلم ، الفردية والجماعة ، الدين والدولة ، وبالتالي استوت كل هذه المفاهيم في نسق تآلفي وفق مبدأ الوسطية بدل قانون الصراع(١).

هدفي من هذا التحليل المبسط هو أن الفئتين المسيحية والمسلمة المؤمنة أمام وضعية تحدّ للفكر الغربي الذي أنتج «مسار الحداثة» لمجتمع هيمن عالمياً لا في مستوى إنتاجاته المادية والفكرية فحسب ، وإنما في قدرته على نقد الإنتاجات والعمل على تجاوز أخطائها وانحرافاتها . إلا أن نتاج العالم الغربي المهيمن عالمياً يرتكز على المعرفة الغربية التي تحدد ثوابت بنيوية أساسها :

١ ـ أن العلل التفسيرية للكون متضمنة به للوصول إلى الحقيقة دون اللجوء إلى مصادر أخرى.

٢ ـ الإنسان سيد الكون كونه أرقى الموجودات في سلسلة التطور ومن ثم فهو الأقدر على التحكم والسيطرة.

٣ ـ أن العقل هو أداة الإنسان الوحيدة لإدراك محيطه والكشف عن مجاهل الطبيعة بما فيه كيانه الإنساني . وتراكم المعلومات والمعرفة كفيلة بتوسيع رقعة المعلوم وتقليص رقعة المجهول وإذا ما تعذرت معرفته فينبغي إخراجها من دائرة الوعي الإنساني.

٤ ـ أن المجتمع الغربي هو أرقى تطور في أنماط الاجتماع البشرية ، وهذا التطور يستوعب الحياة

---

(١) تطورت في الفكر الإسلامي تيارات فكرية لم تأخذ بمبدأ الوسطية فكانت نتيجتها الحتمية الاندثار : الخوارج ، وبعض الطوائف الدينية الأخرى.

كافة . فالنظم الغربية الاقتصادية والسياسية والإدارية والفنية هي الأمثل اتباعاً ، وأن العقلانية والعلمانية هما السمتان الغالبتان على منظومة القيم الناتجة عن ذلك.

٥ ـ أن الطريق إلى الحداثة هو الطريق إلى الغرب وذلك يعني أن تتجرد المجتمعات الطامحة إلى التحديث من ميراثها القيمي وتصوراتها الثقافية والدينية والأخلاقية جملة.

فبديهي إذا كان الطرح الغربي يرتكز على هذه الثوابت ، في حين أن الفكر الإسلامي يرتكز على ثوابت متغايرة فإن النتيجة النهائية هي لا بد من إعادة صياغة مفاهيم العقلانية والحرية والفردية في نمط «مبدأ الوسطية» الذي يتنافى مع الفكر الغربي.

وأتغاضى عن صياغة مفهوم الحرية والفردية من وجهة إسلامية لضيق الوقت.

أما مظاهر التحدي التي يبديها الكاتب فيما يتعلق بالتدفقات البشرية والتي تتمثل أساساً في تدفقات الهجرة والسياحة والعولمة فأعتقد أن ظاهرة الاستمداد الثقافي لأي كيان حضاري كفيلة بأن تستوعب هذه التدفقات وفق سياق الانصهار ، بل إن هذه الظواهر الثلاثة هي القاعدة الأساسية لتحقيق التآلف حتى في صلب نمط الفكر الغربي ذاته بدليل انصهار هذه التدفقات في النمط الفكري الأمريكي (الغربي) مع كل ما يحمل ذلك من تناقضات لبعض الفئات.

وأخيراً فإن التحدي الثالث الذي ناقشه الباحث الكريم فيما يتعلق بالتعددية وما ينجم عنها من صياغة جديدة لمفهوم المواطنة ، وإيجاد المفاهيم المشتركة للفئتين ضمن احترام التعددية فأوافق الباحث على أفكاره بتحفظ فيما يتعلق ببعض القضايا أو المشكلات . ذلك أن بعض المشكلات ، كما هو الشأن مع الزيجات المختلطة والتحول الديني فيها الكثير من التعقيدات المتداخلة التي يصعُب حلّها.

كلمة

صاحب السمو الملكي الأمير الحسن ولي العهد المعظم

في الجلسة الختامية

٢٣ رجب ١٤١٩هـ

الموافق ١٢/١١/١٩٩٨م

أودّ القول إن ما أبديتموه جميعاً من قلق واهتمام فيما تفضلتم به من أقوال وفي هذا الوقت الحرج فعلاً في منطقة الشرق الأوسط ناجم عن عوامل متعددة . فالظرف دقيق من حيث الركود السياسي ، ودقيق من حيث احتمال اندلاع العنف . والواقع أنني لا أريد أن أخفي عليكم أن الذي حال بيني وبين حضور مداولاتكم ليس فقط ما يشدّني للنظر غرباً تجاه الفلسطينيين، وهويتهم، وآمالهم، ومستقبلهم، ومحاولة تعزيز تلك الهوية، بل كان هناك أيضاً شاغل آخر لي خلال الساعات الثماني والأربعين الماضية وهو النظر شرقاً بصورة خاصة واحتمال اندلاع العنف في الإطار العراقي . وفي هذا الوضع الغامض وانعدام اليقين لدينا ثوابت معينة نعتمد عليها ونستمد منها الأمل ، ومن هذا الأمل الشعور بالامتنان لتفضلكم بالاستفسار عن صحة جلالة الملك الحسين ، وشخص جلالة الملك الحسين الذي يواصل جهوده في سبيل السلام بما أوتي من قوة وشجاعة شخصية ظهرت واضحة على شاشات التلفزيون وشاهدها كثير منا قبل أيام قليلة فقط في البيت الأبيض . ولم يقتصر حديث جلالته على الاهتمام بالسلام بل شمل أيضاً الحديث عما يوصف « باللعبة الكبرى » هذا إذا كانت لعبة حقاً . والحق أنه يجب التوقف عن التصرف كأطفال ويجب الشروع في التفكير في مستقبل أبناء أبنائنا .

أعتقد أن المشاركة في مداولات المؤمنين والتفكير في المستقبل ومستقبل الأجيال من المؤمنين لا يمثل صرف الانتباه أو الهروب من بشاعة العالم الذي نعيش فيه . والذي أراه فعلاً أن تعزيز المساواة بين الأديان في شتى الأقطار والمجتمعات ، المسلم منها والمسيحي ، لا يمكن أن يتحقق إلا بتعزيز قواعد أخلاقية مشتركة ودستور مشترك من الالتزامات أيضاً .

أعتذر للدكتور جيرهارد فوس لأن عرضه لبحثه قد فاتني . لكنني أتفق معه في قوله إنه عندما ترفع أصابعك الخمسة حول الحقيقة القائلة إن هذه الأصابع الخمسة أو المبادىء الخمسة يمكن أن تتحول إلى قبضة للصراع أو أن بإمكانها أن تتحول في حالة فتحها وبسطها إلى يد ممتدة للمصافحة ، وأتمنّى أن تكون المصافحة من النوع الذي يكون أكثر من مجرد لياقة وأصول بروتوكولية وفرصة لالتقاط الصور . إننا نريدها مصافحة تمتد عبر القرن القادم والألفية المقبلة .

إننا نتطلع إلى زيارة رومان هيرتزوغ خلال الأيام القليلة القادمة ، كما أود القول إن ما تعلمته من لغة ألمانيّة كان نتيجة الدراسات الاستشراقية التقليدية التي قام بها الرحالون الهولنديون أو الدنماركيون أو السويسريون أو التشيكيون ، إذا أشرنا إلى موزيل على سبيل المثال ، أو النمساويون وكثيرون غيرهم .

وأريد التركيز معكم جميعاً هنا على هذا التقليد والتراث من حيث أهميته في التكامل إن لم يكن في الاندماج والهضم . وقد حاولت في هذه السلسلة من المؤتمرات واللقاءات التي حضرها العديد من الأصدقاء الموجودين الآن هنا توجيه الاهتمام إلى التعددية من حيث الاعتماد المتبادل والتعرّف من خلال ذلك على هوية الآخر وفي الوقت عينه العمل مع هذا الآخر على أساس من الاحترام المتبادل . وآمل فعلاً أن بعض ما أوردت من إشارات إلى التكامل لا تعني الاندماج والذوبان . ويمكن عند النظر في أحوال المسلمين في أوروبا التقدم بتوصيات تسهم في التوصل إلى فهم أفضل في محاولة الاستغراب بمعنى دراسة الغرب . ولدى تحولنا من الاستشراق إلى هذه المنطقة استعداداً لقدوم الألفية الثالثة فإن عدد السائحين القادمين الى بيت لحم هو الذي يجب أن نأخذه في الحسبان ، أو الأمل بأن هذا اللقاء الإنساني للناس معاً يمكن أن يؤدي إلى حوار يعني التعاون والمشاركة .

أرغب في أن أشير إلى مؤتمر عقد مؤخراً في كلية سانت أنطوني بجامعة أكسفورد ركّز بشكل خاص على مفهوم الاستغراب هذا . ومرة أخرى نعود إلى أنفسنا أو نحن والآخر ، ليس بمعنى وضع الإسلام في مواجهة أوروبا والإسلام مقابل الغرب والغرب قبالة الآخرين ، بل بمعنى مشاركة في خطاب مشترك يقوم على المرجعيات التي ذكرناها بدقة ومعقولية . إننا نعتقد في اللغة العربية أن عبارة استيعاب الأفكار تؤدي إلى التفاهم . وبناء على ذلك أقترح أن نهتم بالمدى الذي يمكن أن تطاله آثار مناقشاتنا وربما تتجاوزه .

وأعتقد أن مكتبات كل مؤسسة ومنظمة لدينا مليئة بالمؤلفات الجليلة ذات المستوى العلمي الرفيع. وتتمثل المسألة هنا في كيفية تمكين القيم الموجودة في هذه المؤلفات من التغلغل في وسائل الإعلام وما تحويه هذه الأخيرة من خطاب سياسي مرعب .

كما أنني أقدّر مشاركة ممثل عن المجتمع العربي في هذا اللقاء . فعندما نتحدث سواء عن البلقان أو عن الشرق الأوسط ، فإننا نتحدث عن أهوال الصراع العرقي والطائفي . والذي يجب أن نهدف إليه هو تعزيز البعد الإنساني والأولويات الإنسانية في علاقاتنا .

أرجو أن تسمحوا لي بأن أشير إلى حدث جاء مؤخراً في أعقاب أحداث سيربرنيتشا عندما قمت بزيارة موستار وتولزا . وأستميحكم عذراً هنا إذا كررت القصة التي لن أنساها، فقد جاء مقعدي بين كرواتي وإسرائيلي كان بدوره يجلس إلى جانب بوسني مسلم . ولم يتحدث الكرواتي إلى الإسرائيلي، كما لم يتحدث الإسرائيلي إلى الكرواتي . والواقع أن المسلم البوسني وجد من الصعب

عليه التحدث مع الإسرائيلي – على الأقل أمام كاميرات التصوير . وهنا يمكن الإشارة إلى دور جماعات الضغط (اللوبي) الإسرائيلية وكذلك دور (اللوبي) اليوناني وقوة التيارات السياسية في البلقان . والواقع أن هناك تيارات قوية تؤثر في السياسة في منطقة شرقي البحر المتوسط أيضاً .

ولنعد الآن إلى مسألة القيم . فقد اتصل أصدقائي الأتراك بالإسرائيليين وقالوا إن باستطاعتنا الانضمام إلى هذه البعثة . وكانت مهمة تلك البعثة نقل الأغذية إلى المسلمين في البوسنة . ولذلك قام الإسرائيليون بإحالة الأتراك إليّ كما قام المسيحي بإحالة المسلم البوسني إليّ . واتصل بنا اليونانيون وقالوا إن من بواعث الإعجاب أن يوجد بينكم من يعرفون ويفهمون شيئاً عن التعددية .

وأتحدث في هذا المقام عن الحساسيات وعن المشكلات غير المحلولة . وينصبّ قولي هنا على محاولة فعل شيء إزاء هذه المشكلات وليس الاكتفاء بالتحدث عنها . إنني أتكلم هنا مع معرفتي بأنني أستثير بضعة أشخاص منكم على الأقل لمجرد تطرقي لهذه الأشياء . لكن النقطة الأساسية هي أنني عندما أتهم بأنني أحد المفكرين ، وكأن اعتبار المرء مفكراً وسط هذه الدوامة من العنف الخالي من أي تفكير هو نوع من المرض أو الآفات ، فإنني أرى ، عندما أفكّر فيكم جميعاً ، أن هذا الاتهام يجب أن يُعتبر نوعاً من التكريم أو المجاملة ، وعلينا جميعاً أن نفكّر عندما يقف مراسل شبكة CNN ليغطي أخبار سيراييفو وبغداد المتعلقة بأطنان الأسلحة أو بالاستعداد للحرب أو بتصريحات السياسيين :مَنْ ذا الذي يفكر بالمسيحيين والمسلمين واليهود وبني الإنسان وبالبعد الإنساني ؟

وكانت أكرم الملاحظات تلك التي تلقيتها عام ١٩٩٠م من عالم آثار قال فيها « تذكر أو تذكروا الدَين الذي في أعناقنا لبلاد ما بين النهرين » . هذه ملاحظة تعكس الحضارة والأخلاقيات الحضارية .

لا أريد أن أنصّب من نفسي قاضياً يحكم على قولك إن الأصولية في جوهرها انعكاس لمدرسة العزلة . إنها انعكاس لحالات جعل المشكلات جزءاً من الذات . وبالنسبة لي فإن كلمة « أصولية » تسمية خاطئة . إنها ليست تعريفاً صحيحاً لما تعنيه الكلمة من ناحية سياسية . وأريد أن أوضح فعلاً أنه في وقت الخواء والفراغ الذي ينطوي على غياب الاعتدال والمركزية ، فإننا نتحول إلى الرموز والشعارات .

نحن هنا لنحاول التعامل مع مشكلاتنا ومعالجتها لكن عالمنا يؤمن بالخيمياء أكثر مما يؤمن بالعلاقات الإنسانية ولا أظن أن أياً منا يدعي بامتلاكه أية حلول سحرية مبنية على الخيمياء .

ويطيب لي أن أشكركم جميعاً على مشاركتكم . ومن ناحية عملية ، أرجو أن أتوجه بالخطاب إلى الذين ركزوا منكم على موضوع المواطنة في المجتمع الحديث في بحث الدكتور أحمد صدقي الدجاني . لكنني أعتقد أنه مفهوم لا بد من تطويره التدريجي ابتداءً من المهام المدنية إلى المهام الإنسانية. وقد استهلت أوروبا الغربية وأوروبا الشرقية العلاقات استناداً إلى برنامج عنوانه المهام الدينية ومركزه في مدينة براغ حاليا مع مشاركة أمريكية ومشاركة عربية كاملة . وقد استضفنا في هذا البلد لقاءً عنوانه « المهام المدنية في العالم العربي » . وكان سؤالي من ناحية أساسية هو : لماذا علينا التوقف عند الحقوق المدنية وحقوق الإنسان بمعناها الضيق ؟ لماذا لا نسير قدماً نحو الحقوق الثقافية والدينية والقواعد الأخلاقية والالتزامات بالمعنى الأوسع والتي حاولنا تعريفها في دراسة قد تكون معروفة؟ وعلى سبيل المثال ، هناك التقرير الذي أصدرته اللجنة المستقلة حول القضايا الإنسانية والمقدم إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة . وأود أن أشير إلى أننا في هذه السنة سنة ذكرى إعلان حقوق الإنسان ، قدمنا مائة وستين توصية حول : الإنسان في مواجهة الإنسان ، واللاجئين ، والنازحين وأطفال الشوارع، وضحايا الحرب، وضحايا مواجهة الإنسان مع الطبيعة . فقد أوجدت كوارث أمريكا الوسطى مثلاً ردة فعل إنسانية . ويسرني القول إن مائة وعشرين توصية قد قُبلت من بين المائة والستين، بشكل أو بآخر ، من جانب المنظمات الدولية بما في ذلك تقرير البعد الإنساني المتعلق ببرنامج الأمم المتحدة للتنمية .

وهذا إسهام عملي في مفهوم المواطنة المشتركة . والمواطنة المشتركة ليست كلعبة الصفر بل هناك أمر مشترك بيننا جميعاً .

كما أرغب في أن أشكر الدكتور نشابة على إشارته إلى التحديات الحالية وما تنطوي عليه عملياً وأقول بكل تقدير واحترام إن إشارته إلى المستغربين (المهتمين بدراسة الغرب) لا بد من التحقق منها في البداية . وبالنسبة للذين درسوا منا في الغرب فإننا عندما نحاول الحكم على الأمور ، نحن ورفاقنا في الإيمان ، التقليديون والأخلاقيون والمحافظون ، فإننا نُتهم جميعاً بأننا خرجنا عن نطاق بيئتنا المباشرة وكأن في ذلك عيب أو خطأ ولا أدري إن كان هذا الاتهام نابعاً من الحسد أم من بعض الإحساس بالغدر .

وأريد أن أشير إلى أن ٦٠٪ من الأردنيين الذين يقفون خارج أبواب السفارة الأمريكية اليوم طالبين تأشيرات سفر لا يعودون إلى الأردن . ولست فخوراً بذلك غير أنني أعتقد أنه ينطبق على بلدان

عديدة في العالم . وإذا وضعنا النخبة جانباً فإن هجرة المواهب والأمل في المستقبل يحتمان علينا محاولة إغرائهم بالرجوع ليس على أساس المواهب والجدارة فقط ولا بناءً على دعوة من مجتمع يتّسم بالنزاهة والجاذبية فحسب ، بل بتطوير علاقة مع شبابنا يمكن أن تحافظ على مشاعرهم . وأعود فأقول إن هذه ليست «لعبة الصفر» عند التحدث عن ما حققه المستشرقون من تقدم وما يقوم به المستغربون من احتجاجات دفاعية . أما أنا شخصياً فأحترم حضارة الآخر لكنني أعتقد أن هذه الفكرة القائمة على حضارتي وحضارتك لا تخفي الحقيقة القائلة بضرورة التحدث ضمن إطار إنسانيتنا المشتركة عن الحضارة العالمية أو عن فشلها .

لقد كنت مؤخراً في اليونان وقرأت كتاباً عنوانه « من أفلاطون إلى حلف الناتو» (حلف شمال الأطلسي) إذ يعترف المؤلف بحضارة أفلاطون أو بعبارة أدق حضارة الرواقيين ، وربما يكون هناك رواقيون في هذه القاعدة ، لكن مؤلف الكتاب المذكور يركّز على حلف شمال الأطلسي (الناتو) والحضارات الغربية من حيث عصر ما بعد التصنيع .

ومرة أخرى ، كيف نركّز على تجربتنا الإنسانية المشتركة ؟ أتفق مع المتروبوليت جورج خضر اتفاقاً تاماً على أن المسألة ليست مسألة «دار الحق» أو «دار الإسلام» بل إن القضية قضية بيت يأخذ الفقر بخناقه وبيت يرفل في حلل الثراء . إنني أتحدث عن تكاليف فاتورة الكهرباء عندما أحاول ربط نفسي مع الإنترنت في الأردن أو في إفريقيا مقابل تكلفة الربط مع الإنترنت في الولايات المتحدة . إن المعرفة قوة والثقافة كرامة إنسانية : هذان هما الوفرة والخير العميم اللذين أتحدث عنهما .

أشكر الأستاذ محمد السماك على تصوره للمسلمين والمسيحيين في بحثه عن « نظرة المسلم إلى المسيحي (الأسس والواقع المعاصر)» ، وأعبر عن اتفاقي معه على أن المطلوب هو وضع أُسس ومبادىء. وأرجو أن أشير تحديداً إلى البرنامج الأوربي الموسوم بـ (برنامج إرازموس) . وليس هناك من أو ما يمثل إرازموس بالمعنى الدقيق في هذا الجمع . غير أن برنامج إرازموس ركز على أهمية تعلّم منهاج الآخر التعليمي وكتبه المدرسية . فالدانمركي يدرس التاريخ الألماني من وجهة نظر ألمانية والعكس بالعكس .

يخيل إلي أن الوقت قد حان لنا لنتحدث مرة أخرى عن التفوّق أو تجاوز المدى وآمل أن أكون عاملاً على بذر الأفكار التي يمكن تبنيها إذا أريد لكرم شامبيزي الامتداد إلى اللقاء التالي . لا أدري ماذا قررتم بصدد اللقاء القادم ، لكنني أرى أن هذا الوفاق التحليلي للمواقف والأوضاع يجب أن

ينعكس في لقائنا القادم هذا . وعلينا أن نضع النص ضمن إطار التنفيذ العملي .

أصاب بالارتباك إذا تحدث أحد أولئك المراسلين من بغداد ، ونأمل أن لا يكون هناك في سوريا ما يمكن التحدث عنه، لكننا لا نرحب أن يعمد أحد المراسلين الذين يتخذون من القدس قاعدة لهم إلى إذاعة بيان سياسي رسمي ذات مرة ليقول إن المسيحيين في فلسطين التاريخية يقلون الآن عن ١٪ من السكان .

وهناك الآن مسيحيون من القدس في سيدني بأستراليا أكثر عدداً من المسيحيين في القدس نفسها . ولكن لن يكون من قبيل إحداث اضطراب في التوازن إذا كان هذا مدار اهتمام محرريهم وناشريهم ورؤسائهم أكثر من الاضطراب الذي يحدثه الإبلاغ عن أهوال سفك الدماء في الشوارع، لكنه على أي حال إشارة وربما إشارة تثقيفية إلى سياق ما يحدث هذه الأيام .

أستطيع الاستمرار في الحديث وسيكون ذلك تعبيراً عن الشعور بالذنب لأنني لم استطع المشاركة في هذا الحوار القيم . غير أنني أرغب في اختتام كلمتي في الإشارة إلى الأستاذ جريجوريوس زياكاس ، وملاحظته المؤثرة إلى حدّ ما والتي مضمونها أن بطريركية الشرق العريقة موجودة ضمن أراضي الإسلام . إنها تقطن في دار الإسلام . وآمل أن تزدهر هذه البطريركية الموغلة في القدم في الأرض الإسلامية . كما آمل أيضاً أن يتمكن الإسلام من الازدهار في ظل مشاطرة وثراء ضمن نطاق التنوع وضمن نطاق التعددية وضمن إطار المجادلة بالتي هي أحسن .

أشكركم جميعاً وأرجو الله أن يسبغ عليكم نعمه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة

الأستاذ سبيروس نيـڤماتيكوس

نيابة عن وزير الخارجية اليوناني

في الجلسة الختامية

٢٣ رجب ١٤١٩هـ

الموافق ١٢/١١/١٩٩٨م

إلى نيافة المطران داماسكينوس متروبوليت سويسرا ،

صاحب النيافة :

أتقدم إليكم بأحر الشكر للدعوة التي تلطفتم بتوجيهها إلي لحضور اللقاء المسيحي الإسلامي الذي سيعقد في عمّان بالأردن .

إن الحوار الديني الذي وضعتم أساسه بالمشاركة مع صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال ولي عهد الأردن منذ اثنتي عشرة سنة خلت ، يشكّل حدثاً بارزاً في العلاقات بين الأديان وكذلك على الصعيد السياسي .

كما أن التعاون الوثيق الملموس بين المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية والمركز الأرثوذكسي للبطريركية المسكونية في شامبيزي بسويسرا ، ذلك التعاون الذي أوليته دعمي عندما كنت وزيراً للتربية والتعليم وللشؤون الدينية في الماضي ، يعزز التواصل الصريح والسلمي بين المسلمين والمسيحيين على شتى الصعد .

إن وقتنا الراهن يدعو بإلحاح إلى هذا النوع من الاتصال القائم على احترام القيم الإنسانية كما هي مشرّعة في هذين الدينين .

وكما تعلمون ، فقد تقدمت منذ وقت قريب، عندما كنت أترأس لجنة وزراء المجلس الأوروبي ، باقتراح لتعزيز وتعميق الحوار بين المسيحية وغيرها من الأديان الكبرى . وآمل أن تكون لهذه المبادرة السياسية جدواها في المستقبل القريب وأن تكون بمثابة رديف يدعم مساعيكم .

هذا وأود أيضاً أن أشير إلى نشر النسخة اليونانية من كتاب صاحب السمو الملكي ولي عهد الأردن بعنوان « المسيحية في العالم العربي » الذي يشكّل مع كتابكم « السبب الداعي للحوار» (Reason for Dialogue) ، مرجعاً هاماً يعكس مسار العلاقات بين الأديان وإمكانيات التفاهم المتبادل التي يوفّرها الدينان .

وآمل أن يزور سمو ولي عهد الأردن اليونان في وقت قريب لحضور مراسم إهداء كتابه إلى الجمهور اليوناني وهو الكتاب الذي قمتم بكتابة مقدمته .

كما أرجو نيافتكم نقل مشاعري التقديرية لصاحب السمو الملكي ولي العهد وتمنياتي بالشفاء التام العاجل لجلالة أخيه الملك الحسين . إنني أدرك أن أمام سموه في الوقت الحاضر مهمات صعبة ،

لكن الأهمية التي يعلقها سمو الأمير على الحوار بين الأديان تبقى كما هي ، وبذلك تتضح أهميتها .

وختاماً تفضلوا نيافتكم بقبول خالص تحياتي وتمنياتي ، كما أرجو التلطف بنقل وافر التقدير وأطيب التمنيات للمشاركين الأفاضل في الحوار .

كلمة

نياقة المتروبوليت داماسكينوس باباندريو

في الجلسة الختامية

٢٣ رجب ١٤١٩هـ

الموافق ١٢/١١/١٩٩٨م

أصحاب المعالي والسعادة ،

سيداتي وسادتي ،

مرة أخرى وبروح من التفاهم المتبادل والتعاون الصريح يصل أحد اللقاءات الإسلامية المسيحية إلى نهايته ، ذلكَ اللقاء الذي ركز أبحاثه ومداولاته على موضوع شديد التعقيد بالغ الأهمية ، ألا وهو التعايش السلمي بين المسيحيين والمسلمين في المجتمع التعددي للدولة الحديثة . وقد أضيفت إلى أوراق البحث الملهمة والتعليقات الناقدة مناقشات رفيعة المستوى طرحت الملامح البارزة لهذا الموضوع الصعب ليس فقط من حيث ماضيه التاريخي بل كذلك من حيث الحقائق المعاصرة . وقد اشتركت جميع أوراق البحث والمداخلات في منظور واحد يجمع بينها وهو تسليط الضوء على التعاليم الأساسية للدينين ، وهو أمر ضروري لتنقية الذاكرة التاريخية من جديد ولوضع شروط مسبقة جديدة للتعايش السلمي داخل الدولة الحديثة مع المساواة أمام القانون واحترام خصوصية التقاليد الدينية لكل من الإسلام والمسيحية .

إننا نعلم جميعاً أن انتباهنا كان خلال هذه الأيام القليلة موجهاً نحو هذا الاتجاه وحاولنا معاً البحث عن جميع مجالات مسؤوليتنا المشتركة من أجل التنفيذ الفوري والفاعل قدر الإمكان للقيم المشتركة بين تراثينا الدينيين لصالح الإنسانية والمجتمع والعالم عامة . وازددنا أثناء لقائنا الفكري هذا إدراكاً لحقيقة أن الدين يتحمل قسطه الخاص به من المسؤولية عن الظواهر المأساوية للتعصب السقيم أو ضيق الأفق الديني ضمن إطار التقدم التاريخي للشعوب ، وأن على الدين واجبه أيضًا في الكفاح لمعالجة أشكال التحامل المؤسسي أو الاجتماعي التي كانت تشوب الماضي التاريخي ، تلك الأشكال من التحامل التي ما زالت حتى الآن تختزن صورة سلبية لأتباع الديانات الأخرى في مجتمعات الدول المسيحية والإسلامية على حد سواء .

ومن الواضح أن البحوث المقدمة وفرت قاعدة نظرية متناسقة في العقيدتين من أجل تناول القضية ، بينما أدت المداخلات الناقدة والمناقشات إلى ربط مبادىء هذه القاعدة النظرية بالاحتياجات المعاصرة لأتباع الديانات الأخرى ضمن نطاق مجتمع دولة بعينها ، الأمر الذي حافظ بصورة تقليدية في الأعمّ الأغلب على التراث الديني إسلامياً كان أم مسيحيًا . وتنظر تعاليم كل من الدينين باحترام جلي إلى المؤمنين من أتباع الدين الآخر كما تعتبرعبادتهم لله ممارسة مقدسة ، حتى وإن مالت للدفاع عن تفوّق وتميّز علاقتها الخاصة مع كيفية التعبير عن مشيئة الله في الدنيا .

وبهذا المعنى فإن تعاليم ديننا تشتمل على جميع العناصر التي يجب علينا أن نرى من خلالها في شخص مواطننا من أتباع الدين الآخر صورة أخٍ لنا بدلاً من صورة عدو ٠ ومع ذلك ، فقد أشير أثناء المناقشات باهتمام خاص إلى أن تعاليم الإنجيل والقرآن لم تحل دون قيام الخصومة الدينية بالتعبير عن نفسها بأعمال العنف بين الجانبين التي مارسها كل منهما نحو أتباع الدين الآخر الموجود ضمن نطاق مجتمعه ٠ غير أن خلافات بل وصدامات تاريخية من هذا القبيل تعود إلى تاريخ العلاقة بين المؤمنين من كلا الدينين ، كما تم تفسيرها أيضًا من خلال الظروف التاريخية السائدة في كل حقبة . بيد أنها لا تستطيع ، ويجب أن لا يسمح لها ، بأن ترتهن دائمًا المحتوى الجوهري لتعاليم العقيدتين الداعية إلى التعايش السلمي بين المؤمنين بهما ٠

أما الذي تمخض أيضًا عن البحوث والمناقشات فكان الإدراك الهام والاعتراف بالحقيقة القائلة إن التعايش السلمي بين المؤمنين واحترام حقوقهم الإنسانية أمور لا يمكن تغطيتها بصورة كاملة بناء على الاعتراف بتعاليم الدينين فقط ، لأن احترام حقوق أتباع الأديان الأخرى في مجتمع إسلامي أو مسيحي تقرره بدرجات متفاوتة حساسية سلطة الدولة ومراعاتها لمشاعر الآخرين الدينية ، التي تعبّر (سلطة الدولة) عن إرادتها في حماية الحرية الدينية والمساواة أمام القانون لجميع المواطنين عن طريق وضع نصوص واضحة محددة حول ذلك في دستور الدولة وقوانينها ٠ وبهذه الروح فقد أشير بوضوح ليس إلى تعزيز المبادىء الأساسية للدينين فحسب ، مما يبرز الأخوّة بين المؤمنين منا ، بل أيضًا إلى واجبنا المشترك للإسهام بذلك بجميع الوسائل المتاحة أمامنا ، بحيث يدرك ممثلو سلطات الدولة ويرون في اقتراحاتنا الرامية إلى إيجاد ضمانات قانونية من أجل تحقيق المساواة بين جميع المواطنين أمام القانون ، بغض النظر عن معتقداتهم الدينية ، الأساس السليم من أجل إقامة صرح حوار بناء وتعاون خلاق بين جميع المواطنين خدمة لأفضل مصالح الدولة ٠

والحق ، أن كلا الدينين يرغب في هذا الحوار ، بينما لا يوجد لدى الدولة سبب لرفض الاقتراحات التي توسع من نطاق قواها الخلاقة وتقوي أواصر تماسكها الاجتماعي ٠ وقد أدركت الدولة الحديثة الآن أن العقيدة الدينية ليست بالعنصر الخامل أو القليل الشأن في السير قدمًا نحو التلاحم الاجتماعي لمواطنيها ، لكنها مضطرة في الوقت عينه إلى التخلص مما يثقل الماضي التاريخي من أهواء مغرضة بحيث يتم تحقيق التوافق الجوهري الضروري بين الأقوال النظرية والممارسة الإدارية فيما تقوم به آلة الدولة من مهام ووظائف ٠ إن مقترحاتنا حول الموضوع المعقد الذي يتناوله هذا الحوار مقترحات

بسيطة ويمكن تلخيصها بإيجاز وإحكام في التوصيتين التاليتين :

أولاً : أن يقوم دينانا باستمرار بعرض تعاليمهما على المؤمنين بكل الوسائل المتاحة وذلك فيما يتعلق بالاحترام الواجب إظهاره نحو أتباع الدين الآخر مسيحيين أو مسلمين ضمن بنيتهم الاجتماعية ، وأن يستفيدا إلى أبعد الحدود من هذا الوضع بحيث يعملان بطريقة إيجابية على تفعيل سلطة الدولة من خلال سن القوانين حتى لا تقوم الدولة بإشرافها على العلاقات الدينية بأدوار لا علاقة لها بمهمتها الأساسية وتضر بمصالحها .

ثانياً : أن لا يتردد ممثلو سلطة الدولة في السير قدمًا في توفير الحماية القانونية التي تحتاج إليها الحرية الدينية الضرورية ، مما يشكّل المتطلب الأساسي للمساواة أمام القانون ، ليس لأن هذا التزام واجب على سلطة الدولة فحسب ، بل لأنه يسهم أيضًا في إيجاد علاقة سليمة بين الدولة والمواطنين في عالم سريع التغير .

هاتان التوصيتان بسيطتان في صياغتهما ، لكنهما تؤديان في حال تنفيذهما إلى نتائج فورية ذات شأن في الحفاظ على المساواة أمام القانون لجميع مواطني الدولة، لأنهما توسعان من نطاق التعاون بين الدينين سواء في ضمان حماية المواطنين الدينية أم في تحقيق إسهام فوري في تعزيز التلاحم الاجتماعي . إن البذرة متوفرة ، أما ما يتبقى فهو زرعها لعلها تؤتي ثمارها في جميع مجتمعات الدول وتأتي بحصاد وفير .

لا شك أنه لا يمكن قبول توصياتنا قبولاً مباشراً أوكليًا من جانب سلطات الدولة في الدول كافة، إذ توجد جماعات مختلطة من مواطنين مسيحيين ومسلمين ، لأن قبولها ينطوي على عملية تستغرق وقتاً طويلاً في الإصلاح الدستوري أو سن القوانين التي تنظم ذلك ، مما يفترض مقدماً الإعداد المناسب للرأي العام من أجل القبول بضرورتها . بيد أن المشكلة لا تكمن في طول الوقت اللازم للعملية بقدر ما تكمن في التعبير عن إرادة سلطة الدولة في إطلاق العملية ، الأمر الذي يسهم بدرجة كبيرة في التخلص من تحفظات المجتمع إزاء حقوق أتباع الأديان الأخرى ضمن نطاق أي مجتمع مسيحي أو إسلامي .

لذلك أشعر بوجود المزيد من الأسباب التي تحملني على تقديم خالص الشكر والامتنان لصاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال نائب جلالة الملك وولي العهد على دعمه الملهم والسخي المتواصل

لإمكانيات حوارنا الديني في هذا اللقاء أيضاً ، وأن أعبر باسم الجميع عن رغبتنا في أن يتكرم بنقل أخلص وأعمق تمنياتنا بالشفاء العاجل التام لجلالة الملك الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية وأن يسترد بصورة تامة صحته الغالية حتي يواصل لسنوات طويلة قادمة إن شاء الله تجسيده لما يقوم به من جهود تفيض بالصدق والإخلاص كصانع سلام في عالمنا المضطرب وفي مملكته في هذا الأردن المضياف ، وهذه هي الرؤية السامية التي تظل باستمرار نصب أعيننا في لقائنا وحوارنا .

كما أتقدم باسمنا جميعاً بتقديم جزيل الشكر والامتنان لصاحب القداسة العظمى البطريرك بارثولوميوس على رسالته الملهمة الحافلة بالآمال والتوقعات الخيّرة لحوارنا الديني ، وكذلك لصاحب المعالي وزير الخارجية اليونانية المشارك والصديق العزيز السيد جورج باباندريو لما احتوته رسالته من عبارات مشجعة ولتفضله بدعوة اللقاء القادم للانعقاد في أثينا ، وهي دعوة أحلتها للدراسة من جانب لجنة التنسيق . كما أود أن أعبر عن الامتنان القلبي لغبطة البطريرك ذيوذورس بطريرك القدس الذي انعقد لقاؤنا ضمن نطاق سلطته الدينية وحظي بمباركته .

والآن أتوجه بالشكر والعرفان لصديقنا العزيز معالي رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) الدكتور ناصر الدين الأسد الذي عكس بسعة أفقه وكرم ضيافته مسار عبارات المواطنة لصالح « الآخر » من الناحية الدينية داخل نطاق هذا الحوار الأخوي . ولا بد لي من الاعتراف بأن شخصيته وإسهاماته قد تركت بصماته على مسير حوارنا الحالي . هذا وتغمرني مشاعر مماثلة تجاه العامل النشط الذي لا تفتر له همة والمعبّر و المخلص عن مفهوم الحوار ، صديقنا العزيز فاروق جرار الذي يتولى بالرعاية والعناية بما أوتي من حكمة فائقة وما قيض له من مساعدين أكفياء ، كل حاجة ومطلب مهماً كان نوعه حتى قبل التعبير عنه .

كما أعبر عن الشكر لجميع المتحدثين والمناقشين والمساهمين ، والممثلين المتميزين للدينين الذين تابعوا وواصلوا بحماس منقطع النظير واهتمام بالغ تقدمنا المشترك في تتبع النواحي الهامة من موضوعنا . ولا أنسى أيضاً من تعاونوا معنا داخل حجرات الترجمة من جنود مجهولين سهلوا مهمة التفاهم والفهم الآنيّ المتزامن لما صدر من تعابير جليلة عن الإيمان والأمل في إيجاد عالم يسوده السلام مع الحرية ، والعدالة الاجتماعية والمساواة والأخوّة وحماية حقوق الإنسان .

كلمة

معالي الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد

في الجلسة الختامية

٢٣ رجب ١٤١٩هـ

الموافق ١٢/١١/١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وإخوته أنبياء الله ورسله ، لا نفرق بين أحد منهم أجمعين ، وبعد ،

صاحب النيافة الصديق العزيز المتروبوليت داماسكينوس ،

أيها المشاركون الأفاضل من الجانبين عن يمين وعن شمال ومن أمام ،

أحييكم تحية الإخوة والمودة الصافية والسعادة بلقائكم ، وكنت أتمنى لو أننا الآن نستقبلكم بدل أن نقول كلمة الختام في وداعكم.

أيها الإخوة ، أنتم جميعاً أدركتم بوضوح أن صاحب السمو الملكي الأمير الحسن ، نائب جلالة الملك ، ولي العهد المعظم ، والرئيس الأعلى لهذا المجمع ، قد حرص أشد الحرص ، على أن يضرب لكم المثل بأنه ، وهو قمة الهرم نائباً عن جلالة الملك ، وباسمه الشخصي ، مع الحكومة الأردنية ، مع الشعب الأردني ، من خلال أجهزة الإعلام المختلفة التي حرصت على أن تنقل اجتماعاتكم ، يؤيد هذه اللقاءات . وهذا دليل واضح على سياسة جلالة الملك وسياسة سمو نائبه وولي عهده الأمين ، هذه السياسة القائمة على الاعتدال والوسطية ، والحوار ، والرغبة في الاعتراف المتبادل ، والعمل المشترك ، وإشاعة السلام العالمي بين الشعوب . هذا السلام القائم على العدل وعلى التفاهم الصحيح وعلى نفي العدوان ، واغتصاب الأرض والاعتداء على البشر . ثم إنكم قد رأيتم من أمثلة حرص سموه ، حفظه الله ، أنه كرّمنا بدعوتنا إلى الغداء في معيته ، بالرغم من أن الظروف العاتية والمسؤوليات الكبيرة لم تسمح لسموه بالحضور ، فقد أناب عنه صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد . وعدم حضور سموه لا ينفي الرمز من التكريم ، لأنه جاء بنفسه هنا إليكم أمس بين موعدين ملزمين ، اضطر أن يخطف نفسه خطفاً بين هذين الموعدين من أجل أن يراكم وأن يتحدث إليكم . هذه كلها دلائل على أننا نقبل على الحوار بإرادة صافية وبنية مؤكدة تدعونا إلى أن نثبت هذه المعاني التي دارت في خلال لقاءاتكم.

بعد كلمة نيافة المتروبوليت ، أحس أن مجال القول أمامي ضيق ولذلك سأختصر ، وهي كلمة في جميع الأحوال احتفالية ، ختامية ، لا تحتمل التطويل.

أحب أولاً أن أرفع باسمكم جميعاً ، بالإضافة إلى البرقية التي سترسل إلى كلي القداسة البطريرك بارثولوميوس الأول ، تعبيراً شفهياً صادراً من القلب عن الشكر لقداسته ، وكنا قد التقينا به في اجتماع سابق في استانبول ، واستمعنا إلى حديثه الحر المتفتح ، ودعانا إلى مقرّه أيضاً واستمعنا إلى أحاديث

متعددة ، أحاديث شخصية وجانبية وإلى كلمة رسمية منه . فكان في كل ذلك مثل واضح على عناية قداسته وعناية الأرثوذكس جميعاً من خلاله بتنمية هذا الحوار وتأكيده . ولذلك أرجو من نيافة المتروبوليت داماسكينوس أن يرفع شكراً خاصاً بالإضافة إلى البرقية الرسمية ، وفرق بين المشاعر الشخصية الخاصة وبين التعبير الرسمي في هذه الحالات.

أيضاً لا بد لنا جميعاً من أن نشكر وزير الخارجية المشارك ، السيد جورج باباندريو على رسالته التي وجهها إلى نيافة المتروبوليت داماسكينوس والتي كان يخاطبنا فيها ، وهي أيضاً تأكيد لروح كلي القداسة في دعم هذا الحوار . ولذلك نعتز جميعاً بأننا كلنا اتفقنا على وجوب الاستمرار في هذا الحوار. هذه الرسالة التي قرأها مستشار معاليه الأستاذ سبيروس نيفماتيكوس ، نائب رئيس مؤسسة الثقافة الهيلينية . فباسمكم جميعاً نبعث إليهما بشكر خاص شخصي.

أيها الإخوة الكرام ،

إني واثق أنكم جميعاً قد تأثرتم غاية التأثر بروح التفاهم وروح المودة ، هذه الروح التي سادت هذه الاجتماعات . إن الاحترام المتبادل بيننا في هذا اللقاء هو اعتراف عملي لكل منا بالآخر ، لأن من جملة الأشياء التي تقال عند بعض المتشددين : كيف تحاورون من لا يعترف بكم . وأنا أحب أن أتجاوز الاعتراف اللفظي أو الاعتراف الكتابي ، وأن أحس ، كما لا شك أن كثيرين منكم يحسون ، أن مجرد عقد هذه اللقاءات المتكررة هو اعتراف متبادل من كل من الفريقين بالآخر . وإلا ما معنى أن نجتمع معاً ، ما معنى أن نتحاور معاً ، ما معنى أن نتبادل الآراء في هذه الأمور كلها إذا كان فريق منا لا يعترف بالآخر. فاسمحوا لي إذن أن أغتنم هذه المناسبة لكي أمسك بهذه اللحظة وأن أقول إن الاعتراف قائم.

أيها الإخوة الكرام ،

كلكم قد أدركتم أن البحوث التي قدمت والتعقيبات عليها والمناقشات التي دارت ، كانت كلها في مستوى رفيع حقاً ، وقد تتبعتها بعناية ، ووجدت أنها أثارت كثيراً من التعليقات الجانبية من الأعضاء خارج الجلسات ، وكل هذه التعليقات الجانبية في الخارج كانت ثناء على مستوى هذا اللقاء ، وعلى مستوى ما قدم فيه أو ما دار فيه . من أجل هذا ، اسمحوا لي باسمكم أيضاً أن أشكر جميع الذين قدموا البحوث وجميع الذين قدموا التعقيبات ، وجميع الذين شاركوا في المناقشات . وقد ظهر لكم أن المناقشات قد أضافت إلى البحوث ، وأضافت إلى التعقيبات المكتوبة شيئاً يستفاد منه . من أجل

هذا سنحرص في التوثيق في الكتاب الذي سيصدر عن هذه الندوة أن يُظهر هذه الأمور كلها إن شاء الله تعالى . وقد اتفقت مع المتروبوليت أيضاً على إعادة تحرير هذه الوثائق كلها، باللغتين العربية والإنجليزية، للندوات التسع ، وأن تطبع وتنشر على أوسع نطاق ممكن لكي تصل إلى من لا يشترك معنا في هذه الندوات ، فيطلع عليها ويستفيد منها وعسى أن نحقق ذلك وأن ننفذه قريباً.

أيها الإخوة ،

هل تأذنون لي أن أشير إلى أمر شخصي هو شعوري بالارتياح والتقدير لكلمة المشارك الصربي الأب فلادان بيريشيك ، فقد كانت كلمة دلتني على أن الموقف الذي اعترضنا عليه في جلسة سابقة كان موقفاً شخصياً لمشارك صربي آخر ، أو على الأقل جعلتني أحس بتطور الموقف . ومن أجل هذا إذا كنا نذم من يستحق الذم فعلينا أن نثني على من يستحق الثناء.

عندي مجموعة من الملاحظات الشخصية مثل : عدد قليل جداً ربما لا يتجاوز واحداً أو اثنين قد تحدث عن أمور محلية صرف كأنما كان المقصود منها الترويج لبلد معين وليس النظرة الشاملة للموضوع نفسه . وربما لاحظتم ذلك.

وأيضاً وجدت أن بعض الإخوان من الجانبين ـ وأنا متأسف لأنني مضطر أن أستعمل كلمة «الجانبين» لأن مجموع هذه الاجتماعات دلتني وربما دلتكم على أننا أصبحنا فريقاً واحداً ولسنا فريقين ـ تجاوز أن يتحدث عن وجهة نظر دينه ، فأخذ يتحدث عن وجهة نظر الدين الآخر . وفي هذا مزلقة . نحن نحب من إخواننا أن يستمعوا إلينا لنشرح لهم حقيقة ما لا يعرفون في هذا الموضوع من أمور ديننا ، ونحب في الوقت نفسه أن نستمع إليهم هم ، يشرحون لنا ما لا نعرف في هذه الموضوعات من أمور دينهم . أما أن أتحدث أنا عن المسيحية بعامة أو أن أتحدث عن الأرثوذكسية مثلاً ، أو عن مواقف معينة فيها ، فأمر فيه تجاوز . وأنا ما زلت حريصاً على القول إنه من الجانبين ، ولكن ذلك نادر ولا يعيب الاجتماع بكامله.

أخيراً أحب أن أؤكد الشكر الذي تفضل به نيافة المتروبوليت ، فأشكر أولاً وسائل الإعلام في الأردن وبعض البلاد العربية التي أرسلت إلينا مندوبين عن وسائل إعلامها ، في التلفزة وفي الإذاعة ، وفي الصحافة . والحقيقة أن النشر الإعلامي كان موفقاً ، لذلك أوجه ثانيةً إلى جميع رجال الإعلام الشكر والتقدير.

وكذلك لا بد من أن نقول أنه لولا وجود المترجمين ما استطاع أكثرنا أن يفهم الآخر. فالمترجمون هم وسيلة الاتصال بيننا ،و قد قاموا بجهد كبير، ونحن جميعاً نشكرهم لما بذلوا من جهد.

أيضا لا يجوز لي أن أنسى الفنيين المسؤولين عن تركيب الأجهزة ومتابعة ضبط الأصوات وملاحقة هذه الأجهزة ومحاولة استدراك الخلل في بعضها.

الفندق الذي أنتم فيه ، وأرجو أن تكون مآخذكم عليه قليلة ، بذل جهداً كبيراً في سبيل راحتنا وفي سبيل إحسان وفادتنا ، ويستحق جميع العاملين في الفندق الشكر والتقدير.

أعود وقد انتهت كلمتي ، من قبيل المداعبة الحبية ، إلى ملاحظة سيادة المتروبوليت جورج خضر حول كلمة «سيادة» . نحن نأخذ بما تريدون أنتم ، ولا يجوز أن نفرض عليكم تسمية أو لقباً أو منصباً أو مصطلحاً ، فما ارتضيتموه لأنفسكم ، نأخذ به. ولكننا أحسسنا أن كلمة «سيادة» عامة ، وهي مشتركة بين كثيرين وأن المنصب الديني له مصطلحات ربما أحسسنا أنها أكثر توقيراً . لكن إذا كنتم جميعاً تتفقون على أن نقول «سيادة المتروبوليت» وأن هذا يرضيكم أكثر فنحن نلتزم بما يرضيكم. نحن مأمورون ديناً وخلقاً أن لا نسمي غيرنا إلا بما يحب من أسماء.

الملاحظة الثانية هي أننا أصحاب ديانات ، وأن «بسم الله الرحمن الرحيم» هي جزء من كتاب الله تعالى ، ولذلك لا يجوز لنا أن نستعمل مفتتحاً لكلامنا يمكن أن يرضي الجانبين ، ولكن علينا أن نسير باتجاه التوفيق وليس التلفيق ، والتوفيق يكون بأن أقول أنا «بسم الله الرحمن الرحيم» حينما أتحدث، وأن يقول سيادة المتروبوليت جورج خِضر ما يشاء حينما يريد هو أن يتحدث . فأنا أقبل منه ما يقول وأرجوه أن يقبل مني ما أقول . هذا هو الحوار الحقيقي.

أخيراً أنا أحب أن أقول بإخلاص إن هذا الرجل ، أعني المتروبوليت داماسكينوس ، صاحب فضل كبير في تليين كثير من المواقف الصعبة . وأنه بروح التسامح عنده ، أو أكاد أقول بروح السماحة الموجودة فيه ، استطاع أن ينشأ علاقة صداقة حقيقية بيننا في الأردن وبينه هو شخصياً. وأنا أعلم ما في نفس صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال له ، وأنا أرجو أن يعلم أيضاً ما في نفسي له من المودة والمحبة والتقدير في الخير وفيما نتفق عليه إن شاء الله تعالى.

الإخوة الذين سيغادروننا نرجو لهم سفراً سعيداً ، ونتطلع إلى أن نلقاهم إن شاء الله تعالى في اجتماعات قادمة هنا أو في أثينا ، أو في أي بلد آخر نعقد فيه اجتماعاتنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تقـــرير عــــام

عُقد اللقاء الإسلامي – المسيحي وموضوعه : « المسلمون والمسيحيون في المجتمع المعاصر ، صور الآخر ومعنى المواطنة » في عمّان ، عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية ، بدعوة من معالي الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) ، باسم صاحب السمو الملكي الأمير الحسن نائب جلالة الملك ولي العهد المعظم ، الرئيس الأعلى للمجمع ، ومن نيافة المتروبوليت داماسكينوس ، رئيس المركز الأرثوذكسي للبطريركية المسكونية (شامبيزي – سويسرا) ومديره العام ، خلال المدة ٢١ – ٢٣ رجب ١٤١٩هـ الموافق ١٠–١٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩٨م .

وقد جرى تنظيم اللقاء بالتعاون ما بين المجمع الملكي والمركز الأرثوذكسي ، وهو اللقاء التاسع في سلسلة اللقاءات التي ينظمها المجمع والمركز . وشارك في اللقاء (٥٧) من المسلمين والمسيحيين ، من العلماء والشباب ، من (١٨) بلداً .

وقد افتُتح اللقاء بكلمتين من معالي الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد رئيس المجمع ونيافة المتروبوليت داماسكينوس رئيس المركز الأرثوذكسي ومديره العام .واستمع المشاركون إلى رسالة من صاحب القداسة البطريرك بارثولوميوس الأول ، قرأها نيافة المتروبوليت داماسكينوس. وقد تفضل صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال نائب جلالة الملك ولي العهد المعظم ، الرئيس الأعلى للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) ، بدعوة السادة المشاركين في اللقاء إلى قصر بسمان العامر لتناول طعام الغداء ، والمشاركة في جلسة العمل الأخيرة للقاء .

وخلال سبع جلسات عمل ، قُدمت للقاء ستة بحوث حول ثلاثة محاور ، وقد قُدّم بحثان عن كل محور أحدهما من وجهة نظر إسلامية والآخر من وجهة نظر مسيحية ، وتولّى التعليق على كل بحث معلّق من الجانب الآخر ، على النحو التالي :

١– نظرة المسلم إلى المسيحي (الأسس والواقع المعاصر) ، أعدّه الأستاذ محمد السمّاك ، وعلّقت عليه الدكتورة ماريا برون .

٢– نظرة المسيحي إلى المسلم (الأسس والواقع المعاصر) ، أعدّه الأستاذ جريجوريوس زياكاس ،

وعلّق عليه الأستاذ محمود الشريف .

٣- المواطنة في المجتمع المعاصر (من وجهة النظر المسيحية)، أعدّه المتروبوليت جورج خضر ، وعلّق عليه الدكتور علي محافظة .

٤- المواطنة في المجتمع المعاصر (من وجهة النظر الإسلامية) ، أعدّه الدكتور أحمد صدقي الدجاني ، وعلّق عليه الأب فكتور بتليوشنكو .

٥- التحديات الحاضرة وما يترتب عليها على أرض الواقع ، وكيف نواجهها (من وجهة النظر الإسلامية) ، أعدّه الدكتور هشام نشابة ، وعلّق عليه الأب فلادان بيريشيك .

٦- التحديات الحاضرة وما يترتب عليها على أرض الواقع ، وكيف نواجهها (من وجهة النظر المسيحية) ، أعدّه الأب الدكتور جيرهارد ڤوس ، وعلّق عليه الدكتور عبدالحفيظ بلعربي .

وقد استمع المشاركون إلى رسالة من معالي السيد جورج باباندريو وزير الخارجية المشارك في اليونان ، وألقاها مستشاره الدكتور سبيروس نيڤماتيكوس نائب رئيس مؤسسة الثقافة الهلينية .

ومن خلال الكلمات والبحوث التي قدمت إلى اللقاء والمناقشات التي دارت حولها ، برزت بعض النقاط التي اتفق عليها المشاركون ، على النحو التالي :

* إن من أكبر المشكلات التي تواجهنا – مسلمين ومسيحيين – فيما يتصل بصورة الآخر لدى كلّ منا ، أن معرفة كل طرف بدين الآخر تكاد في معظمها أن تكون معرفة مهزوزة ، وأن المعرفة الحقيقية للآخر تنحصر في نفر قليل من الجانبين .

ومن هنا نلحظ غياب أو تغييب الجسر المعرفي بين المسلم والمسيحي . بالرغم من أن العلاقات الاجتماعية الإسلامية المسيحية في غالبيتها علاقات تقوم على التعاون والتفاهم ومراعاة الآخر. علينا ، من ثمَّ ، أن نعمل معاً ، ودون كلل ، لوضع أسس تربوية تقوم على مزيد من قبول الآخر واحترامه كما هو ، لأننا به تزيد معرفتنا بذواتنا ، وبمعرفته تتعمق معرفتنا ، ولأننا جميعاً ، مسلمين ومسيحيين ، نسعى إلى معرفة الحقيقة والحكمة ، ضالة كل مؤمن .

* إن تاريخ الكنيسة ، وخاصة الكنيسة الشرقية ، يُبرز صوراً كثيرة زاهية لتعايش المسيحيين مع المؤمنين الآخرين ، واحترامهم للهوية الثقافية للآخرين ولغاتهم . ولكن حروب الفرنجة والهجمات الاستعمارية الغربية كانت سبباً مباشراً في تشويه صورة المسيحية الغربية بين المسلمين والعرب .

لقد تعرّض الإسلام أيضاً ، وهو الذي يقوم على احترام العقائد السماوية الأخرى ويستوعب التنوّع والتعدّد بفضل ما نصت عليه الشريعة الإسلامية وما اتّسم به الدين الإسلامي من انفتاح ومرونة، إلى تشويه صورته لدى المسيحيين ، في الغرب خاصة ، لظهور موجات طارئة من التعصّب الديني ، لها دوافعها وظروفها ، بالرغم من كل ما تحتويه رسالة الإسلام من وضوح وسماحة .

إن علينا ، مسلمين ومسيحيين ، أن نعمل على العودة إلى النبع الصافي والكشف عن طبيعة الدين الإسلامي المنفتحة ونظرته المرنة القادرة على مواجهة التغيرات ، وعن طبيعة الدين المسيحي السمحة وتأكيدها على التعايش واحترام الآخر ، وأن نعمل بكل ما أوتينا من قوة وعزم على أن لا يستغلّ الدين لإثارة النعرات والفتن وتمزيق وحدة الأمة .

* إن قضية المواطنة في المجتمع المعاصر سوف تبقى مطروحة تستنفر مزيداً من الجهود الإسلامية – المسيحية المشتركة لمعالجتها بحيث تنسجم مع مختلف دوائرالانتماء في الهوية الواحدة – وهي دائرة الانتماء إلى الديار (الوطن) ، ودائرة الانتماء القومي ، ودائرة الانتماء الديني الحضاري . وهي مهددة بعوامل متعددة وما قد تأتي به من تدمير للتراث ، وما تتضمنه من فرض قسري قد يعمل على طمس الخصوصية الثقافية للمجتمعات .

إن قضية المواطنة يجب أن تستنفر المؤمنين بالله ليعملوا معاً لمعالجتها بصورة تجمع بين ما تتطلبه المساواة بين بني الإنسان واحترام حقوق الإنسان والحفاظ على ذاتيته وصيانة هويته ، وما يتصف به المجتمع من سمات تعود إلى ما فيه من تعددية ، وما يتطلبه التوجه نحو تعاون الحضارات في عالمنا ، حتى نتحاشى ما سمي بصدام الحضارات وصراعها ، وهو صِدام وصراعٌ مُفتعل تغذيه القوى الكبرى المستفيدة منه من أجل تثبيت سياسات جشعة .

* إن العقل في البشر هو أساس الديمقراطية الحديثة والشورى . والديمقراطية الشورية التي تعزّز مفهوم المواطنة راسخة في الكتب السماوية التي أوحى بها الخالق سبحانه وتعالى ؛ وكل ما ليس في الوحي من علم وصناعة وسياسة نقوم به بعقولنا المستنيرة ، مستلهمين الكتب المقدسة وسيرة الأبرار ، والمثل العليا في تاريخنا الطويل ، وبهذه الروح ، نؤكد معاً على ضرورة قيام المجتمعات التعددية الحديثة بوضع ضوابط تشريعية ودستورية لحماية الحريات الدينية وتأكيد المساواة بين جميع المواطنين أمام القانون ، ليظل فكرنا متجدداً مسخراً لخدمة الوطن الذي ننتمي إليه ، والذي يتعايش فيه المسلمون والمسيحيون في «وطن» واحد ، مما يجعلهم جميعاً «مواطنين» لهم حقوق المواطنة الكاملة ، لا يختلف

واحدهم عن الآخر إلا في أمور العقيدة الدينية والعبادات وما يتصل بهما من الأحوال الشخصية .

* إن بعض التجارب الناجحة التي وضعت موضع التنفيذ في البلدان التي يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون لتعريف كل طرف بالطرف الآخر بصورة علمية موضوعية يجب أن تكون مثلاً يحتذى للبلدان الأخرى .

لقد ثبت أن نجاح مثل هذه التجارب واستمرارها ، وبعضها ما زال مستمراً منذ عشرين عاماً، ناتج عن أن المشرفين عليها حرصوا على أن يعتمدوا جوهرالدين وتطور العلم والاحترام المتبادل في عرض كل من الإسلام والمسيحية للمشاركين في هذه التجارب ، وأن تكون الموضوعات التي يعالجونها نابعة من واقع المجتمع . يضاف إلى ذلك أن طموح القيمين على هذه التجارب كان متواضعاً وحذراً لا يحمّل التجربة أكثر مما تحتمل ولا يزيّنها على أنها الحلّ النهائي لمعظم مشكلات التعايش ، ومنها المواطنة ، بل يعتبرها خطوة على طريق البناء .

* إن المواطنة الحقّة في المجتمعات التي يشكل المسلمون أو المسيحيون فيها أقلية تستدعي قدراً من مراعاة مشاعر الآخر فيما يتصل بتقاليده وقيمه ومخاوفه ؛ وربما كان ينتظر من الأكثرية التعبير عن مراعاة مشاعر الأقلية والقبول بها بصورة أكبر للحيلولة دون هيمنة المخاوف والروح العدائية على الأقلية ؛ ذلك أن الأقلية الخائفة التي تسيّرها روح عدائية لا يمكن لها أن تكون عنصراً فاعلاً يتمتع بمزايا ومسؤوليات المواطنة الحقة التي تعتبر الأساس الراسخ الذي تبنى عليه الدول الحديثة المتقدمة .

وقد عبّر المشاركون في اللقاء عن شكرهم لصاحب السمو الملكي الأمير الحسن نائب جلالة الملك وولي العهد المعظم ، الرئيس الأعلى للمجمع ، على تفضله برعاية اللقاء والمشاركة في مداولاته ، وللمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) على ما لقوه من حُسن التنظيم وكرم الضيافة ، كما عبّروا عن تقديرهم للمركز الأرثوذكسي لتعاونه مع المجمع في تنظيم اللقاء .

وفي نهاية اللقاء وجه نيافة المتروبوليت داماسكينوس ، رئيس المركز الأرثوذكسي للبطريركية المسكونية ومديره العام ، دعوة لاستضافة اللقاء القادم ، على أن تقوم « لجنة التنسيق » التي تضم ممثلين عن المجمع الملكي والمركز الأرثوذكسي باقتراح موعد اللقاء القادم وموضوعه .

وقد رفع المشاركون في اللقاء البرقية التالية إلى مقام صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال :

صاحب السمو الملكي الأمير الحسن نائب جلالة الملك وولي العهد المعظم

الرئيس الأعلى للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) حفظه الله

الديوان الملكي العامر

يتشرف المشاركون في اللقاء الإسلامي ـ المسيحي بين مجمع آل البيت والمركز الأرثوذكسي في سويسرا ، وموضوعه «المسلمون والمسيحيون في المجتمع المعاصر ، صور الآخر ومعنى المواطنة» بأن يرفعوا إلى مقام سموكم جزيل الشكر ووافر التقدير على رعايتكم الكريمة للقاء وما حظوا به من عنايتكم المتصلة التي غدت عنواناً لكل لقاء يعقد في رحابكم الهاشمية العامرة.

وإن المشاركين في اللقاء ليقدرون ما أضفيتموه سموكم على مداولاتهم ومناقشاتهم بفكركم المستنير ، ومبادراتكم المستمرة في تعزيز نهج الحوار بين المسلمين والمسيحيين باعتباره الطريق الأمثل إلى مزيد من التفهم والتفاهم للوصول إلى نظام عالمي أخلاقي جديد ، ويغتنمون مناسبة عيد ميلاد جلالة الملك الحسين المعظم ليقدموا لجلالته أخلص التهاني ، وليبتلهوا إلى الباري جلت قدرته أن يمنّ على جلالته بالشفاء الكامل العاجل ليواصل قيادته الحكيمة في خدمة الوطن والأمة ، وأن يمتع سموكم بالصحة والسعادة وأن يسدد خطاكم على طريق خدمة الإنسانية.

المخلص الوفي

(ناصر الدين الأسد)

رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية

(مؤسسة آل البيت)

المخلص الوفي

(المتروبوليت داماسكينوس)

رئيس المركز الأرثوذكسي في

سويسرا ومديره العام

المشاركون في اللقاء

أولاً : رئيسا اللقاء :

١- معالي الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد

رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)

عمّان – الأردن

٢- نيافة المتروبوليت داماسكينوس باباندريو

رئيس المركز الأرثوذكسي للبطريركية المسكونية ومديره العام

شامبيزي – سويسرا

ثانيًا : المشاركون المسلمون :*

٣- الأستاذ إبراهيم شبّوح

أمين المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)

عمّان – الأردن

٤- الأستاذ الدكتور أحمد صدقي الدجاني

عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)

القاهرة – جمهورية مصر العربية

٥- الأستاذة الدكتورة أمل الفرحان

عميدة كلية إدارة الأعمال

الجامعة الأردنية

عمّان – الأردن

٦- الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف

عضو مجلس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)

بغداد ـ العراق

---

* حسب الترتيب الهجائـي.

٧- السيد خالد العرموطي

منتدى الشباب العربي

عمّان – الأردن

٨- السيدة سلوى ناصر

منسقة المنظمات غير الحكومية

صندوق الملكة علياء للعمل التطوعي

عمّان – الأردن

٩- الآنسة سمر الفايز

المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)

عمّان – الأردن

١٠- الآنسة طروب الخياط

المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)

عمّان – الأردن

١١- السيد طلال أحمد شرار

منتدى الشباب العربي

عمّان – الأردن

١٢- الآنسة عائشة الشوابكة

منتدى الشباب العربي

عمّان – الأردن

١٣- الدكتور عبد الحفيظ بلعربي

رئيس قسمي العلوم المالية والمصرفية والإدارة الفندقية والسياحة

جامعة الزيتونة

عمّان – الأردن

١٤- معالي الدكتور عبد السلام العبادي

عضو مجلس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)

وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية

عمّان - الأردن

١٥- سماحة الأستاذ الدكتور عبد العزيز الخياط

عضو مجلس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)

رئيس قسم المصارف الإسلامية - الأكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية

عمّان - الأردن

١٦- الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري

عضو مجلس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)

قسم التاريخ - كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

الجامعة الأردنية

عمّان - الأردن

١٧- الأستاذ الدكتور عبد الكريم غرايبة

عضو مجلس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)

عمّان - الأردن

١٨- الدكتور عبد الله دئيون

عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)

داكار - السنغال

١٩- الدكتور عبد الله مدادحة

مستشفى الكرك الحكومي

الكرك - الأردن

٢٠- سماحة الشيخ عز الدين الخطيب التميمي

مستشار جلالة الملك للشؤون الإسلامية وقاضي القضاة

عمّان - الأردن

٢١- عطوفة الدكتور عزت جرادات

الأمين العام لوزارة التربية والتعليم

عمّان - الأردن

٢٢- الأستاذ الدكتور علي الزغل

قسم الاجتماع - كلية الآداب

جامعة اليرموك

إربد - الأردن

٢٣- سيادة الدكتور علي عتيقة

الأمين العام لمنتدى الفكر العربي

عمّان - الأردن

٢٤- الأستاذ الدكتور علي محافظة

قسم التاريخ - كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

الجامعة الأردنية

عمّان - الأردن

٢٥- السيد فاروق جرار

مستشار رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)

ومقرر الحوار الإسلامي - المسيحي

عمّان - الأردن

٢٦- السيد ماجد قطيشات

الأمين العام لمنتدى الشباب العربي

عمّان - الأردن

٢٧- الأستاذ محمد السماك

الأمين العام للجنة الوطنية الإسلامية للحوار

مستشار مفتي الجمهورية

بيروت - لبنان

٢٨- الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت

عضو مجلس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)

رئيس جامعة آل البيت

المفرق - الأردن

٢٩- السيد محمد القطاطشة

رئيس فرع منتدى الشباب العربي في الطفيلة

الطفيلة - الأردن

٣٠- معالي الأستاذ محمود الشريف

رئيس التحرير المسؤول لصحيفة « الدستور »

عمّان - الأردن

٣١- الأستاذ الدكتور هشام نشابة

عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)

رئيس المعهد العالي للدراسات الإسلامية / جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية

بيروت - لبنان

٣٢- السيدة وفاء الخضراء

جامعة البلقاء

السلط - الأردن

ثالثاً - المشاركون المسيحيون :

٣٣- الأب إبراهيم دبور

بطريركية القدس للأرثوذكس

عمّان - الأردن

٣٤- الدكتور ألبرت لحام

عضو مجلس أمناء جامعة البلمند الأرثوذكسية

بطريركية أنطاكية للأرثوذكس

جنيف - سويسرا

٣٥- السيد الكسندروس زافيريو

مترجم

أثينا - اليونان

٣٦- الأرشمندريت إنوكينيوس إكزارهوس

بطريركية القدس للأرثوذكس

عمّان - الأردن

٣٧- الدكتور جاري فاشيكوراس

معهد الدراسات العليا في اللاهوت الأرثوذكسي

المركز الأرثوذكسي

جنيف - سويسرا

٣٨- الدكتور جان سلمانيان

مدير مقر البطريركية الأرمنية

أنطلياس - لبنان

٣٩- الأستاذ جريجوريوس زياكاس

كلية اللاهوت - جامعة أرسطو

سالونيك - اليونان

٤٠- نيافة المتروبوليت جورج خضر

مطران جبل لبنان

بطريركية أنطاكية للأرثوذكس

برمانا - لبنان

٤١- السيدة جورجيا فاشيكوراس

المركز الأرثوذكسي

جنيف – سويسرا

٤٢- الأب جيرهارد ڤوس

رئيس تحرير مجلة أونا سانكتا

معهد نيدرالاتيخ المسكوني

نيدرالاتيخ – ألمانيا

٤٣- الدكتور رومان سيلانييف

دائرة العلاقات الخارجية للكنيسة

بطريركية موسكو

موسكو – الاتحاد الروسي

٤٤- سعادة الدكتور رؤوف أبو جابر

رئيس المجلس الأرثوذكسي

رئيس الجمعية الأرثوذكسية

عمّان – الأردن

٤٥- السيد ريجيس باسيريو

عمدة آج

المستشار العام / رئيس المركز اليوناني التجاري السابق لحوض البحر الأبيض المتوسط

آج – فرنسا

٤٦- الأستاذ سبيروس نيڤماتيكوس

مستشار وزير الخارجية اليوناني

نائب رئيس مؤسسة الثقافة الهيلينية

أثينا – اليونان

٤٧- الأستاذ سلافتشو فالتشانوف

كلية اللاهوت - جامعة صوفيا

بطريركية بلغاريا

صوفيا - بلغاريا

٤٨- الدكتور طارق متري

السكرتير التنفيذي لمكتب العلاقات بين الأديان

مجلس الكنائس العالمي

جنيف - سويسرا

٤٩- الأب فكتور بتليوشنكو

نائب رئيس دائرة العلاقات الخارجية للكنيسة

بطريركية موسكو

موسكو - الاتحاد الروسي

٥٠- الأب الدكتور فلادان بيريشك

كلية اللاهوت - جامعة بلجراد

بطريركية الصرب للأرثوذكس

بلجراد - جمهورية الصرب

٥١- الأستاذ فلاسيوس فيداس

كلية اللاهوت - جامعة أثينا

معهد الدراسات العليا في اللاهوت الأرثوذكسي

جنيف - سويسرا

٥٢- الأستاذة كيلي بوردارا

كلية الحقوق - جامعة أثينا

أثينا - اليونان

٥٣- السيدة ماجداليني سوتريانو
مترجمة
أثينا – اليونان

٥٤- الدكتورة ماريا برون
باحثة في اللاهوت
لوسيرن – سويسرا

٥٥- الأستاذ ماريوس بيجزوس
كلية اللاهوت – جامعة أثينا
أثينا – اليونان

٥٦- الدكتور منصور كرادشة
مدينة الحسين الطبية
عمّان – الأردن

٥٧- الدكتور موسى اشتيوي
قسم علم الاجتماع – كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
الجامعة الأردنية
عمّان – الأردن

برنامج اللقاء

اليـــــوم الأول : الثلاثاء ١٠/١١/١٩٩٨م :

٠٠ر١١ صباحـًا : جلسة الافتتاح * برعاية حضرة صاحـب السمو الملكـي الأمير الحسن نائب جلالة الملك ولـي العهد المعظم

٠٠ر٠٠ صباحـًا : حفل استقبال

٣٠ر١٣ بعد الظهر : غداء في الفندق

٠٠ر١٦ بعد الظهر : **الجلسة الأولى :**

– نظرة المسلم إلى المسيحي (الأسس والواقع المعاصر)

الباحث : الأستاذ محمد السماك

المعلق : الدكتورة ماريا برون

– مناقشة عامة

٣٠ر١٧ مســـاء : استراحة وتناول الشاي

٠٠ر١٨ مســـاء : **الجلسة الثانية :**

نظرة المسيحي إلى المسلم (الأسس والواقع المعاصر)

الباحث : الأستاذ جريجوريوس زياكاس

المعلـق : الأستاذ محمود الشريف

– مناقشة عامة

..ر.. مســـــاء : عشاء في الفندق

---

* عقدت جميع جلسات اللقاء في قاعة بترا – فندق ريجنسي بالاس ، عمّان

اليـــوم الثانــي : الأربعاء ١١/١١/١٩٩٨م :

٩٫٣٠ صباحـــــاً : **الجلسة الثالثة :**

– المواطنة في المجتمع المعاصر (من وجهة النظر المسيحية)

الباحث : المتروبوليت جورج خضر

المعلـق : الدكتور علي محافظة

– مناقشة عامة

١١٫٠٠ صباحاً : استراحة وتناول الشاي

١١٫٣٠ صبـاحاً : **الجلسة الرابعة :**

– المواطنة في المجتمع المعاصر (من وجهة النظر الإسلامية)

الباحث : الدكتور أحمد صدقي الدجاني

المعلـــق : الأب فكتور بتليوشنكو

– مناقشة عامة

١٣٫٣٠ بعد الظهر : غداء في الفندق

١٦٫٠٠ بعد الظهر: **الجلسة الخامسة :**

– التحديات الحاضرة وما يترتب عليها على أرض الواقع ، وكيف نواجهها (من وجهة النظر الإسلامية)

الباحث : الدكتور هشام نشابة

المعلـق : الأب فلادان بيريشيك

– مناقشة عامة

١٧٫٣٠ مســـاء : استراحة وتناول الشاي

١٨٫٠٠ مســاء : **الجلسة السادسة :**

– التحديات الحاضرة وما يترتب عليها على أرض الواقع ، وكيف نواجهها (من وجهة النظر المسيحية)

الباحث : الأب الدكتور جيرهارد فوس

المعلـق : الدكتور عبد الحفيظ بلعربي

- مناقشة عامـة

٣٠ر٢٠ مســـــاء : عشاء بدعوة من سعادة الدكتور رؤوف أبو جابر رئيس المجلس المركزي الأرثوذكسي - رئيس الجمعية الأرثوذكسية

اليوم الثالث : الخميس ١٢/١١/١٩٩٨م :

٠٠ر١١ صباحـــاً : **الجلسة الختامية**

٣٠ر١٣ بعـد الظهر: غداء بدعوة مـن معالي الأستاذ الدكتور ناصـر الدين الأسد

رئيـس المجمع الملكي لبحـوث الحضــارة الإســلامية (مؤسسة آل البيت)

٠٠ر٠٠ بعد الظهر : جولة حرة

٠٠ر٠٠ مســــاء : عشاء في الفندق

منشورات
المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية
(مؤسسة آل البيت)
رقم (١٩٩)
شوال ١٤٢٠هـ
كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٠م

المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية

(مؤسسة آل البيت)

العنوان البريدي : ص . ب (٩٥٠٣٦١) - عمّان ١١١٩٥

العنوان البرقي : آل البيت عمّان

الفاكس : ٩٦٢-٦-٥٥٢٦٤٧١

الهاتف : ٩٦٢-٦-٥٥٣٩٤٧١